الطريق

إلى نيروبي ودار السلام

الشيخ أبو محمد المصري



الطـــريـــــق
إلى نيروبي ودار السلام

الشيخ أبو محمد المصري

بسم الله الرحمن الرحيم

السودان

في العام1416ه[1] الموافق 1996م من القرن الماضي كانت هناك بوادر ومؤشرات من الحكومة السودانية تنذر برحيلنا من السودان إلى حيث لا ندري، فقد مارست القوى الدولية الكبرى ضغوطاً على الحكومة السودانية لإخراجنا من السودان وكانت التُهم المعلبة جاهزة -فقد تم استدعاؤها فقط من الملفات المخزنة على الرفوف لوقت الطلب-، والتي تمارس بها الدول الكبرى الضغوط على كل حكومة تخرج عن الصف، و لم يتوقف الأمر على الضغوط الدولية بل مارست بعض القوى الإقليمية الدور نفسه للعمل على إخراجنا من السودان مستخدمة سياسة العصا والجزرة مع الحكومة السودانية، ومن أهم أبرز تلك الدول المملكة العربية السعودية صاحبة التاريخ السيئ في تلك الممارسات، فالحكومات السعودية المتعاقبة منذ تأسيسها وهي تسارع لتنفيذ سياسات الغرب في المنطقة خاصة السياسات الإنجليزية وانتقلت فيما بعد لتمرير كل السياسات والمؤامرات الأمريكية القذرة مستفيدة من مكانتها الدينية-المزعومة-والمالية والنفطية.

ونتيجة تزايد تلك الضغوط على الحكومة السودانية فقد أبلغت الأخيرة الشيخ أسامة بن لادن عن طريق بعض المسؤولين بضرورة التحضير لمغادرة الأراضي السودانية ولكن بدون تأكيد ولا إلحاح، وكأنهم كانوا يمهدون لهذا الأمر حتى إذا جاءت ساعة الصفر يكون قد تم التمهيد للأمر، ومع تكرار هذا الطلب من بعض المسؤولين طلب الشيخ أسامة -رحمه الله- مقابلة الرئيس البشير لحسم الموضوع خاصة وأن الشركات العاملة حينها كانت على بداية موسم زراعي كبير في شرق السودان في منطقة كسلا حيث يفيض نهر القاش بمياهه الوفير والتي لا يستفاد من 90% منها بل تذهب هدراً نتيجة

---

[1] - سوف نقوم باعتماد التأريخ الهجري والتأريخ الميلادي وإن كان الأصل هو اعتماد التأريخ الهجري فقط دون التأريخ الميلادي، ففيه دليل عزة المسلم بدينه ولغته وثقافته وتأريخ أمته كما قال بذلك جمع غفير من علماء الأمة المحققين أمثال الشيخ المحدث المحقق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله، والشيخ بكر أبوزيد رحمه الله والذي درج على كتابة التأريخ الهجري دون إضافة الـ"ه" على اعتبار أنه لا يوجد عندنا تاريخ غيره، وفي هذا نوع تصحيح لما درج عليه الناس من استخدام للتأريخ الميلادي واعتماده دون غيره نتيجة الحملة الصليبية التغريبية لأمتنا المسلمة على مدى عقود والتي حرصت على تغيير الكثير من المفاهيم والمصطلحات كجزء أصيل من الغزو الفكري الذي يمارس على أمتنا المسلمة، وقد رأى بعض أهل العلم أن في استخدام التأريخ النصراني-الميلادي كما يقولون- نوع من أنواع الولاء والتشبه المذموم، ورأى آخرون بجواز اقتران التأريخين كالشيخ بن جبرين وقد اعتمدنا الرأي الأخير لتيسير الأمر على القارئ وإن كان الأول هو الأولى، وهذه المسألة نبهني عليها أحد الإخوة الكرام من طلاب العلم المعتبرين في الجماعة فجزاه الله عني خير الجزاء وذكرت ذلك من باب إرجاع الفضل لأهله والله أعلم.

الإهمال الكبير لهذه الثروة الطبيعية الضخمة، فلا سدود مقامة ولا ترع مشقوقة، ولا خطط عمل مدروسة، باستثناء بعض المزارعين الذين يبذرون بعض البذور وبشكل بدائي وعشوائي انتظاراً لموسم الحصاد الهزيل الذي لا يسد عُشر احتياجاتهم من تلك المحاصيل!.

أراد الشيخ أسامة –رحمه الله– أن يستوثق قبل بداية الموسم الزراعي فكان رد الرئيس البشير ونائبه عثمان طه بضرورة المغادرة مع بقية أفراد التنظيم، ووعدوا بأن يكون هذا الخروج آمنا ووفق احتياطات أمنية عالية، وأن يكون على شكل دفعات على أن يكون الشيخ أسامة في أول دفعة تغادر السودان، وبالفعل تم عمل الترتيبات اللازمة لمغادرة الشيخ أسامة ومجموعة صغيرة من الإخوة، وقد أوكل الشيخ –رحمه الله– هذه المهمة لي على أن تكون في غاية السرية حتى على المرافقين أنفسهم، ولم يكن يعلم أحد بالوجهة إلا عددٌ محدودٌ جداً من قادة التنظيم، وبدأنا بتحديد الإخوة المرافقين في الرحلة وكانوا هم الأخ حمزة الزبير المصري والأخ أبو اليسر التونسي، والأخ خالد الحبيب، والأخ أبو عمر اليمني الحضرمي، وعمر بن لادن، وكان من المقرر أن يرافقنا الأخ الفاضل أبو خليل الفلتاوي المدني، ولكن لم يتيسر ذلك لدواعي خاصة، وكان من المرافقين للشيخ في تلك الرحلة الشيخ أبو الوليد المصري "مصطفى حامد"، والشيخ أبو حفص الكومندان المصري –رحمه الله– وأحد المسؤولين السودانيين الدكتور "محمد إبراهيم"، وكان موعد الرحلة في الصباح الباكر وذلك في سنة 1416ه، وفي المساء تم إبلاغ جميع الإخوة المرافقين بتجهيز أنفسهم للسفر غداً في الصباح على أن نلتقي جميعا في إحدى المضافات الخاصة بنا ومن ثم نتحرك جميعا إلى حيث لا يدري أحد منهم، وفي الموعد المحدد كان الجميع قد حضروا، وتحركنا إلى بيت الشيخ أسامة في الخرطوم ومن هناك تحركنا نحو المطار لنستقل الطائرة المجهزة لنقلنا خارج السودان.

وداعاً للعاصمة السودانية الخرطوم

لم نتوجه إلى مطار الخرطوم الدولي كما كان مُتوقعا بل توجهنا إلى أحد المطارات الخاصة، وفي تقديري أنه جزء من مطار الخرطوم الدولي ولكن كان مُخصصاً لسفر الرئيس وكبار المسؤولين السودانيين.

جلسنا في صالة الانتظار الخاصة بالرؤساء وهي صالة تُشرف على ساحة المطار مباشرة، ولم يمض وقت طويل حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر فقمنا للصلاة وصلى بنا الأخ الكريم المجاهد العابد أبو عمر الحضرمي صاحب الصوت العذب الجميل، وجلسنا لأذكار الصباح وما هي إلا دقائق يسيرة حتى

أخبرنا الدكتور محمد إبراهيم بأن الطائرة جاهزة....توجهنا جميعا نحو الطائرة وكانت طائرة مُجهزة بكل ما نحتاجه أثناء رحلتنا الطويلة إلى أفغانستان....كانت طائرة خاصة صغيرة وأعتقد أنها مُخصصة لكبار المسؤولين السودانيين وتتكون من ثلاثة أقسام.

أ- كبينة قائد الطائرة ومُساعده.

ب- ستة مقاعد فاخرة في القسم الثاني.

ت- قسم به مقاعد شبه دائرية فاخرة وكأنها جلسة اجتماعات أثناء رحلات المسؤولين.

ركبنا الطائرة حاملين معنا بعض الحقائب الشخصية الخفيفة، مع عدد من أسلحة الكلاشنكوف والمسدسات والقنابل اليدوية، وكان آخر من ودّعنا على باب الطائرة الأخ الكريم المجاهد البطل رضا التونسي[2] حفظه الله.

بعد قليل أقلعت الطائرة وألسنتنا تلهج بالدعاء والذكر والاستغفار،كان الصمت يُخيم على المشهد مع تسليم تام لأقدار الله، وبعد قليل انكسر هذا الصمت وبدأ الإخوة يتبادلون أطراف الحديث خاصة وأن موعد الإفطار قد اقترب، طبعا ليس هناك مُضيف على الطائرة ونحن الذين سنتولى تلك المهمة كان كل شيء معداً والطعام والشراب الساخن موجود في البرادات وبدأ الشباب في إعداد وجبة الإفطار في القسم الخلفي من الطائرة فهي مُجهزة لذلك، كان طعاماً خفيفاً طيباً من الخبز والجبن والقشطة والشاي الساخن مع قفشات ظريفة من الشيخ مصطفى حامد أذهبت عنّا شيئا من التفكير في القادم.

2- هو من قدامى المجاهدين العرب الذين هاجروا إلى أفغانستان لنصرة إخوانهم الأفغان ضد الغزو السوفيتي الغاشم على بلاد المسلمين، وكانت له صولات وجولات في جبهات القتال، ومحبباً إلى أكثر القادة الأفغان الذين شارك معهم فقد كان ذو شجاعة وإقدام، وكان من كوادر تنظيم القاعدة وتولى مسؤولية الحراسة الشخصية للشيخ أسامة بن لادن لفترات طويلة، ونحسبه من أكثر المحبين للشيخ أسامة، وقد أُسر في باكستان بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان وتم تسليمه للأمريكان ليقضي في سجن بجرام أكثر من عقد ونصف تحت ممارسات إجرامية أمريكية صليبية يندى من ذكرها الجبين، ولكنها طبيعة الممارسات الأمريكية الصليبية التي تمتلأ حقداً وغلاً على المسلمين، وبقى هناك صابراً محتسباً لم يتغير و لم تزده تلك الممارسات القذرة إلا صلابة وقوة حتى خرج عزيزاً بدينه ومواقفه والتحق ببلده تونس تحت تهديد بالاعتقال إذا بدت عليه أي ممارسات لدعم الجهاد والمجاهدين، ونرجو أن نراه قريباً في ساحات الجهاد ليقوم بدوره في المشاركة والنصح والتوجيه للأجيال الناشئة.

عاد الجميع إلى مقاعدهم مع حديث خافت مُتبادل، وبدأ الشباب يسألون عن وجهتنا وكانت فرصة للتعرف على توقعات الشباب خاصة وأن الطائرة مُزودة بخريطة على جدارها الخلفي يمكن من خلالها التعرف على وجهة الطائرة وجميع الإخوة لهم معرفة جيدة بالطبوغرافيا والمساحة العسكرية.

قلت لهم أين تتوقعون وجهتنا؟ وبعد التدقيق في الخريطة قالوا أننا أقلعنا جهة الشرق، وهذا يعني أننا متوجهون إلى أرتيريا حيث سيكون الإخوة المجاهدين في استقبالنا هناك، وهذا توقع ليس بالغريب فقد كان بيننا وبين الإخوة المجاهدين الأرتريين تعاون ملحوظ في الفترات الأخيرة من تواجدنا في الخرطوم، ولكن عبرت الطائرة البحر الأحمر وبدأنا نتوجه نحو المملكة العربية السعودية والخليج وطلب الشيخ من الجميع الاكثار من الدعاء والاستغفار، ومرت الطائرة بسلام من فوق الخليج وهي تشق طريقها إلى أفغانستان.

وبدأ الإخوة في التساؤل مرة أخرى! فقلت هاتوا توقعاتكم؟

قالوا لم يبق إلا باكستان وهذا أمر مُستحيل وبدأ كل واحد يدلي بدلوه وتوقع البعض أفغانستان.

كانت الرحلة طويلة بعض الشيء مع ما فيها من ترقب وتوجس خشية أن يتسرب الخبر إلى أيّ جهة وهذا قد يُعرضنا لقرصنة دولية، والدول الصليبية الكبرى تمارس هذا الدور باعتباره حقاً مشروعاً لها مع مخالفته للقوانين الدولية التي وضعوها لحماية الطيران المدني، ولكن هذه القوانين لا قيمة لها ولا وزن لها إذا تعارضت مع مصالحهم، وسيخرج الإعلام العالمي مُصوراً للمشاهدين والمستمعين مدى بطولة هؤلاء القراصنة وأنهم قاموا بعملية نوعية رفيعة المستوى من الناحية الاستخباراتية ووفق ما تمليه عليهم مصالحهم وأمنهم وسيصفق الجميع فهذه مُهمتهم!

كانت الرحلة ككل الرحلات الجوية لها خط سير طبيعي وعندها إذن مُسبق ولطول المسافة كان لابد لها من التزود بالوقود، وهذا ما أخبرنا به قائد الطائرة ومساعده وقالوا بأننا سنتزود بالوقود من إحدى المطارات خلال الرحلة ولا يستلزم ذلك صعود أحد إلى الطائرة.

كان هذا الخبر يمثل لنا شيئا من القلق مع الاطمئنان النسبي لما قاله طاقم الطائرة وبعد ساعة تقريباً من إخبارنا كانت الطائرة تحط في إحدى المطارات الصغيرة لدولة مجاورة لأفغانستان و لم يمض وقت طويل

في أرض المطار حتى أقلعت الطائرة مرة أخرى، ولحسن الحظ لم يصعد أحد للطائرة....تنفس الجميع الصُعداء مع إلحاح من الإخوة بمعرفة الوجهة مع أنه غلب على توقعات الجميع أن وجهتنا أفغانستان.

أخبرتُ الشيخ أسامة بالأمر فقال لا بأس بإخبار الإخوة فلم يبق إلا القليل ونصل إلى محطتنا الأخيرة بإذن الله، وبالفعل رجعتُ وأخبرت الإخوة وسط فرحة عارمة بدت على الوجوه فجميع الإخوة لهم ذكريات حنينة مع جبال أفغانستان وسهولها وخنادقها و لم يكن أحد منهم يتوقع العودة مرة أخرى إلى تلك البلاد الحبيبة التي إذا ذُكرت ذُكر الجهاد والتضحية والوفاء.

فأفغانستان صاحبة الفضل الأول -بعد الله سبحانه وتعالى- على الجهاد والمجاهدين فعلى أرضها عُرف الجهاد بصورته الحقيقية في القرن العشرين وعلى أرضها عُرفت الشهادة والشهداء ومن أرضها انطلق فقه الجهاد حراً طليقا بعد أن كان حبيس الكتب والمكتبات، وعلى أرضها تدرب عشرات الآلاف من أبناء الأمة الإسلامية وحملوا فكر الجهاد الصافي كما حملوا بين جنباتهم همّ الأمة وتبنوا قضاياها التي بيعت على أيدي حكام خونة باعوا دينهم بدنيا غيرهم وعلى أرضها تحطمت امبراطورية عملاقة امتلكت أكبر قوة برية على وجه الأرض جاءت إلى أفغانستان وهي تظن أنها في نزهة عسكرية فكان هلاكها ونهايتها.

ستظل أفغانستان رمزاً للجهاد والعطاء والفداء والتضحية وكل جهاد قام أو سيقوم فهو عيال على الجهاد الأفغاني وستظل أفغانستان شامخة أبيّة رغم ما تمر به من محن وصعاب.

بدا الارتياح على الجميع وتحول الحديث إلى ذكريات الماضي، وبدأ كل واحد يذكر إخوانه وأحبابه الذين رافقوه طوال رحلة جهاده مع شيء من المواقف الطيبة والمؤثرة أحيانا.

بدأت الرحلة تقترب من نهايتها وبدأت جبال أفغانستان الشامخة تظهر شيئا فشيئا، وحل بالطائرة سكون وصمت عميق وبدأ الجميع يترقب لحظة الوصول، ولعل الجميع كان يفكر فيما كنت أفكر فيه .... كيف ستكون الأيام القادمة؟ وكيف سيكون مُستقبل العمل في أفغانستان؟ بعد التغيرات الكبيرة التي طرأت عليها بعد انتهاء الغزو السوفيتي وسقوط الحكومة الشيوعية برئاسة دكتور محمد نجيب الله أمين.(3)

---

3 - تولى رئاسة أفغانستان من 1408ه، 30/سبتمبر/ 1987م، وحتى 1412ه 16/ابريل/1992م.

عندما وصلنا إلى مطار جلال آباد كان في استقبالنا وفد من المجاهدين السابقين ممن عايشناهم في الجبال والكهوف إبان الغزو السوفيتي الغاشم على أفغانستان، ويبدو أن الأمور كانت مرتبة قبل وصولنا وكانت المقابلة فيها من الترحاب وحسن الاستقبال ما يُطمئن القلب ويريح النفس على عادة أخلاق الشعب الأفغاني المضياف فهو شعب فقير إذا ما قورن بغيره من الشعوب، إلا أنه شعب كريم مضياف يبذل كل ما عنده بطيب نفس وبشاشة وجه وتشعر في ضيافته بأنك في بيت أهلك وإخوانك يُطعمك من أطيب طعام بيته ويُهيئ لك من أسباب الراحة ما يرفع عنك أيّ حرج، وتشعر أن بيوتهم كأنها صُممت للضيافة فالضيوف بمعزل كامل عن النساء لهم أماكنهم الخاصة والتي بها كل سُبل الراحة والتحرك داخل أماكن الضيافة دخولاً وخروجاً لا يحتاج إلى إذن ولا تنبيه، فالشعب الأفغاني المسلم ما زال على فطرته السليمة النقية الطاهرة لمْ تُصبه لوثة الحضارة الحديثة التي يختلط فيها الرجال بالنساء بشكل بشع تحت مسمى الحضارة والتقدم ودون أدنى شعور بالخجل!.

ركبنا السيارات التي كانت بانتظارنا وتحركنا إلى وسط مدينة جلال آباد تلك المدينة التي تحمل في ذاكرة كل المجاهدين العرب تاريخاً طويلاً من البذل والعطاء تحمل ذكريات لا تنسى عن معارك ضارية خاضها المجاهدون العرب ضد الروس وضد الحكومات الشيوعية التي تتابعت على أفغانستان، تحمل ذكريات عن إخوة كرام بذلوا نفوسهم رخيصة من أجل نصرة هذا الدين ثم نُصرة إخوانهم الأفغان وقبورهم خير شاهد على ذلك فما من جبل أو واد إلا وبه قبر لشهيد من الشهداء العرب الذين أوصوا أن يُدفنوا حيث قُتلوا هذا بخلاف مقبرة "طورخم" يراها كل زائر لجلال آباد على جانب الطريق الرئيسي لمدخل المدينة تقف أمامها باكياً حينما تذكر هؤلاء الأبطال الذين كانت تجمعك بهم صحبة وأخوة خالصة ومحبة وصفاء فتذرف العيون الدمع بغير إرادتها وتنهمر العبرات دون أن تشعر بها، فتحت الثرى إخوة لنا نحسبهم قد حطوا رحالهم في جنات النعيم في حواصل طير خضر لها قناديل مُعلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت[4]، ويناد مناد من داخلك بصوت مرتفع متى نذهب إلى

---

4 - عَنْ مَسْرُوق، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللّه هُوَ ابْنُ مَسْعُود عَنْ هَذه الآيَة: "وَلاَ تَحْسَبَنّ الّذينَ قُتلُوا في سَبيلِ اللّه أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عنْدَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ" قَالَ: أَمَا إنّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذلكَ. فَقَالَ: "أَرْوَاحُهُمْ في جَوْف طَيْر خُضْر. لَهَا قَنَاديلُ مُعَلّقَةٌ بالْعَرْش تَسْرَحُ منَ الْجَنّة حَيْثُ شَاءَتْ. ثُمّ تَأْوي إلَى تلْكَ الْقَنَاديل. فَاطّلَعَ إلَيْهِمْ رَبّهُمُ اطّلاَعَةً. فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً؟ قَالُوا: أَيّ شَيْءٍ نَشْتَهي؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ منَ الْجَنّة حَيْثُ شئْنَا. فَفَعَلَ ذَلكَ بهمْ ثَلاَثَ مَرّات. فَلَمّا رَأَوْا أَنّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا منْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبّ نُريدُ أَنْ تَرُدّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادنَا حَتّى نُقْتَلَ في سَبيلكَ مَرّةً أُخْرَى. فَلَمّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُركُوا".رواه مسلم.

تلك الجبال والوديان لنتذكر تلك الأيام الخوالي التي يصعب أن تتكرر بصفائها وطهارة قلوبها وصدق أُخوتها.

وصلنا إلى بيت كبير من طابقين به حديقة جميلة قد أحاطها سياج من الشجر المثمر وبها من الأزهار الجميلة الزاهية ما يضفي على النفس هدوء وراحة وطمأنينة.... كان البيت خاليا من ساكنيه وكأنه كان معداً لاستقبالنا وكان صاحب البيت الأخ الكريم" مجاهد سيب" في استقبالنا ولقد أزال حسن استقباله، وبشاشة وجهه، ورحابة صدره عنّا مشقة السفر ورهبة المجهول، فقد كان رجلاً مضيافاً أكرم وفادتنا، وأحسن إقامتنا، وأزال غربتنا، وهيأ لنا كل سبل الراحة، وشعرنا بالإخوة الإيمانية الحقيقية، وتمثلت لنا سيرة الصحابة –رضي الله عنهم– يوم أن تركوا بلادهم، وبيوتهم، وأموالهم، وهاجروا فراراً بدينهم من مكة إلى المدينة، فوجدوا في استقبالهم إخوة كرام من الأنصار، أكرموا وفادتهم، وأزالوا غربتهم، واقتسموا معيشتهم، وبذلوا لهم كل ما يملكون، مع قلة يد وفقر وعوز حينها.

ونحن لا نُشّبه أنفسنا بهم فذاك جيل فريد من المهاجرين والأنصار سطّروا أروع الأمثلة في الأخوة الصادقة [5] ولولا أنها وصلتنا بأسانيد صحيحة لكانت ضرباً من الخيال....اختارهم الله لصحبة نبيه – صلى الله عليه وآله وسلم– فكانوا خير البشر بعد الأنبياء والرسل رضى الله عنهم ورضوا عنه.

مكثنا في ذلك البيت قرابة ثلاثة الأسابيع في ضيافة كريمة وخدمة ملكية فقد كان طباخ الملك ظاهر شاه هو نفسه القائم على خدمتنا وهو رجل كبير مسن ولكن يظهر من خلال إدارته للمطبخ وطريقته في تقديم الطعام أنه صاحب بروتوكولات ملكية، صحيح أننا كنّا نأكل على الأرض وهذه هي طريقتنا وطريقة الشعب الأفغاني إلا أن البروتوكولات رئاسية أو ملكية المظهر، ومن خلال إقامتنا تعرفنا على ذلك الرجل المسنّ وحكى لنا الكثير عن عمله في قصر الملك ظاهر شاه في السابق وكيف أن هذه القصور ومثيلاتها تمتلئ ترفاً وبذخاً وإسرافاً بعيداً عن معاناة الشعوب وكدّهم وصعوبة عيشهم

---

5 – وهذه صورة منها .. عن أنسٍ رضيَ اللّهُ عنه قال: "قدمَ عبدُ الرحمنِ بن عوف فآخى النبيُّ صلى الله عليه وسلّم بينه وبين سعدِ بن الربيعِ الأنصاريّ، فعرَضَ عليهِ أن يُناصِفَهُ أهلَهُ ومالَه، فقال عبدُ الرحمن: باركَ اللّهُ لكَ في أهلكَ ومالِك، دُلّني على السوقِ. فربحَ شيئاً من أقطٍ وسَمنٍ، فرآهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم بعدَ أيامٍ وعليهِ وَضَرٌ من صُفرة، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: مَهْيَمْ يا عبدَ الرحمن؟ قال: يا رسولَ اللّه، تزوّجتُ امرأةً منَ الأنصار، قال: فما سُقتَ فيها؟ فقال: وزْنَ نواةٍ من ذهب. فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: أوْلِمْ ولو بشاة". البخاري .

....كنا نستمع إليه بإنصات شديد لمحاولة فهم ما يقول بِلُغة البشتو قبل أن يقوم الأخ أبو عمر الحضرمي بترجمة ما يقول- فقد كانت له معرفة لا بأس بها باللغة البشتونية-كنّا نشعر ونحن نستمع إليه بأننا انتقلنا إلى زمن آخر تُطوى فيه صفحات من صفحات التاريخ وتمضي فيه أعمار من أعمار الناس وتقع فيه مظالم قد رحل أهلها دون أن يحصلوا على أدنى حقوقهم لقد رحل الظالم والمظلوم.... رحلوا عن هذه الدنيا الفانية وبقيت الحقوق والمظالم يُقضى فيها عند حاكم لا يُظلم عنده أحد [6].

قد يَكتبُ التاريخ عن الملك ظاهر شاه [7]، ولكن سَيكتب شيئا آخر غير الذي حُكي لنا!.

وكم من تاريخ يُكتب ويُدّرس للأجيال ليس فيه من الحقائق إلا بقدر ما يُخبِر به الكاهن[8]... ومن أراد أن يتحقق فليلقي نظرة على كتب مادة التاريخ التي تُدّرس في المملكة الأردنية، والمملكة العربية السعودية [9]، والمملكة المغربية، والإمارات العربية وغيرها من البلدان ليعرف حجم التزوير والتزييف الذي تُملأ به عقول الأجيال من أجل أسرة حاكمة، أو جلالة ملك، أو رئيس مُفدّى، أو زعيم عقمت الأرحام أن تأتي بمثله -حسب زعمهم-!.

كانت هذه الأسابيع الثلاثة مهمة جداً فقد استطعنا خلالها أن نتعرف على طبيعة الوضع في أفغانستان عموما، وفي جلال آباد على وجه الخصوص، من خلال اللقاءات المتكررة مع قادة الأحزاب وممثليهم، فلم يخل البيت في يوم من الأيام من زوّار أفاضل خاصة بعد صلاة العصر نستقبلهم في شرفة تُطل على حديقة المترل حيث نسائم الهواء العليل، ورائحة الزهور العابقة التي تملأ أركان المكان.... كان أكثر الزوّار ممثلين عن قادة الأحزاب الأفغانية والتي كنّا نشاركها العمل الجهادي في السابق، وتربطنا بهم علاقة أخوية حميمة، وكان الجميع حريصاً أن نكون في ضيافته، وضمن مناطق نفوذه، حيث كانت جلال آباد مُقسّمةٌ بين الأحزاب الأفغانية، وكان أقوى حزبين فيها آنذاك حزب الشيخ يونس

---

[6] – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. حَتّى يُقَادَ لِلشّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشّاةِ الْقَرْنَاءِ». مسلم

[7] – – تولى الحكم في أفغانستان من 1933م بعد اغتيال والده نادر شاه ، واستمر في الحكم إلى سنة 1973 م ، حينما قام ابن عمه محمد داود خان بعمل انقلاب ضده ، وقام بتشكيل حكم جمهوري .. توفي في سنة 2007 م .

[8] – عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها زوج النبيّ صلى الله عليه وسلّم أنها سمعتْ رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: «إنّ الملائكةَ تنزلُ في العَنان ـــ وهو السحابُ ـــ فتذكر الأمرَ قُضيَ في السماءَ، فتَسْترقُ الشياطين السمعَ فتَسمعُه فتوحيه إلى الكُهّانِ، فيَكذبونَ معها مائةِ كذبةٍ من عندِ أنفُسِهم». البخاري .

[9] – هاتين المملكتين قامتا على تقويض الخلافة الإسلامية ، بتوجيهات بريطانية ، واقرؤوا التاريخ على حقيقته !!! فالثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، والدولة السعودية بقيادة الملك عبدالعزيز كانتا معاول هدم للخلافة الإسلامية، وهذه المفاهيم والحقائق لا تجدها في كتاب مدرسي في المملكتين.

خالص-رحمه الله- وحزب المهندس حكمتيار، مــع تواجــد للأســتاذ ســياف وبعــض القــادة الميــدانيين أصحاب النفوذ .... وكان يتردد على زيارتنا بعض القادة الميــدانيين أمثــال المهنــدس محمــود والمعــروف لدى المجاهدين بــ(انجنير محمود) وساز نور، ومجاهد سيب، ومعلــم أول جُــل، والــدكتور أمــين، والقائــد عبدالواحد، وغيرهم كثير .... وكان الحديث في بدايته يدور حول الســؤال عنّــا، وكيــف كانــت إقامتنــا في السودان؟ وما آلت إليه الأوضاع والضغوط في السودان حتى اضطررنا للخــروج منهــا نتيجــة الضــغوط الدولية والإقليمية التي كانت تُمارس على السودان، وتصــدرت المملكــة العربيــة الســعودية تلــك الــدول التي مارست ضغوطها، مستخدمة سياسة العصا والجــزرة، وبعــد خروجنــا اكتشــف الســودانيون زيــف الوعود التي كانت تنتظرهم من المملكة، وأن الجزرة لم تتعد فنجان القهــوة الــذي كــان يُقــدم للمســؤولين السودانيين حين اللقاء بجلالة الملك أو سُمُوّ الأمير!.

ثم بدأ الحديث يتطرق إلى برنامج العمل في أفغانستان، وكيف هــي رؤيتنــا للوضــع القــائم؟ وكنّــا علــى حذر شديد حتى لا يتسبب أيّ فهم خاطئ لإحداث ظنون عند البعض نحــن في غِنّــى عنهــــ وكــان جــل كلامنا حينها عن قضية طاجيكستان حيث أن تنظيم القاعدة قــد تبــنى دعمــا جزئيــاً لقضــية الجهــاد في طاجيكستان، وقامت معسكرات القاعــدة بتــدريب عــدد كبــير مــن الإخــوة المجاهــدين (الطاجيــك والأوزبك) وكان على رأس العمل منذ بدايته الشــيخ أبــو الوليــد المصــري -حفظــه الله- والأخ البطــل الشهيد أبو عطاء التونسي- نحسبه والله حسيبه-والأخ أبو حســين المصــري، والأخ أبــو الفــرج الليــبي - فك الله أسره- والأخ حمزة الزبير، والأخ أبــو تمــيم المصــري، وانضــم إلــيهم فيمــا بعــد الأخ القائــد عبدالهادي العراقي -فك الله أسره- وغيرهم كثير.

وكانت هذه القضية لا تسبب أيّ إزعاج للإخــوة الأفغــان باســتثناء فصــيل الشــمال ربــاني ومســعود وجماعتهم، فقد أرادوا أن يتحكموا بشكل كامل في خيوط اللعبــة.... ووجــود العــرب علــى الخــط قــد يربك المخطط الذي رسموه، وطلب الشيخ أسامة حينها من الإخوة الأفغان دعــم هــذه القضــية وبــيّن لهــم أن نجاحها يصب في صالح القضية الأفغانيــة، ووجــود حكومــة إســلامية في طاجيكســتان يخلــق عمقــاً استراتيجياً لأفغانستان في بلاد ما وراء النهر.... وبالفعل قام الشــيخ يــونس خــالص -رحمــه الله- بتــوفير أسلحة خفيفة كلاشنكوف لكل المجموعة التي تخرجت من المعســكرات حينهــا، بالإضــافة لكميــة كبــيرة من الذخيرة، مع توفير وسائل نقل تنقلهم إلى مناطق الحدود، وكان ذلــك بعــد أن انتقلنــا إلى قصــر الملــك

ظاهر شاه للإقامة فيه، وقد قام الشيخ يونس خالص -رحمه الله- بمقابلة الدفعة التي تخرجت حينها، وألقى فيهم محاضرة طويلة حثهم فيها على الجهاد والصبر في هذا الطريق، مع بعض النصائح التي أسداها لهم من خلال خبرته الطويلة في الجهاد والحياة، فقد كان -رحمه الله- حينها في أواخر العقد الثامن ويتحلى بصحة طيبة وذهن وقّاد، ومن الطريف أننا في إحدى زياراتنا للشيخ يونس خالص وتحديداً في أواخر العام 1999م وجدناه مبتهجا بمولودته الجديدة والتي أسماها (مدينة) تيمناً بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قصر الملك ظاهر شاه

بعد ثلاثة أسابيع وبطلب متكرر من الشيخ أسامة -رحمه الله- ذهبنا إلى قصر الملك ظاهر شاه-الإخوة في الحزب الإسلامي هم من اقترحوا المكان فقد كان يقع ضمن مناطق نفوذهم- في جلال آباد لرؤيته، وهل هو مناسب لإقامتنا بدلا من بيت مجاهد سيب فقد كان الشيخ -رحمه الله- يشعر بشيء من الحرج من طول إقامتنا في بيت الرجل الطيب خاصة وأن الرجل قد أخلى لنا البيت تماما من أسرته التي انتقلت إلى مكان آخر في جلال آباد، وعندما رأينا القصر وجدناه قصراً قديماً جميلاً له ساحات كبيرة تحيط به من كل مكان به أشجار مثمرة وأخرى للزينة مع أنواع مختلفة من الزهور التي تُزيّن المكان، ولكن يبدو من النظرة الأولى أنها مهملة، و لم يعتن بها أحد منذ سنوات، فالأشجار لم تُقلّم منذ سنين، وكذلك الورود والحشائش لم تُنظف، والأعشاب قد استفحلت وملأت المكان حتى غلبت في بعض الأماكن على الأشجار والورود، ومع ذلك يبقى القصر قصراً وإن كان مهجوراً.

كان القصر نظيفاً من الداخل، ويبدو أنه كان مُستخدماً من قِبل الحزب الإسلامي، وقال الإخوة المرافقون لنا من الحزب أن القصر كله تحت تصرفكم باستثناء بعض الغرف المغلقة التي كانت بمثابة مخازن لبعض الأجهزة الخاصة بالحزب .... وشكرنا الإخوة المرافقين لنا وأخبرناهم بأننا سنبقى في القصر، فقد شعرنا جميعا بأنه قد أزال عنّا حرج البقاء في بيت مجاهد سيب -رحمه الله-.

رجع الأخ حمزة الزبير وبعض الشباب إلى بيت مجاهد سيب لإحضار ما تركناه من أشياء خاصة بنا وبدأنا في ترتيب إقامتنا في القصر مع قلة عددنا وزادنا لنبدأ مرحلة جديدة من مراحل جلال آباد.

قصر ولو كان عتيقا

كان القصر عبارة عن طابقين اثنين، وله ثلاثة مداخل غير المدخل الرئيسي، وكان المدخل الرئيسي قد تم تصميمه على طريقة القصور الملكية، حتى أن الزائر يشعر من أول وهلة أنه في مكان متميز له مراسمه الخاصة به.

الطابق السفلي عبارة عن ممر طويل يشق المبنى نصفين، وكل أبواب الغرف تفتح على هذا الممر، وهناك سُلم داخلي في آخر الممر يؤدي إلى الطابق العلوي، بخلاف السلم الرئيسي عند المدخل، ويوجد في آخر الممر حَمّامين يحتاج الوصول إليهما إلى مرشد سياحي، وخريطة تفصيلية، و"جي بي إس".

أمّا الطابق العلوي فيختلف بعض الشيء عن الطابق السفلي، فبه غرفة كبيرة للضيافة مع بعض الشرفات الكبيرة التي تطل على الفضاء الخارجي القريب والبعيد، وهواؤها غاية في الجمال والصفاء والنقاء إذا ما قورنت بالعواصم أو المدن الكبرى.

كما يوجد فضاء كبير أعلى المدخل الرئيسي قائم على أعمدة يضفي عليك شعوراً بأنك معلق في الهواء تنظر من خلاله على حديقة القصر، وترى من أمامك نهر جلال آباد شديد الانحدار يتدفق بسرعة وانسياب مع صوت خرير الماء، ويحيط بالمكان أشجار غاية في الارتفاع والجمال وكأنها لوحة فنية بديعة رسمها فنان مُحترف، مع هواء صاف نقي لا يعكره ظلم الحاكم، وفي الأعلى بعض درجات للسلم تستطيع من خلالها الصعود إلى سطح القصر لإصلاح خزانات المياه القديمة وما يتعلق بها من خدمات.

كان للقصر ساحات داخلية محاطة بسور مرتفع حول القصر، وساحات خارجية كبيرة بها مزارع البرتقال واليوسفي، والنخيل، وبها أشجار للزينة قد أُهملت منذ سنوات....وعند الطريق الرئيسي كانت هناك نقطة للحراسة بها عدد من الإخوة الأفغان التابعين للحزب الإسلامي، ولا يسمحون لأحد بالوصول إلينا إلا بعد الاستئذان منّا....ولكن كان بالقصر ثغرات أمنية غاية في الخطورة، وبه نقاط ضعف يستطيع أيّ أحد الوصول إلينا من خلالها .... فقد كانت الجهة الأمامية للقصر هي فقط المحروسة، أمّا الجهات الأخرى فقد كانت مهمة الحراسة فيها للكتيبة العسكرية المخولة بالحراسة للقصر في السابق، وهذا لم يعد موجودا في الوقت الراهن، وحتى السجن الذي وجدناه بجوار القصر

كان خالياً مهجوراً قد تهدم بعض أركانه .... وكأنهم كانوا يستخدمون هؤلاء السجناء في العمل في حديقة القصر الكبيرة باعتبارهم عبيد عند الملك كما هو حال الشعوب العربية اليوم بالنسبة لملوكهم ورؤسائهم!.

هذه النقاط المفتوحة كان أمامها حقول زراعية مد البصر واستطاع بعض المتطفلين من الوصول إلينا وسرقة بعض الأشياء من خيِمنا خاصة تلك الخيام التي رغب أصحابها في أن تكون على أطراف محيط القصر والحمد لله لم يَعْدُ الأمر أكثر من سرقة بعض الأغراض والأموال البسيطة وكاسات الشاي التي كانت من أساسيات الخيم....وكان السبب الرئيسي في ذلك قلة عددنا، مع اتساع المكان وضخامته، بحيث يصعب على الإخوة المناوبين في الحراسة تغطية هذه المساحات كلها.

كان في خدمتنا سيارة دبل كبين مع سائقها مُرسل من قبل مجاهد سيب-رحمه الله- وكانت هذه السيارة لا تفي بكل الاحتياجات، فقررنا شراء سيارة أخرى، وكانت سيارة تويوتا دبل كبين حمراء اللون وبعد شرائها قرر الشيخ أسامة -رحمه الله- أن يعيد السيارة للأخ مجاهد سيب مع بقاء السائق للعمل على السيارة الجديدة براتب شهري تم الاتفاق عليه.

وهكذا بدأت أمورنا بالاستقلال شيئاً فشيئاً وهذا رفع عنّا كثيرا من الحرج الذي كنا نشعر به تجاه كرم الإخوة الأفغان الذين لازمونا و لم يتركونا يوماً واحداً، فقد خصص الشيخ يونس خالص-رحمه الله- والحزب الإسلامي، والأستاذ سياف، مندوبين لهم ليكونوا في إعانتنا في حال الحاجة إليهم وكانوا موجودين معنا بشكل يومي.

وهناك وفي قصر الملك وفي الساحات الخارجية للقصر بدأت جلسات العمل فوق حصير من الخوص وتحت ظلال الأشجار الوارفة، ومع نسمات الهواء العليل التي تهب علينا بين الفينة والفينة....كان أغلب الحديث يدور حول العمل المستقبلي لتنظيم القاعدة، وكان على رأس الجلسات الشيخ أسامة مع الشيخين الشيخ أبي الوليد المصري، والشيخ أبي حفص الكومندان "صبحي أبو ستة"، وكاتب هذه السطور، وانضم لهذه الجلسات لاحقاً بعد وصولهم من الخرطوم الإخوة الكرام الشيخ سعيد، والشيخ سيف العدل، والشيخ أبي عبيدة الموريتاني، وكان النقاش يدور حول إمكانية تفعيل العمل ضد الأمريكان واليهود والعقبات التي يمكن أن تحُول بيننا وبين تطوير العمل وتنشيطه، وهل سيقبل الإخوة

الأفغان مثل هذا المشروع؟ خاصة وأن المملكة العربية السعودية تمتلك من وسائل الضغط على الأحزاب الأفغانية ما يجعلهم يفكرون ألف مرة قبل أن يوافقوا على مثل هذا المشروع، **والمملكة تُشّكل الحليف الأول للأمريكان في المنطقة منذ نشأتها فلا تجد قراراً دولياً، أو عملا غربياً، أو غزواً أمريكيا للمنطقة إلا وتجد العجلة السعودية تدور في فلكهم وحسب رغباتهم، ولا يخفى على أحد أن كل المخططات الأمريكية والصليبية في المنطقة تمر عبر بوابة المملكة العربية السعودية، فقد قامت على العمالة منذ نشأتها، وكل ما تغير في الأمر أنها استبدلت السيد البريطاني بالسيد الأمريكي مع الاحتفاظ بجزء من العبودية للسيد الأول وهذا أمر جائز في فقه المملكة.**

كنا نجلس الساعات الطوال في مناقشة الأفكار، ووضع العقبات، وكيفية التغلب عليها، مع اتفاق الجميع على ضرورة تنشيط العمل ضد الأمريكان واليهود، وقد استقر أمرنا على إخراج بيان نعلن فيه إعلان الحرب على الأمريكان واليهود، مع أننا توقعنا معارضة كبيرة من قادة الأحزاب الأفغانية، خاصة وأن الكثير من أولئك القادة كانت لهم علاقات وارتباطات وثيقة بالحكومات الخليجية المرتبطة عضوياً بأسيادها في البيت الأبيض، ولن ترضى بأي تعكير لأمزجة السادة، فضلاً أن تُعلن عليهم حرباً مفتوحة لا نهاية لها، ولكن شجعنا على اتخاذ ذلك القرار وجود بعض القادة، والقادة الميدانيين، أصحاب النفوذ والقوة ممن يناصرنا ويؤازرنا أمثال الشيخ العالم المجاهد الشيخ يونس خالص-رحمه الله- والذي لم يدخر جهداً لمناصرتنا ومؤازرتنا، ولم يلتفت يوماً لرضى وغضب الأمراء والملوك أصحاب الجلالة والسمو، **وبعد دراسة عميقة ودقيقة ومتأنية لكل الجوانب المحتملة تم اتخاذ القرار بالإجماع بضرورة إخراج البيان والذي كان بمثابة نقطة تحول في تاريخ الحركة الجهادية المعاصرة، وما زالت آثاره الطيبة تُلقي بظلالها على عالمنا العربي والإسلامي، حيث انتشر الفكر الجهادي المعادي لراعية الإرهاب العالمي أمريكا وأذنابها في المنطقة، وتبنت الكثير من الحركات الجهادية لهذا الفكر العالمي الذي أَرّق مراكز القرار لدى قادة الكفر العالمي.**

كانت الأحداث في فلسطين على أشدها، وهناك غليان شعبي ضد اليهود في كل الدول العربية، وهناك حنق على الحكومات العربية التي لا تحرك ساكنا تجاه القضية الفلسطينية، وتجاه الشعب الفلسطيني، والمظاهرات تعم الشوارع في أكثر مدن العالم، باستثناء المملكة العربية السعودية التي يَحْرُمُ فيها المظاهرات بفتوى مُسيّسة من بعض علماء المملكة، وهؤلاء العلماء هم من سيصدرون الأحكام التي

تبيح للحاكم ما يريد حتى لو تعارضت مع الأحكام الشرعية التي تعلموهـــا، فهـــم تحـــت الطلـــب ولا حـــول ولا قوة إلا بالله.

وتزامن ذلك مع حدث تفجير أبراج الخبر في عـــام 1417ه، 25 يونيـــو 1996م وكانـــت هـــذه الأبـــراج مخصصة للجنود الأمريكان الذين استدعتهم المملكـــة لحمايتهـــا مـــن صـــدام حســـين –حســـب زعمهـــم– ودخلوا بفتوى ومباركة من العلماء الرسميين حينها، ومازالت هذه الفتوى معمول بها إلى يومنا هذا.

وقد قام بالإشراف على العملية وتنفيذها أربعـــة مـــن الإخـــوة المجاهـــدين الـــذين تـــدربوا في معســـكرات القاعدة في أفغانستان إبان الغزو الروسي، وقد أسفرت العملية عن قتـــل 19 مـــن العســـكريين الأمـــريكيين، وجرح 372 من القوات الأمريكية حسب البيانات الأولية، ومن هلك بعـــد ذلـــك مـــن الجرحـــى لم يُعلـــن عن أسمائهم ولا أعدادهم كعادتهم لإضعاف الخبر، كل ذلك سارع في ضـــرورة إخـــراج البيـــان، وإن كـــان البيان قد تأخر كثيراً حتى رأى النور بسبب التدقيق في كل كلمة خاصـــة وأنـــه بيـــان مصـــيري بحاجـــة إلى دراسة ومراجعات.

رسول الخليفة في القصر

جاءنا أحد الحراس من الإخوة الأفغان وقال بأن هناك ثلاثـــة مـــن العـــرب يرغبـــون في مقـــابلتكم، وبعـــد تعريف أنفسهم سُمح لهم بالدخول وكنتُ في استقبالهم، وقد أوصاني الشـــيخ أســـامة –رحمـــه الله– بحســـن استقبالهم وإكرام وفادتهم، والتلطف معهم ،كما هي عادتنا مع كل الضـــيوف الوافـــدين إلينا....لقـــد كـــان وفداً من مسؤولي الخلافة الإسلامية والتي أعلنهـــا بعـــض الإخـــوة العـــرب ســـنة 1412ه، 1992م وقبـــل سقوط العاصمة كابل، واعتبروا هذا الإعلان ضرورة شرعية، ويجب على الجميـــع أن ينضـــوي تحـــت هـــذه الراية الجديدة للانطلاق نحو الأقصى.

صحيح أنه لم ينضو تحت هذه الراية حينها إلا القليـــل، إلا أنهـــم شـــكلوا مـــن أنفســـهم خلافـــة، وأمـــيراً للمؤمنين وديواناً لأمير المؤمنين، ووزيرا للحرب، وديوانا للحســـبة ....الخ، واتخـــذوا مـــن ولايـــة بكتيكـــا مقراً لهم.

استقبلتُ الوفد في الباحة الخارجية للقصر، وهو المكان المعتاد لاســـتقبال الوافـــدين إلينـــا، وفي ظـــل إحـــدى الأشجار جلسنا على حصير من الخوص لتناول الشاي....تبادلنا التحيـــات والســـلامات خاصـــة وأن اثنـــين

من الوفد كانت لي بهم معرفة سابقة، فقد تدربا في معسكر الفاروق يوم أن كنتُ أميراً للمعسكر، والثالث كان أحد طلبة العلم لم ألتقه من قبل وكان من بلاد الخليج ومن الكويت على وجه التحديد.

بدأت الحديث بألطف العبارات، والسؤال عن أحوال الإخوة العرب الموجودين في جلال آباد، وذكروا لي عدداً محدوداً منهم، ثم تحوّل الحديث من جانبهم عن سبب الزيارة وأنهم جاؤوا كرُسل من طرف الخليفة لدعوتنا لبيعة الخليفة، وقدّموا أنفسهم على حسب مسؤولياتهم ووظائفهم.

- وزير الحرب.
- كاتب ديوان أمير المؤمنين.
- الأخ الكويتي اكتفى مشكوراً بأنه طالب علم رافق الأخوين لمناقشة أيّ اشكالية شرعية قد تطرأ أثناء الحوار.

وبدأوا في عرض نشاطهم ودعوتهم، وذكروا كثيراً من العقبات التي واجهتهم، وكيف تخطوا هذه العقبات ....كان بعض هذه العقبات خارج إطار أفراد الخلافة خاصة من بعض الكومندنات الأفغان الذين خافوا على رياستهم ومكتسباتهم على حسب كلام الوفد! وبعضها من داخل أفراد الخلافة، وقد تم تجاوزها بصعوبة كبيرة ....وحتى هذه اللحظة لم أكن أعرف من هو الخليفة!.

فقلت لهم بلطف وهدوء، من الخليفة؟.

قالوا: الشيخ أبو همام.

وكنت أعرفه سابقا فقد كان يخطب أحيانا في مسجد الخوص في بيشاور.

قلت لهم: كيف تم اختيار الخليفة؟.

قالوا: كان من المقرر أن يكون الخليفة شخص آخر من الجزيرة العربية ولكنه مُنع من السفر، فتم اختيار الأخ أبي همام لتوفر الشروط في صحة إمامته!!! خاصة وأنه قُرشي، فزال الخلاف هل القرشية شرط صحة أم شرط كمال؟.

قلت لهم بهدوء: أنتم تعرفون أننا قد رجعنا من السودان منذ وقت قصير، وما زلنا ندرس الساحة الأفغانية مع مواصلة برنامج تدريب ودعم الإخوة الطاجيك، وهذا برنامج قديم ونريد تنشيطه وتقويته

ويحتاج منّا إلى مجهود كبير، فأنتم تعملون في برنامجكم ونحن نعمل في برنامجنا ونتعاون فيما بيننا على قدر الاستطاعة ....ثم تطرق الحديث لمواضيع مُتفرقة، وبعد الصلاة تناولنا الغداء واستأذنوا في الذهاب على أن نلتقي مرة أخرى إن شاء الله تعالى.

جاءنا خبر من السودان بأن المجموعة الثانية ستتحرك إلينا خلال أيام، وكان هذا الخبر بمثابة مرحلة عمل مكوكية لتجهيز ما يلزم لهذه الأسر، فمجموعتنا الأولى لم يكن برفقتنا أحد من العائلات لذلك كان ترتيب أمورهم أمراً سهلاً وميسوراً، أمّا وجود العائلات فيلزم منه ترتيبات جديدة وإداريات خاصة.

نجم الجهاد

وهذه منطقة تابعة للشيخ يونس خالص-رحمه الله- وكانت منطقة مُسطحة كبيرة قسّمها الشيخ يونس رحمه الله بين الإخوة المجاهدين الذين عملوا معه ورافقوه سنوات طوال في مسيرته الجهادية، وكانت بها بعض البيوتات المتفرقة، وبئر كبير يتوسط المكان، وكان الدكتور أمين -حفظه الله- وهو أحد الإخوة المقربين من المهندس محمود، والشيخ يونس خالص، وتربطه علاقة طيبة وقوية بالمجاهدين العرب عموماً، وبنا على وجه الخصوص، ويتحدث العربية بشكل جيد، عرض علينا أن نأخذ قطعة الأرض المخصصة له ولأسرته في نجم الجهاد ونبني عليها بيوتاً للإخوة القادمين، وقد كانت قطعة أرض كبيرة تكفي لبناء عدد كبير من البيوت، ولكن بقيت المشكلة قائمة، فالبناء بحاجة إلى وقت طويل لإتمامه، وفكرنا في الأمر كيف سنستقبل تلك الأسر هل نبحث عن بيوت للإيجار في المدينة وهذا أمر ليس بالسهل في مدينة مثل جلال آباد، والوقت لن يكفي، واستقر الأمر على إقامة خيام في المحيط الخارجي للقصر تكفي لجميع الأسر القادمة، وتم تكليفي بهذا العمل على أن يتم خلال أيام وهذا يتطلب عدد كبير من العمال ومن المواد اللازمة لإتمام المشروع.

خيام في مزارع البرتقال

المطلوب:

- عدد من العمال.
- أدوات للحفر وتسوية الأرض.

- خيام.
- حصير لعمل سياج حول كل خيمة.
- أخشاب للحمامات.
- شوالات.
- خيوط وإبر كبيرة.
- بُشك ماء.
- أزيار وقلل.
- تجهيزات للبيوت.

طلبنا من الإخوة الأفغان إحضار عدد من العمال لبدء العمل بعد أن قمنا بشراء ما يلزم من أدوات العمل، وفي صباح اليوم التالي كان العمال يقومون بتسوية أماكن الخيام بين أشجار البرتقال، و لم يمض سوى خمسة أيام حتى كانت الخيام جاهزة لاستقبال أكثر من عشرين أسرة، وكل خيمة لها سياج خاص يحيط بها، وحمام، ومطبخ، بشكل متواضع جداً على طريقة المجاهدين.

بعد يومين من إتمام العمل جاءت الأخبار بقرب وصول الطائرة التي تحمل الإخوة والأخوات، وكنّا في استقبالهم ساعة وصولهم، وقد وصلوا إلينا بعد رحلة من المعاناة والشدة في طائرة شحن تم استئجارها من إحدى الشركات العاملة في السودان، ونزلت جميع الأسر في الخيام المعدة لها مسبقا لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الهجرة الثانية إلى أفغانستان.

كان الجو حاراً، والخيام غير مُجهزة بوسائل تبريد، وجلب المياه فيه مشقة على الكبار والصغار، ووسائل الطهي كانت مُزعجة للأخوات، وكثير منهم لم يعتدن مثل هذه الحياة، ومع ذلك فليست هناك كبير مُشكلة ....بدأت العائلات في الدخول إلى القصر صباحاً والبقاء هناك حتى صلاة العصر تفادياً لحرارة الشمس القوية والرطوبة العالية، وشيئاً فشيئاً بدأت بعض الأسر بالإقامة داخل القصر حتى تم احتلاله بالكامل.

في تلك الأثناء كان العمل يسير بشكل سريع في نجم الجهاد، فقد تم تكليف الشيخ أبي همام الغريب – رحمه الله– والشيخ أبي حفص العرب –رحمه الله– بالإشراف على عملية البناء هناك وقد قطعا شوطاً

كبيراً في بناء المجّمع السكني في وقت قياسي لم يتعد الشهرين، فقد كان الأخوين أصحاب خبرة عالية في الإنشاءات، وكان الشيخ أبو حفص العرب فنياً متميزاً بمهارته الكبيرة، وصاحب تجارب سابقة في هذا الإطار.

أرانب في قصر الملك

بعد أن تم احتلال القصر تماما بدأت العائلات في جلب بعض الطيور من السوق ،كالبط، والدجاج، والديك الرومي، ولم يخلُ الأمر من الأرانب، حتى أصبحت باحة القصر الداخلية تبدو وكأنها حديقة للطيور والأرانب بمختلف الأشكال والأحجام.

وذات يوم ونحن وقوف في الباحة الداخلية للقصر، رأينا بطة تندفع بقوة من ماسورة تصريف المياه لإحدى بلكونات الطابق العلوي وهي تترنح، فقد ذبحوها في الأعلى فسقطت في الماسورة واندفعت للخارج وما زالت تجري في الحوش وسط صرخات الصغار....ضحكنا وضحك الجميع فقد كان مشهداً عفوياً يدل على بساطة حياة ومعيشة المجاهدين حتى ولو كانوا في قصر الملك.

وبعد أيام بشّرتني زوجتي الغالية بثلاثة توائم فقد أخذتني إلى السلم العُلوي للقصر لأرى أرنبتنا الجميلة وأبناءها الثلاثة التي وضعتهم منذ أكثر من أسبوعين وقد ظهرت ألوانهم الجميلة الزاهية.

وقالت وهي تبتسم خليتها لك مفاجأة....قلت: الحمد لله على نعمه، والحمد لله إن ظاهر شاه في ايطاليا!

وهكذا بدأ جيل جديد من الأرانب، والطيور، يملأ باحة القصر الداخلية بعد أن كان ممتلأ بالحراسة والخدم، وظلم الملك.

تورا بورا

كان الشيخ أسامة –رحمه الله– يرغب في مكان أكثر أمنا من القصر، وتكلم مع الشيخ يونس خالص رحمه الله بهذا الشأن فَأَخَذَنا في رحلة مُمتعة جميلة بين الجبال والوديان إلى منطقة تورا بورا حيث نقطة الانطلاق الأولى للشيخ يونس خالص ومجموعته في جهاده ضد الاتحاد السوفيتي ... كان المكان بديعاً .... فأشجار الجوز تملأ المكان، والجبال الشاهقة مكسوة بالخضار وكأنها أُلبست حلة خضراء بهية

حيث تنتشر بها أشجار الصنوبر الشاهقة والمياه الصافية تجري في قناة رقراقة بديعة، أمّا الوديان فكأنها أنهار تجري من كثرة تدفق مياهها.

كان هناك غرفتين ومسجداً، وبعيداً في طرف الجبل يقع المطبخ الأفغاني المعروف....كما كان المكان محصناً تحصينا طبيعياً، وبه نقاط حراسة تابعة للشيخ يونس خالص، بقينا في ضيافة الشيخ يونس -رحمه الله- ذلك اليوم، وفي اليوم التالي كنّا نحن أصحاب المكان، فقد قرر الشيخ أسامة -رحمه الله- عدم مغادرة المكان فقد كان مكاناً مثالياً لإقامة المجاهدين، بالإضافة لسحر مناظره الخلابة، وهوائه النقي الذي يُضفي على ساكنيه هدوء البال، وصفاء التفكير.

ولنا في جبال تورا بورا ذكريات كثيرة شيّقة ولكن سأقتصر هنا على ما يتعلق بموضوع عملنا ضد الأمريكان واليهود .... فمن هذا الجبل وداخل إحدى غرفه الصغيرة كان بيان إعلان الجهاد العالمي ضد اليهود والصليبيين والذي كان بمثابة نقطة تحول في طبيعة الصراع بيننا وبين الأمريكان .... فبعد أن كان الجهاد محلياً محصوراً بحدود جغرافية مُصطنعة، أصبح يأخذ بُعداً عالمياً في محاولة من تنظيم القاعدة حينها لإحياء مفاهيم ومعان قد اندرست، وإزالة لركام الماضي الذي خلّفه الاستعمار الصليبي.

هذا البيان كان لابد أن يرافقه عمل على الأرض، وكان هذا هو السؤال الأول والأهم لدى جميع الصحفيين والمراقبين الذين جاؤوا تترا لعمل لقاءات صحفية مع الشيخ أسامة -رحمه الله-.

نجم الجهاد

لقد انتهت أعمال البناء في منطقة نجم الجهاد، وتم توزيع البيوت على جميع الأسر، فقد كان كل بيت يتكون من غرفتين، وصالة صغيرة، ومطبخ، وممر صغير يصل بين الغرفتين، وتم التصميم بصورة يسهل بها تقسيم البيت الواحد لبيتين إذا استدعى الأمر، وهذا ما حدث فقد تم تقسيم البيت الواحد إلى بيتين وسكن الجميع في هذه البيوت البسيطة، وكان الجميع في راحة وهناء، فالسعة في القلوب، والراحة في حسن الجوار.

كان يتوسط ذلك المجمّع مسجد يناسب العدد الموجود، وكان في القسم الآخر منه مضافة تتكون من ثلاث غرف، مع مطبخ، وبعض الحمامات.

كانت هناك أحداث كثيرة سوف أتخطاها خشية الإطالة ولعدم صلتها بالموضوع الذي بين أيدينا.

وفي تورا بورا تمت بعض اللقاءات الصحفية مع الشيخ أسامة -رحمه الله -كان من أشهرها اللقاء الصحفي مع صحيفة القدس العربية والذي أجراه رئيس التحرير الأستاذ عبد الباري عطوان، وقد كان لهذا اللقاء صدى ًكبيرٌ، خاصة وأن الأستاذ عبدالباري عطوان اختار مانشيتات جذابة للقارئ، وجعل اللقاء عبارة عن حلقات، وجعل من رحلته إلى تورا بورا حديثا مُشوّقا للقارئ والمستمع، وهذا أمر طبيعي لصحفي مُحترف مثله.

وكان من أبرز الأسئلة التي وجهها للشيخ أسامة تساؤله عن الترجمة العملية للبيان؟.

وأين وجهتكم القادمة؟.

لقد كان الجميع يسأل عن العمل ضد الأمريكان، وكيف ستكون طبيعة العمل؟ وشكله؟ خاصة وأن الكثيرين يُشككون في إمكانية ضرب الأمريكان، الذين يمتلكون كل الإمكانيات لكشف أيّ عمليات ضد مصالحهم....فهم يمتلكون أرقى التقنيات الحديثة، وجهاز "السي آي إيه" هو أكبر وأنشط جهاز استخباراتي في العالم، وضمن لوائحه الوظيفية ملوك ورؤساء! وبقية رؤساء وملوك العالم وأجهزتهم في خدمة السيد الأمريكي....فضرب المصالح الأمريكية في داخل أمريكا أو خارجها أمر في غاية الصعوبة إن لم يكن مستحيلا.

هذه نظرة الآخرين!

أمّا نظرتنا فعلى النقيض تماما، فيوم أن أخرجنا البيان الشهير بإعلان الحرب على الأمريكان كانت ثقتنا بالله كبيرة، وعزمنا قويٌ، وإرادتنا صلبة، ومصممون بعون الله وتوفيقه على ضرب الأمريكان خارج أمريكا وداخلها.

وفي نجم الجهاد كان الحديث يدور حول ضرورة الإسراع في ضرب الخصم ضربة نوعية وكانت الأهداف التي طرحناها في النقاش كثيرة وكبيرة.... وبالفعل تم الاتفاق على استهداف أحد الأهداف المهمة في اليمن وتم تكليفي بهذا العمل.

أرسلنا أحد جوازات السفر لباكستان لتجهيزه هناك، فقد كان قسم الوثائق لم يكتمل بعد نتيجة الانتقال من السودان لأفغانستان، وقد كنّا نمتلك مكتباً وثائقياً على درجة كبيرة من المهارة والاحترافية في تجهيز ما يلزم من جوازات ومستندات لدواعي السفر وغيره.

كانت هناك أحداث كثيرة، ولقاءات متعددة، مع شخصيات أفغانية، وعربية، وباكستانية، وأجنبية، ولولا الإطالة لسردت من تلك الأحداث الكثير والكثير، ولكنها غير مُتعلقة بموضوعنا باستثناء السؤال الذي لم يتوقف عن برنامجنا العملي ضد المصالح الأمريكية.

وممن وفد إلينا بعض الإخوة العرب الذين كانوا قد هاجروا للعمل في طاجيكستان وحدثت لهم بعض الصعوبات....فلما سمعوا بقدومنا توجهوا إلى جلال آباد، برفقة الأخ المجاهد الكبير الضرغام حمزة الغامدي -حفظه الله- وكان الأخ عزام المكي رحمه الله-منفذ عملية نيروبي- من بين الإخوة الذين كانوا برفقته.

جواز السفر

كان الإخوة في باكستان قد انتهوا من جواز السفر الخاص بي وأرسلوه إلينا في جلال آباد، ولكن بعد التدقيق فيه لم يوافق الإخوة عليه، فقد كان فيه بعض العيوب الظاهرة، فقررنا عمل جواز آخر وهذا قد استغرق بعض الوقت.

الوفد الكيني

فقد وفد علينا في جلال آباد اثنان من الإخوة الكرام وهما الأخ فهد، والأخ صهيب، قادمين من معسكر "جهاد وال" بعد أن حصلا على بعض الدورات العسكرية، وفي الحقيقة كانوا من خيرة الإخوة الذين قدموا إلينا.

"ومعسكر جهاد وال" من المعسكرات الرئيسية التابعة لتنظيم القاعدة ومقره في ولاية بكتيا وبالتحديد في مركز الولاية"خوست" القريبة من الحدود الباكستانية، وقد كان له نشاطٌ متميزٌ أيام الجهاد ضد السوفييت فقد تدرب فيه الآلاف من المجاهدين الذين كانوا يرغبون في الدورات التخصصية، في الطبوغرافيا، والمساحة العسكرية، وحرب المدن، والتكتيك، والمتفجرات، والمسدسات، والقنص، ودورات القتال القريب، وقد تعاقب على إدارته كوادر عالية الكفاءة، كان لها أثر طيب في تخريج كفاءات متنوعة في جميع التخصصات استطاعت أن تواصل المسيرة بنجاح واقتدار، وقد استمر نشاط ذلك المعسكر حتى بعد خروج التنظيم وتوجهه إلى السودان، وكان على رأسه الأخ أبو عطاء التونسي

-رحمه الله- والأخ أبو الفرج الليبي -فك الله أسره- مع عدد من الإخوة المدربين أصحاب الكفاءات العالية الذين واصلوا المسيرة حتى عودتنا من السودان.

كانا الأخوان فهد وصهيب يتكلمان اللغة العربية، فهما من أصول يمنية، سكن أجدادهم منطقة الساحل مع الفتوحات الإسلامية، واستقروا قديما في مومباسا.

بقى الأخوان معنا قرابة الشهرين وقد ظهر لنا أصالة معدنهما، وطيب أخلاقهما، ونشاطهما المميز، مع تزكية الإخوة لهم في معسكر "جهاد وال"، وفي أثناء وجودهما ومن خلال حديثهما تبين لنا مدى حنقهم على الأمريكان، فقد حكوا قصصاً يشيب لها الولدان من أفعال الجنود الأمريكان حينما يترلون مومباسا فيرتكبون كل مُحرم جهاراً نهاراً، ويخالفون كل القوانين المعمول بها في البلاد، وليس هناك رادع يردعهم مما يثير حفيظة المواطنين ضدهم، ولكن ليس باليد حيلة....صحيح أن مومباساً مدينة ساحلية ومليئة بالبارات، والخمارات، ويفد إليها الآلاف من السياح الغربيين الذين ينشرون الرذيلة أينما ذهبوا، إلا أن فسقهم ورذائلهم تتصاغر أمام ما يرتكبه الجنود الأمريكان عندما يترلون بالمدينة للاستراحة والاستجمام....فهؤلاء تتجاوز مخالفاتهم كل التصرفات البشرية، وتتزاحم بل تزيد على الأفعال البهيمية، مع كِبرٍ واستعلاء واستفزاز لمشاعر السكان المحليين، الذين لا قيمة لمشاعرهم عند هؤلاء المتغطرسين.

يقول الأخ فهد: في أحد الأيام كان الجنود الأمريكان يمارسون كل الموبقات في الشوارع، من سُكر وتسكع وما بينهما [10] -اغتصاب للفتيات الكينيات في الشوارع أمام كل المارة من السكان- وكان عندي سلاح آليّ ففكرت أن أذهب وأحضره وأقتل به هؤلاء المجرمين، كان الأخ فهد واحداً من أبناء مومباسا الغيورين، يريد أن يفعل شيئا ولكنه بحاجة لمن يدعمه ويشجعه.... وفي صبيحة يوم من الأيام عرض علينا الأخ فهد مشروع عملية على الجنود الأمريكان وقال أنني مُستعد للتعاون معكم ....أيّ أسلحة .... أيّ متفجرات .... أيّ قنابل .... أستطيع توفير كل ذلك بإذن الله.

[10] اغتصاب الكينيات في الشوارع وقتلهن خطأ فردي من بعض الجنود ولو حدث هذا لأمريكيات من جنود كينيين لأصبحت خطيئة كبرى تعاقب عليها الحكومة والشعب الكيني بأكمله تحت نظرية الاستعباد.

قمنا بدراسة المشروع، وبعد وضع كل التصورات تم الموافقة على العمل على الأمريكان في شرق إفريقيا .... ويكون هذا هو العمل الأساسي .... أمّا العملية الأخرى فيمكن أن أذهب للإشراف على التجهيزات، مع ترك أمر التنفيذ لأحد الإخوة القدامى هناك، على أن يكون التوقيت مُتقارباً جداً....وتم الاتفاق مع الأخ فهد على ترتيبات العمل، على أن يبقى هذا الأمر طي الكتمان حتى أصل إلى نيروبي....وتحرك الأخ فهد مُتجهاً إلى شرق إفريقيا ينتظر قدومي إلى كينيا.

الانتقال المفاجئ إلى قندهار

كان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد ذهب في رحلة إلى قندهار بناءً على طلب من أمير المؤمنين في صحبة بعض الإخوة، وطلب منه أمير المؤمنين التحول إلى قندهار، وعرض عليه بعض الأماكن للسكن منها مُجمع المطار، وقد وافق ذلك رغبة عند الشيخ أسامة -رحمه الله-.

وبعد عودة الشيخ من رحلته بشهرين تقريباً، جاءتنا بعض الأخبار المؤكدة من الإخوة الأفغان بأن هناك مؤامرة ضدنا بقيادة حاج قدير والي جلال آباد حينها، وبدعم خليجي، وأنه يُجهز للهجوم على المجمع.

وحاجي قدير كان من الناحية التنظيمية تابعًا للشيخ يونس خالص، إلا أن الرجل خرج عن الطوق وأصبح له استقلاليته التامة، وعلاقاته المشبوهة بدول إقليمية ودولية، يمكن أن تستخدمه لتحقيق مخططاهَا الخبيثة....وقد حاول مقابلة الشيخ أسامة وأرسل في طلب ذلك أكثر من مرة على أن يتم اللقاء في مقر الولاية، وقد حَذَّرَنا بعض الإخوة المخلصين من مكر الرجل وعمالته مما حمل الشيخ على رفض ذلك الطلب بطريقة هادئة ومهذبة.

ذلك الهجوم المحتمل وإن كان صعباً من الناحية العملية إلا أنه ممكن، وقد يكون هناك مكر آخر حال تعذر ذلك الهجوم....خاصة وأنه **كانت هناك تصريحات من "الأستاذ رباني" بأنه لا يمانع من تسليم المجاهدين العرب في حالة وجودهم تحت سيطرة نفوذه....كما بلغنا بشكل أكيد بأن القائد الشمالي "أحمد شاه مسعود" يُخطط للقيام بعملية خاطفة ضد الشيخ أسامة والمجاهدين العرب.**

اجتمعنا بعد صلاة الفجر، وتدارسنا الأمر، وخرجنا بقرار مغادرة جلال آباد في نفس اليوم، ورجع الجميع إلى بيوهم ولكن ليس لتناول الإفطار بل لجمع ما يمكن حمله، وتم تأجير عدد كبير من الباصات

الصغيرة التي حملتنا إلى كابل ومن ثم التوجه منهـا إلى قنـدهار....كانت هنـاك أحـداث كثـيرة ومثـيرة خلال تلك الرحلة الطويلة، ولكن سأتجاوزها باستثناء حـادث واحـد جـدير أن يُـذكر ألا وهـو حـادث القنبلة اليدوية والطائرة، فقد وجدنا في تلك الحادثة لطف الله سبحانه وتعالى بنا وبالإمارة الإسلامية.

مكثنا في كابل لمدة ثلاثة أيام ننتظر وجود طائرة مناسـبة لحمـل العـائلات إلى قنـدهار، فقـد توجهنـا إلى المطار في اليوم الثاني من وصولنا إلى كابل لنستقل الطائرة إلى قنـدهار، وكانـت الطـائرة مـن نـوع آنـتي نوف ذات الأربع محركات، وتلك الطائرة مُخصصة لحمل الآليات العسـكرية الثقيلـة وقـد تحمـل جنـوداً في مهمات تدريبية كالقفز مثلا، أمّا أن تحمل نساءً وأطفالاً فهـذا أمـر لم يخطـر ببـال الطيـار ومسـاعده على الإطلاق، لذلك رفضا تماماً أن يقوما بالرحلة، وقالوا هذا خطر كبير علـى الأطفـال خصوصـاً، وقـد يُؤثر هذا على حاسة السمع، التي كاد البعض أن يفقدها لقربنا من الطائرة أثناء النقاش الدائر.

رجعنا إلى البيوت مرة ثانية إلى أن نجد الطائرة المناسبة، وفي اليـوم الثـاني أو الثالـث تحركنـا نحـو المطـار حيث كانت تربض في المطار طائرة آنتي نـوف ذات المحـركين، وكانـت أقـل صـوتا وضـجيجا مـن سابقتها .... ولكن يبدو على الهيكل الخارجي للطائرة بأنها من مُخلفـات الحـرب العالميـة الثانيـة، وبعـد ركوبها تبين أنها من مخلفات الحرب العالمية الأولى.

كانت الرحلة تُعتبر عملية استشهادية جماعية بالمعنى الحقيقي لهـا، فقـد اسـتقل الجميـع الطـائرة باسـتثناء الشيخ أسامة وبعض الإخوة الذين فضّلوا الذهاب إلى قندهار بالسيارة.

أخذ الجميع مواقعهم في الطائرة وتمسـكوا بالسـلك الممتـد بطـول الطـائرة والمعـد لتثبيـت المركبـات العسكرية التي تحملها الطائرة لمسافات بعيدة، أو لتمسك الجنود أثناء الاسـتعداد لعمليـات القفـز، وجلـس البعض في أماكن مُتفرقة، وكان الشيخ أبو حفص الكومندان "صـبحي أبـو سـتة" -رحمـه الله- والشـيخ أبو زياد الموصلي، والشيخ أبو الخير المصري، داخـل قمـرة القيـادة برفقـة الطيـار ومسـاعده خشـية أن يتلاعب الطيار بالرحلة ويذهب بنا إلى مكان آخر....كان أكثـر الإخـوة يحملـون أسـلحتهم الشخصـية، والبعض يرتدي جعبته العسكرية كاملة بما فيها القنابـل اليدويـة....كانت الرحلـة تسـير بشـكل طبيعـي هادئ ولكن لم يستمر ذلك الهدوء كثيرا فقد حدث ما لم يكن في الحسبان.

كان أحد الشباب يجلس جلسة القرفصاء على الأرض لعدم توفر مقاعد للجميع، وعندما أراد أن يقوم ليستريح من جلسته تعلقت حلقة القنبلة اليدوية في أحد الشناكل البارزة، فخرج ذراع الأمان من القنبلة وهو لا يدري، وتعلق بأحد الشناكل الموجودة على جدار الطائرة، وأصبحت القنبلة جاهزة للانفجار في حال تحرر الإبرة، ولكن القنبلة لم تنفجر فقد كانت في جيب الجعبة والذي قام هو بحفظ الإبرة من الانطلاق لتفجير الصاعق....ونظر الإخوة الذين حوله للموقف وهم لا يُصدقون أعينهم، فبينهم وبين انفجار القنبلة أن تخرج بالخطأ من الجيب المخصص لها، وسارع أحد الإخوة فأخبر الشيخ أبو حفص الكومندان، الذي جاء مُسرعاً واستطاع أن يُسيطر على الموقف بحكمة وهدوء، وأخرج القنبلة بثقته المعهودة وهو قابض على الذراع حتى لا تتحرر الإبرة، وناولني إياها فأعدت ذراع الأمان مرة أخرى، ومراعاة لظروف النساء ربطناها بحبل متين وأخذها الشيخ أبو حفص إلى قُمرة القيادة ليقص للإخوة في الداخل ما حدث.... ولكن حدث أمر غير متوقع فعندما رآه الطيار وهو يحمل قنبلة يدوية في يده ظن أمراً آخر، وأقسم أيمانا مُغلظة بأنه يسير في الطريق الصحيح، وأنه لم يُغير المسار، ولكن الشيخ أبا حفص هدّأ من روعه، وقص على الجميع القصة وسط دهشة من في داخل القمرة، ثم خرج وناولني القنبلة التي بقيت معي فيما بعد لزمن طويل [11]، وقد عرض الطيار فكرة إلقائها من قمرة القيادة، ولاعتبارات أمنية وإنسانية، احتفظنا بها طوال الرحلة.

وصلنا إلى مطار قندهار وكان في استقبالنا وفد من مسؤولي المطار الذين نقلونا إلى إحدى مضافات المطار وكانوا قد أعدوا لنا الطعام الطيب....كان مسؤول المطار حينها شخص تظهر على وجهه البشاشة والابتسامة الدائمة التي لا تفارقه، مع تواضع جم، وسعي حثيث في توفير كل سبل الراحة للوافدين الجدد، لقد أصبحت تلك الشخصية المتميزة في خلقها وتواضعها على رأس حركة طالبان الإسلامية بعد وفاة أمير المؤمنين الملا محمد عمر -رحمه الله تعالى- عندما بادر الجميع على مبايعته

[11]- لو انفجرت الطائرة لاتهم كل الناس حركة طالبان بأنهم وراء هذه الحادثة ولن يغسل ماء البحر هذه التهمة عنهم !!! كانت حركة طالبان وقتها حركة ناشئة وقد حاول البعض تشويه صورتها وسمعتها بأنها عميلة للأمريكان وأن "بي نظير بوتو" قد أشرفت على قيامها ودعمتها حتى استطاعت السيطرة على مساحات واسعة من أفغانستان وهذا الكلام وللأسف الشديد تناولته بعض الحركات الإسلامية التي بدأت تكيل التهم للحركة ولكن لم يمض إلا زمن يسير حتى تبين للجميع صدق تلك الحركة ونقائها وتبين مَن المخلص مِن الذي يروج لأكاذيب لا أساس لها من الصحة ولا تصب إلا في خدمة الكفر العالمي وأعوانه من حكام المنطقة.

كأمير للمؤمنين، لقد كان هذا الرجل المتواضع هو "الملا أختر منصور" أمـــير حركـــة طالبـــان الـــذي اتفـــق الجميع على بيعته ومحبته.

لحق بنا فيما بعد الشيخ أسامة والإخوة الذين كانوا معه، وانتقل جـــزء منّـــا إلى مُجمـــع المطـــار للشـــروع في تجهيز ما يلزم للبيوت، وكان فارس هذا العمل هو الأخ الشهيد البطل المثـــابر أبـــو عمـــر الأســـواني والـــذي اُشتهر فيما بعد "بأبي بكر جل" وكان من أشهر الشخصيات العربية في قنـــدهار، فـــلا يكـــاد يمـــر أحـــد في السوق إلا ويسأله أصحاب المحلات والتجار عن أبي بكر جل ....كان الأخ أبو بكـــر جـــل أسمـــر البشـــرة فهو من جنوب مصر وتقع قريته على الحدود المصـــرية الســـودانية وأســـرته جـــزء منهـــا يقـــع في الجانـــب المصري، وآخر في الجانب السوداني مثل طبيعة كل المـــدن الحدوديـــة في العـــالم....ونحن كمصـــريين نحـــب الإخوة السودانيين لخفة ظلهم، وحسن خلقهم، وطيبة قلـــوبهم، ولـــولا عمالـــة "جمـــال عبدالناصـــر" الـــذي فصل السودان عن مصر لبقيت مصر والسودان بلـــداً وشـــعباً واحـــداً، لديـــه مـــن الإمكانـــات البشـــرية، والزراعية، والمواد الخام، ما يجعله في مصاف الدول الكبرى في العالم! ولظلت منـــابع نهـــر النيـــل محروســـة لا يتحكم بها اليهود والصليبيين بسد النهضة وغيره من السدود التي تشـــكل تهديـــداً وجوديـــاً لمصـــر وشـــعبها! ولكنها الخيانة والعمالة التي اتسم بها حكام الدول العربية والإسلامية.

نعود إلى أبي بكر جل ذو البشرة السمراء ومحبة الأفغان له باعتبـــاره مـــن أحفـــاد بـــلال -رضـــي الله عنـــه- تلك نظرة الشعب الأفغاني المحب بفطرته لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لم تكتمل التجهيزات بعد، ولكن فضّل الجميع الانتقـــال إلى المجمـــع علـــى أن يُشـــرف الإخـــوة بأنفســـهم على إكمال بيوتهم، مما يُساعد على إنجاز العمل بشكل أسرع، وقد كانـــت أيامـــاً ســـعيدة، فالكـــل يعمـــل بجد ونشاط، في جو أخوي نادر التكرار، وتعاون يمـــلأه الحـــب والصـــفاء، وحيـــاة بســـيطة لا يُعكرهـــا أيّ شيء من مُتطلبات الحياة الحديثة، فالسعادة الحقيقية ليست في الثـــروة والقصـــور، وإنمـــا الســـعادة الحقيقيـــة عندما تكون مع الله في كل شأن من شؤون حياتك.

المشاركة في القتال بجانب حركة طالبان

كان كل شيء جاهز تقريبا وكنت على وشك التحرك لباكســـتان ومـــن ثم لكينيـــا لبـــدء العمـــل هنـــاك، ولكن جاءت موافقة من أمير المؤمنين الملا محمد عمر أن نشـــارك في القتـــال بجانـــب حركـــة طالبـــان ضـــد

قوات الشمال، وجاءت تلك الموافقة بعد تأجيل الملا عمر لها عـدة مـرات[12]، واسـتنفر الشـيخ أسـامة كل الإخوة المتواجدين حينها وتحرك عدد كبير من قندهار متوجهـا إلى كابـل لبـدء المشـاركة في القتـال هناك، وتم تكليف الشيخ أبي حفص الكومندان بهذه المسـؤولية، مـع الشـيخ أبي الوليـد المصـري"المهندس مصطفى حامد" وقد طلب الشيخ أبو حفص من الشيخ أسامة أن أكـون مسـاعداً لـه لمـدة شـهر واحـد وسط رفض شديد من الشيخ أبي الوليد المصري الذي كان يرى ضـرورة أن أتحـرك لبـدء العمـل الخـاص الذي كان لا يقل في تقديره عن العمل الجبهوي المفتوح، وتحت إلحـاح الشـيخ أبي حفـص وافـق الشـيخ أسامة على طلبه وتحركنا جميعا إلى كابل لبدء العمل في الخطوط الأمامية مع طالبان.

نزلنا في أحد البيوت في كابل التي وفرها لنا الطلبة وكانت بمثابـة أول مضـافة لنـا هنـاك، وتم اختيـار الأخ عزام المكي أميراً لها، وتحركنا للخطوط الأماميـة في منطقـة (مـراد بـك) وهنـاك بـدأت أول خطـوات اختيار المواقع للمشاركة في القتال، فقد كانت مراكز الإخوة العـرب مسـتقلة تمامـا عـن مواقـع الإخـوة الأفغان....استلمنا إحدى النقاط لتكـون أول مركـز للهـاون، والـ بي إم، وتحركـت مـع الأخـوين البطلين الكريمين أبي طارق التونسي[13] -رحمـه الله- والأخ أبي زيـاد الموصـلي[14] -رحمـه الله- لاختيـار نقطة رصد أمامية لتصحيح رماية المدفعية .... وبالفعل وصلنا إلى إحـدى النقـاط المتـازة والمطلـة علـى العدو واتفقنا مع الإخوة في حركة طالبان على أن يكون لنا عناصر رصد في تلـك النقطـة ورحبـوا بـذلك فقد كنا نحمل ورقة تزكية من (أمير المؤمنين) الملا عمر.

صلينا العصر وقررنا بعدها العودة لمركز الهاون، وفي أثناء عودتنا حيث كنا نسـير علـى الأقـدام، اعترضـنا أحد الحراس بسلاحه وكان من حركة طالبان وكنّا ثلاثتنـا نحمـل أسـلحتنا الشخصـية، حاولنـا التفـاهم

12 - كان الشيخ أسامة رحمه الله قد طلب من الملا عمر أن يسمح لنا بالمشاركة في الجبهات وتكرر ذلك الطلب مرارا.

13 – وهو من قيادات القاعدة المتميزين فقد كان مدرباً ماهراً للأسلحة الثقيلة، وكانت لديه القـدرة للتعـرف علـى أي سـلاح ثقيـل جديـد يقع في أيدينا خلال فترة قصيرة، كما كان متميزاً في الالكترونيات والميكانيكا وكان على درجـة عاليـة مـن الـذكاء والفهـم السـريع، وهـو من قدامى المهاجرين الذين نفروا للجهاد في سبيل الله ضد السوفييت وله جـولات وصـولات في خطـوط القتـال وظـل كـذلك إلى أن نـال الشهادة في سبيل الله –نحسبه كذلك–رحمه الله رحمه واسعة.

14 –ذاك العابد الرباني الذي لا يدع ورده اليومي من القرآن في سلم أو حرب.. فقد كـان حافظـاً متقنـاً للقـرآن وحيثمـا حـل فهـو إمـام القوم بالإضافة إلى تميزه وذكائه الحاد.. تخرج من الجامعة متخصصـاً في علـم الجيولوجيـا.. والتحـق بسـاحات الجهـاد في أفغانسـتان ضـد العدو السوفييتي.. وبرز وبرع في أكثر من تخصص فكان من أمهر المـدربين لمـادة الطبوغرافيـا والمسـاحة العسـكرية.. وكـان مـدرباً متميـزا للأسلحة الثقيلة.. شارك في كل الجبهات القتالية وكان أحد أهم المدربين في الصومال.. وكـل مـن في القاعـدة عيـال عليـه في الطبوغرافيـا.. وكان صاحب خلق متميز يشهد له الجميع بالخير..نال الشهادة في سبيل الله –نحسبه كذلك –فرحمه الله رحمة واسعة.

معه وأخبرناه بأننا نحمل ورقة تزكية من الملا عمر، ولكن ضعف اللغة عنـدنا حـال بينـه وبـين فهـم مـا نقول.... كان الشيخ أبو زياد يسير خلفنا بمسافة 50 متر تقريباً، فكان يشـاهد الموقـف مـن بعيـد وبعـد نقاشات مع ذلك الحارس فوجئنا به يفتح النار علينا بكل قوة ....كانت المسـافة بيـني وبينـه لا تزيـد عـن الثلاثة أمتار، وكان الأخ أبو طارق يقف خلفي في إحدى الزوايـا الميتـة نسـبياً، لم أشـك أبـداً كمـا لم يشك ذلك الحارس بأنني مقتول لا محالة فقد أفرغ ثلاثين طلقة من سلاحه تجـاهي، ولكـن بعـد أن انتهـى فوجئنا جميعا بأنني لم أُصب بطلقة واحدة.... في هذه الأثناء تحديداً مرّ بنا مجموعـة مـن طالبـان كنّـا قـد صلينا معهم صلاة العصر، فترل أحدهم من السيارة وعنّف الحارس تعنيفـاً شـديداً، وأقبـل الحـارس علـيّ وهو في حالة دهشة وذهول يتحسس جميع بدني ليرى مكان الإصـابات، ولكنـه لم يجـد شـيئا، وأخـذ في الاعتذار عن فِعلته وقال إنني لم أعرف العرب إلا في الخندق المقابـل مـع حكمتيـار ضـد طالبـان لـذلك ظننت أنكم تسللتم إلينا للنيل منّا.

انتهى الموقف العجيب على خير وعُدنا لمركزنا ونحن نحمـد الله علـى السـلامة، وكـان تعليـق الشـيخ أبي وليد المصري عندما سمع القصة ضرورة محاكمـة ذلـك الطالـب لأنـه مـا بيعـرفش ينشـن .... ولـيس مقصوده أنه كان يتمنى إصابتي، بل مقصوده أن الطالب يُحاكم لأنه لم يتـدرب، وهـذا يتسـبب في إهـدار كثير من الذخيرة بغير فائدة [15].

سأحاول أن أختصر تلك الفترة ولعلي أكتبها في مكان آخر لاحقا بإذن الله.

كانت هناك أحداث كثيرة في تلك الفترة، واستطعنا خلال فترة يسيرة أن نُنشـأ عـدداً مـن المراكـز، فقـد كان معنا إخوة كرام لهم خبرات سابقة في العمل الجبهوي، حتى تستطيع أن تقول بـأن كـل واحـد مـنهم قادر على إنشاء جبهة كاملة بما لديه من خـبرات كبـيرة....وفي الحقيقـة كـان التنظـيم حينهـا يمتلـك كفاءات نادرة تمتلك من الإمكانات الشخصية ما يجعلها مؤهلة للعمـل الجبهـوي.... والعمـل الخـاص.... والعمل الإداري.... فكل شخص يمثل سرية مُتحركـة....فالمواهب الـتي كـان يمتلكهـا الإخـوة مُذهلـة .... وكل أخ يصلح أن يكون أميراً للجبهة.... مـع أن الجميـع يفضـلون أن يكونـوا أفـراداً وجنـوداً، بدلا من القيادة والإمارة، ولعل هذا أحد أسباب نجاحهم.

15 - وهذا تنبيه للمجاهدين الذين يتعجلون للذهاب للجبهات بغير تدريب كاف.

كان الشيخ أسامة –رحمه الله– قد لحق بنا إلى كابل، وكان الشيخ أبــو وليــد المصــري "مصــطفى حامــد" يقول له في كل جلسة وهو يشير إليّ.... الراجل ده قاعد هنا ليه.

بعد ثلاثة أسابيع أُصبت بحمى التيفوئيد، وبقيت للعلاج لمدة أسبوع تقريبــاً، وبعــدها رجعــت إلى قنــدهار بالطائرة المروحية للتجهز للسفر خارج البلاد حيث ينتظرني الأخ فهد في مومباسا.

أخبرت زوجتي بأنني مسافر سفرة طويلة.

قالت: متى ترجع؟

قلت: لا أعلم.

إلى أين؟

قلت: إلى إحدى بلاد الله.

كانت ومازالت زوجة وفيّة، مثالية، لقد صبرت معي طوال هذه الســنين علــى تقلبــات الحيــاة، ولم تقــف في طريق عملي على الإطلاق رغم خطورته، فقد كنتُ حينها أبــاً لــثلاث بنــات هــنّ مــريم، وفاطمــة، وحفصة، ومن المفارقات العجيبة أنني لم أحضر أيّ ولادة لواحدة منهن.

فابنتي مريم وُلدتْ وأنا في خوست وهم في بيشاور.

وابنتي فاطمة وُلدت وأنا في الصومال وهم في السودان.

وابنتي حفصة وُلدت وأنا في أفغانستان وهم في اليمن.

وعند مغادرتي لأفغانستان كانت زوجتي حاملا وولدت ابنتي ميمونة وأنا في كينيا.

لقد ضَرَبتْ أروع الأمثلة في الزوجة الوفية المتعاونة الصابرة المحتسبة المهــاجرة المحبــة لخدمــة هــذا الــدين .... فهي تبذل بلا اعتراض بل برضا وعطاء .... وهي مازالــت بــنفس الخلــق الحميــد، بــل ازداد الأمــر حُسناً....فجزاها الله عنّي خير الجزاء، ووفقني لرد جزء مما بذلته معي من وقتها وصحتها.

وهي من أسرة ملتزمة متدينة فرّت بدينها من ظلم حكام مصر، واستقر بهــا المقــام في الــيمن حيــث كــان يعمل والدها حفظه الله وهو الشيخ –أبو الفرج اليمني– في التدريس كمــا كانــت تعمــل والــدقما الأخــت

الكريمة الفاضلة -أم إبـــراهيم- في التـــدريس أيضـــاً وكـــان لهمـــا دور كبـــير في الـــدعوة إلى الله بجانـــب عملهما....ثم هاجر والدها بالأسرة إلى أفغانستان للجهاد ضد الـــروس، وهنـــاك في بيشـــاور تزوجنـــا تلـــك الزيجة المباركة، وكان والديها عوناً لي بعد الله سبحانه في الاستمرار في عملي، فقـــد كانـــا يقومـــان برعايـــة شأنها أثناء غيابي المستمر.

في سنة 1418ه وتحديداً أوائل شهر سبتمبر من سنة 1997م كان الإخـــوة في قســـم الوثـــائق قـــد انتهـــوا من إتمام جواز سفري، وكنت جاهزاً للحركة بعد أن تم تكليفـــي للعمـــل علـــى ضـــرب أحـــد الأهـــداف الأمريكية في شرق إفريقيا، و لم يكن يعلم أحد بوجهتي إلا الشـــيخ وبعـــض الإخـــوة المســـؤولين....**فالعمـــل الخاص بحاجة إلى سرية تامة وتكون مناقشته في إطار ضيق حسب الحاجـــة ولـــيس علـــى طريقـــة اليـــوم من مناقشته على صفحات الانترنت في التلجرام والواتساب ظناً من الشـــخص أنـــه قـــد حصـــن نفســـه من الاختراق والمراقبة بمجرد حديثه مع الطرف المقابل في غرفـــة خاصـــة!!!وكان هـــذا ســـبباً في فشـــل الكثير من العمليات وتعريض الإخـــوة المنفـــذين للســـجن....وهذا ينـــافي الأمانـــة في إدارة العمليـــات فالإخوة الذين في الميدان يجب على القيـــادة أن تحـــافظ علـــيهم ولا تعرضـــهم لخطـــر القـــبض علـــيهم تساهلاً منها وإهمالاً في أخذ الحيطة والحذر خاصة في مسألة الاتصالات التي تهـــاون فيهـــا الكثـــير اليـــوم ولا حول ولا قوة إلا بالله.**

في صبيحة يوم الثلاثاء من الأسبوع الأول لشهر سبتمبر وَدَّعتُ جنة قلبي، ونســـمة فـــؤادي، ونـــوارة بيـــتي، وشريكة حياتي، وعوني بعد الله، زوجتي الحبيبـــة أم محمـــد، وبنـــاتي الحبيبـــات ثمـــرات فـــؤادي، وفلـــذات كبدي[16] .... مريم، وفاطمة، وحفصة، وداعاً حاراً واســـتودعتهم الله ســـبحانه وتعـــالى، وطلبـــت مـــنهم المسامحة والدعاء فأنا لا أدري هل سأراهم مرة أخـــرى؟ أم أنـــه اللقـــاء الأخـــير بيننـــا.... غـــادرت المـــترل ودموع الفراق تنهمر من أعين زوجتي وبناتي.... وخارج المترل ودعت عدداً محـــدوداً مـــن الإخـــوة الـــذين لا يعلمون أين وجهتي وأوصيت الأخوين الحبيبين خالد الحبيـــب، وأبـــو عبـــد الـــرحمن المهـــاجر بالأهـــل والبنات .... وتوجهت إلى المسجد حيث يجلس الشـــيخ أســـامة -رحمـــه الله- في غرفـــة صـــغيرة متواضـــعة بجوار المسجد كانت محل جلساتنا الخاصة، نلتقي فيها مع الشيخ أســـامة لتـــدارس أمـــور العمـــل والتشـــاور في الشؤون الخاصة....**قمت بتوديعه وكانت آخر كلماته كـــن كريمـــاً.... الهـــدف اللـــي يحتـــاج مائـــة**

---

16 - وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

كيلو أعطيه خمسمائة.... وقــال نريــدها ضــربة موجعــة، وإذا احتجــت أحــدا استشــهاديا فــابني عبدالرحمن جاهز.... ودعا لي بخير ثم افترقنا.

ركبنا السيارة التي ستتوجه بنا إلي محطة السيارات برفقة الشيخ أبي حفــص الكومنــدان، والشــيخ أبي الخــير المصري، اللذين أصرا على مرافقتي إلى المحطة، وهناك أخذنا سيارة أجــرة أنــا وأحــد الإخــوة المجاهــدين الباكستانيين الذي رافقني في رحلتي إلى باكستان، ولم يتركني إلا عنــدما ودعتــه في مطــار كراتشــي بعــد أن أكملت كل إجراءات سفري....وكان هذا الأخ المجاهد الكــريم هــو ضــابط الاتصــال بيــني وبــين الشيخ أبي حفص الكومندان طوال مدة العملية، وكان على مستوى أمــني رائــع، مــع أنــه لا يعلــم عــن العملية أيّ شيء، ولكنه عمل بشكل مكوكيّ وأمانة واتقــان، ولا يمنعــني مــن ذكــر اسمــه إلا اعتبــارات أمنية.

مطار كراتشي

كان لي خبرة سابقة بمطار كراتشي لذلك أنهيت إجراءاتي بسرعة والحمــد لله وتوجهــت لصــالة الترانزيــت في انتظار موعد الطائرة المتجهة إلى الدوحة ومنهــا إلى الخرطوم....وصــلت إلى مطــار الدوحــة في حــدود الساعة الحادية عشر، وبقيت في الترانزيت ثلاث ساعات، صليت الظهر والعصــر وتناولــت وجبــة خفيفــة إلى أن جاء موعد الطائرة المتجهة إلى الخرطوم في حدود الساعة الثانية بعــد الظهــر، ومــا هــي إلا ســاعات قليلة وحطت بنا الطائرة في مطار الخرطوم ....كان أكثر الركاب من الإخــوة الســودانيين الــذين يعملــون في دولة قطر فلما فُتح باب الطائرة للنزول هبّت علينا نسائم الخرطوم الحبيبــة ولكنهــا كانــت حــارة جــداً ولا أدري أهي من حرارة الجو؟ أم من حرارة الاستقبال؟ وعلــى كــل حــال فقــد علّــق أحــد الركــاب السودانيين وقتها تعليقاً ظريفاً علــى عــادة خفــة دم أهــل الســودان....جئنا إلى الفــرن الآلي وضــحك وضحك من حوله.

توجهنا لصالة المطار وبسرعة توجهت إلى الضابط المخــتص وأنهيــت إجــراءات الــدخول، وبعــد وقــت قصير كنت خارج المطار أستقل التاكسي إلى وسط البلد، ونزلت في أحد الفنادق الثلاثة نجوم.

استرحت قليلا ثم خرجت من الفندق واتصلت بــالأخ طلحــة الســوداني -رحمــه الله تعــالى- وهــو مــن الإخوة المجاهدين القدامى وهو أحد الكوادر المهمة في التنظــيم.... فقــد كــان مــدرباً متميــزاً للمدفعيــة

الثقيلة بجانب مهارته الفائقة في تدريس مادة الطبوغرافيا في معسكرات أفغانستان إبـان الجهـاد ضـد العـدو السوفيتي وكانت تربطنا به علاقة إخوّة ومحبّة حميمـة تفـوق بكثـير إخـوة النسـب.... وهـو أخ كـريم، هادئ، بشوش، لا تفارق الابتسامة وجهه، خدوم، له مكانـة كبـيرة عنـد الشـيخ أسـامه -رحمـه الله- وكان مسؤول الحراسة الخاصة للشيخ أسـامة في السـودان لفتـرات طويلـة.... وكـان يلازمـه في حِلّـه وتِرْحاله....وقد درس الهندسة في جامعة الخرطوم ويُجيد اللغـة الإنجليزيـة، ومتـزوج ولـه ثـلاث بنـات، وكان يسكن في بيت والده في العاصمة الخرطوم.

جاءني مسرعاً بسيارته البيك آب وجلسـت معـه جلسـة طويلـة، دار الحـديث فيهـا عـن الإخـوة في أفغانستان وعن أحوال الشيخ أسامة -رحمه الله- وكان في شوق للسفر إليهم ولكـن كـان عليـه البقـاء في السودان بتوجيه من الشيخ أسامة لمتابعة أمور الشركات، وإنهاء بعض الإجراءات اللازمـة، وبيـع مـا يلـزم بيعه من معدات وسيارات، وكذلك جرد المخازن وبيع ما فيهـا مـن أغـراض ومعـدات.... وقـد بشّـرْته بسفرية مستعجلة سيقوم بها إلى أفغانستان لإيصال بعض الأمـور للشـيخ أسـامة علـى أن يعـود لمباشـرة عمله في الخرطوم وقد فرح كثيراً بذلك الخبر.

وكان للإخوة صفة مميزة غالبة وهي مسألة السـمع والطاعـة في المنشـط والمكـره فـلا تكـاد تصـدر تعليمات من القيادة لأي فرد من أفراد القاعدة إلا ويسارع في تنفيذ مـا طُلـب منـه دون أيّ اعتـراض وهذا كان سبباً في نجاح كثير مـن الأعمـال، وأنـا أوصـي إخـواني المجاهـدين في سـاحات الجهـاد بالسمع والطاعة لأمرائهم ما دام في المعروف وهذه هي توجيهات النـبي صـلى الله عليـه وسـلم كمـا جاء في الحديث وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن "الجماعـة، والسـمع، والطاعـة، والهجـرة، والجهـاد في سبيل الله".

يقول الشيخ أسامة -رحمه الله- في إحدى دروسـه في معسـكر الفـاروق في أفغانسـتان: **فأتبـاع محمـد صلى الله عليه وآله وسلم نقول لهم: هذا هو السبيل لا بد مـن جماعـة مسـلمة، ولا بـد مـن سمـع، وطاعة لها، ولا بد من هجرة عندما تتعين الهجرة، ولا بـد مـن جهـاد في سـبيل الله سـبحانه وتعـالى، فكل من يريد أن ينصر هذه الدين مع غياب هذه القواعد ما فقه الطريق ومـا فقـه مـنهج محمـد صـلى الله عليه وآله وسلم. انتهى.**

في الحقيقة كان الأخ طلحة معي أكرم من حاتم، فقد رافقـني طـوال مـدة بقـائي في الخرطـوم لا يفـارقني إلا عند النوم، وكان عندنا أمور يجب أن ننهيها سوياً قبل سـفري إلى نـيروبي، وبعـدها يتحـرك هـو إلى أفغانستان وهذه الأعمال واجهتنا فيها كثير من الصـعوبات الإداريـة والروتينيـة والـتي تم تجاوزهـا عـن طريق بعض الإخوة والذين قاموا بعمل بعض التسهيلات المرْضِية نسـبياً بالنسـبة لي، لكنـني تنبهـت لأمـر غاية في الخطورة وهو أن تلك الطريقة الروتينية في العمل لا تتوافق مع طبيعـة عملنـا الـذي قـد لا يحتمـل التأخير في بعض المواقف.

أثناء وجودي في الخرطوم التقيت بكثير من الإخـوة الـذين لم يرغبـوا في السـفر إلى أفغانسـتان، وكانـت لهم وجهات نظر نحترمها ونحتفظ معهم بأُخوة صادقة، ونتعـاون معهـم في حـدود تلـك الأخـوة، فكـان بعضهم بحاجة إلى بعض المال للسفر إلى أوربا، وبعضهم بحاجـة إلى أوراق سـفر، وبعضـهم يبحـث عـن طريق للذهاب إلى أفغانستان نتيجة الوحشة التي عاشها بعد فراق إخوانـه، وقـد كانـت لي جلسـات مـع جميع الإخوة، سواء كانوا من أعضاء التنظيم، أو من خارجـه، فـالجميع إخـوة لنـا جمعتنـا بهـم خنـادق القتال وخطوط الرباط، و لم أتأخر -نيابة عن الجماعة- في تقديم مـا اسـتطعت لهـم مـن خـدمات وهـذا أقل ما نقدمه لهم فأمثالهم في الأمة قليل.

التقيت بالشيخ الجليل، والمربي الكبير، والمجاهد الصادق، وهـو مـن شـيوخ المجاهـدين وسـادتهم الشـيخ أبو برهان السوري -نحسبه كذلك والله حسـيبه- فلمـا رآني قـال "لأمـر مـا جـدع قصـير أنفـه"[17]

---

[17] - وهو مثل تُطلقه العرب على من ثابر في طلب ثأره.

بيدي لا بيد عمرو

وعمرو هذا هو عمرو بن عدي بن نصر اللخمي ابن أخت جذيمة، وهو أول من ملك من ملـوك لخـم ، وسـبب ذلـك أنّ الزبـاء لمـا قتلـت جذيمة رجع قصير وكان من أبرز قادة جذيمة إلى عمرو بن عدي فقال لـه: قم بثأر خالك مـن الزبـاء! فقـال عمـرو: كيـف لي بهـا وهـي أمنع من عقاب الجو؟ فقال قصير: اطلب الأثر وخلاك ذم! فقال لـه إني واللـه لا أنام على طلب دمـه مـا لاح نجـم أو طلعـت شمـس حـتى أدركه أو تخترم نفسي دونه!

ثم قال قصير لعمرو: اجدع أنفي، واقطع أذني ، واضرب ظهري حتى تؤثر فيه، وخلني وإياها! ففعـل عمـرو ذلـك. وقيـل إنّ عمـرا أبى عليـه ففعل هو ذلك بنفسه فقالت العرب: لأمر ما جدع قصير أنفه فذهبت مثلا. قال المتلمس:

ومن طلب الأوتار ما حز أنفه قصير وخاض الموت بالسيف بيهس

ثم إنّ قصيرا ذهب فلحق الزباء فقالت لـه: ما أتى بك إلينا يا قصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر؟ فقـال لـها: يـا ابنـة الملـوك العظـام قـد كان دم الملك يعني أباها يطلب جذيمة حتى أدركه؛ وقد أتيتك فيما فيه مثلي مثلك مستجيرا من عمـرو، فانـه اتهمـني بقتـل خالـه وفعـل بي ما ترين. وقد حال بيني وبين أهلي وولدي وخشيت على نفسي فأتيتك. فأعطته الجوار وأنزلتـه مكرمـا محـدما. فأقـام مـدة لا يكلمهـا وهـو

فضحكتُ وقلت له مُطمئناً بل إقامة عارضة وسوف أسافر قريباً بإذن الله تعالى، وقد أكرم الشيخ ضيافتي، وتعاون معي كثيراً في إنهاء بعض الأمور المتعلقة بالشيخ أسامة -رحمه الله- فجزاه الله عنّا خير الجزاء.

ولما سألني عن وجهتي قلت له أنا مسافر إلى إفريقيا، وكان هذا جواب مُقنع للجميع لأنني كنت بفضل الله وتوفيقه ضمن طاقم التدريب الذي شارك في وضع بذرة العمل الجهاديّ في الصومال في أيام

يتطلب لها الحيل ويتأمل الفرص. ثم قال لها يوما: إنّ لي بالعراق أموالا كثيرة وذخائر نفيسة مما يصلح بالملوك. فإنَ أذنت لي في الخروج إلى العراق وأعطيتني شيئا اعتلل به تجارة وأتخذه وصلة إليها أتيتك بما أمكنني منها. فأعطته مالا، فرجع إليها بأرباح كثيرة وطرائف خطيرة. فلما رأت ذلك أعجبها وعظمت منزلته عندها ورغبت فيه. ولم يزل يتلطف إليها ويتقرب حتى أعادته مرة أخرى إلى العراق، فأضعف لها الأموال، وأتاها من الجواهر والخز والبز والديباج بشيء عظيم، فازدادت منزلته عندها. ويقال إنّه رجع مرة ثالثة فأتاها بأكثر من الأوليين. فبلغ منها مكانة عظيمة حتى إنها كانت تستعين به في مهمالها. وكان لبيبا أديبا. وكانت ابتنت على الفرات مدينتين عظيمتين واتخذت بينهما نفقا. فإذا أوجست شرا دخلت النفق.فلما بلغ قصير من مدخلها ما بلغ، عرف النفق وعرف الطريق إليه. فعند ذلك رجع مرة أخرى للتجارة. ويقال إنّها هي التي قالت له: أريد أن أغزو بلد كذا من أرض الشام، فاخرج إلى العراق فأتني بكذا وكذا من السلاح والكراع والعبيد والثياب! فقال قصير: ولي في بلد عمرو بن عدي ألف بعير وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا وما لعمرو به علم. ولو قد علمه لاستعان به على حرب الملكة وقد كنت أتربص به المنون وها أنا أخرج متنكرا من حيث لا يعلم فأتي الملكة بذلك مع الذي سألت فأعطته من المال ما أراد. ويذكر أنها قالت له إذ ذاك: يا قيصر! الملك يصلح لمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره. ولقد بلغني أن أمر جذيمة كان إيراده وإصداره إليك. وما يقصر بك عن شيء تناله يدي ولا يقعد بك حال ينهض بي فسمع كلامها رجل من خاصة قومها فقال: أسد خادر وليث ثائر قد تحفز للوثوب! فلما سمع قصير كلامها وعلم ما بلغ من قلبها قال: الآن تمكن الخداع! وخرج من عندها فأتى عمرا فقال له: قد أصبحت الفرصة. قال له عمرو: قل أسمع ومر أقبل فأنت طبيب هذه القرحة! قال: الرجال والأموال فقال عمرو: حكمك مسلط فينا عندي!فعمدا إلى ألفي رجل من فتيان قومه فحملهم على ألفي بعير في الغرائر السود. ويقال انه اتخذ الجوالق وهو أوّل من اتخذها وحمل فيها الرجال وجعل ربطها من داخل. فأتى بها وأخذ غير الطريق وجعل يسير الليل ويكمن النهار. وجاء عمرو معه. وكان عمرو قد صور للزباء قاعدا وقائما وراكبا. فلما عمي عنها خبر قصير سألت عنه فقيل لها إنّه أخذ على طريق الغور فقالت: عسى الغوير أبؤسا. فلما قربوا تقدم قصير ودخل على الزباء فقال لها: قفي فانظري إلى العير! فرقيت سطحا وجعلت تنظر إلى الإبل تحمل الرجال. فقالت: يا قصير:

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا؟

أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا؟

و يقال إنّ الزباء كان وشي لها بقصير فلما رأت مشية الأجمال ازدادت الريبة في قلبها فقالت ذلك. فلما دخلت العير القصر وعلى الباب بوابون من النبط وفيهم رجل بيده مخصرة فطعن بها جوالقا فأصابت المخصرة رجلا فضرط فقال البواب بالنبطية: بشتا!

بشتا! أي الشر! الشر! فاستل قصير السيف فقتل النبطي فدخل عمرو وكان وراء الإبل. فبركت الإبل وخرج الرجال وذهب عمرو فوقف على فم النفق وكان قد وصفه له قصير وعرفه به. فجاءت الزباء نحو النفق. فلما رأت عمرا عرفته بما صور لها فمصت خاتما كان في يدها مسموما وقالت: بيدي لا بيد عمرو فماتت. ويقال إنّه هو قتلها بالسيف واستباح بلادها. كتاب / زهر الأكم في الأمثال والحكم بتصرف يسير.

وجودنا بالسودان، وذهابي وعودتي أمر مألوف لدى جميع الإخوة، حيث كنّا نحضر معنا الهدايا من الأناناس، وجوز الهند، والأفوكادو، عند عودتنا مروراً بكينيا.

أثناء وجودي في الخرطوم اتصلت أكثر من مرة بالأخ فهد لكي أطمئن على مسار العمل فأخبرني بأن الأمور تسير بشكل منتظم وأن المبشرات كثيرة، وأخبرني بأنه اشترى كمية من المتفجرات ولكن الأموال التي كانت عنده انتهت، وهو بحاجة إلى أموال بشكل عاجل، فطمأنته بأن الأموال ستصله قريباً.

تمويل العملية

كان الشيخ أسامة –رحمه الله تعالى– قد تعهد بتوفير أيّ مبلغ تحتاجه العملية، وقال لي قبل مغادرتي لقندهار أي مبلغ تحتاجه سيصلك عند الطلب، مع أنني كنت على علم بالوضع المالي وقتها، فقد كانت خزينة التنظيم تشتكي من قلة المال، ورغم هذا كنت على ثقة بأن الشيخ سيوفي بما التزم به كعادته.

عندما التقيت بالأخ طلحة السوداني –رحمه الله– وكان يُشرف مع الشيخ أبي برهان على بيع كثير من المعدات الموجودة في المخازن، وتصفية كثير من الحسابات المتبقية، طلبت منه أن يضع لحسابي مبلغ مائة ألف دولار تكون تحت الطلب، لا يطّلع عليها أيّ أحد من الإخوة العاملين في السودان، وأخبرني بأن المبلغ جاهز عنده، وكانت المشكلة الوحيدة وقتها عدم وجود طريقة سهلة لإرسالها لي حين الطلب ولكنه وعدني مشكورا بأن يبحث عن طريقة آمنة وسهلة لإرسال تلك الأموال، وهذا ما حصل فيما بعد كما سأذكره لاحقا.

إلى شرق إفريقيا

قررت السفر إلى كينيا للاطلاع على الأوضاع هناك، وكذلك لإيصال أموال للأخ فهد حتى لا تتوقف مسيرة الشراء التي بدأها، وأخبرت الأخ طلحة بوجهتي، ووعدته بالعودة بعد أسبوعين أو ثلاثة، على أن يؤخر سفره إلى أفغانستان حتى أرجع، وبالفعل حجزت تذكرة السفر الخرطوم نيروبي الخرطوم على الخطوط الكينية، وكان ذلك في سنة 1418ه، أوائل شهر أكتوبر1997م.

تحركت نحو المطار برفقة الأخ طلحة –رحمه الله– لأستقل الطائرة المتجهة إلى نيروبي، وكان ذلك في نحو الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ،كنت أحمل فوق كتفي حقيبة سفري والتي تحتوي على ملابسي

الشخصية، وراديو، ومكواة صغيرة تناسب حاجتي، مع مبلغ من الـــدولارات، ودخلـــت إلى صـــالة المطـــار وأنهيت إجراءات السفر، وبقيت في صالة الانتظار حتى موعد رحلتنا، ولم أنتظر طـــويلا حـــتى فـــتح البـــاب وتوجهنا للطائرة وكل ما يشغلني حينها صلاة الفجر، فموعد انطـــلاق الرحلـــة كـــان قبـــل الأذان بنصـــف ساعة والوصول سيكون بالطبع بعد طلوع الشمس، ولم تكن المسألة الفقهية هـــي المعضـــلة –فـــديننا ســـهل بأحكامه وتشريعاته– ولكن تطبيق الحكم، والصلاة في الطائرة التي تمـــتلأ بالأجانـــب مـــن النصـــارى ومـــن الكينيين أنفسهم، وأخشى أن يكون من بجواري أحد أعضاء جهاز الاستخبارات الكينيـــة والـــذي قـــد يثـــير فضوله شخص متوجه إلى نيروبي ويحرص على الصلاة في الطائرة، ومعلـــوم أن أكثـــر المســـافرين إلى نـــيروبي هم بقصد السياحة، وزيارة المحميات الطبيعية، والغابـــات المفتوحـــة "الســـفاري"، والأمـــاكن الليليـــة الـــتي تعج بها كينيا من مشرقها إلى مغربها، وما فيها من عُريٍ وخمور وما بينهمـــا، ولكنـــني كنـــت مُصـــرّاً علـــى أداء الصلاة، وحمدت الله عندما جلس بجواري رجـــل وامـــرأة مُسِـــنّان، يبـــدو علـــى ملامحهمـــا الســـحنة الأوربية، وما أن تحركت الطائرة حتى كان وقت الفجر قد دخـــل، وبعـــد أن ارتفعـــت قلـــيلا واســـتقرت في الجو نويت الصلاة وأديت صلاة الفجر وأنـــا جـــالس في مكـــاني وقبلـــتي حيـــث توجهـــت بي الدابـــة.... استمرت الرحلة قرابة الساعتين ونيف، تناولنا خلالها وجبة الإفطـــار مـــع الشـــاي الكيـــني المميّـــز، ومـــا أن أعلن ربان الطائرة بقرب الهبوط ألححت على الله في الدعاء وتناولت حقيبتي لأتهيأ للنزول.

مطار نيروبي

هبطت الطائرة بسلامة الله، ودخلنا صالة المطار للحصول علـــى الفيـــزا، وكانـــت لي معرفـــة ســـابقة بمطـــار نيروبي فقد زرت نيروبي أكثر من مـــرة أثنـــاء ذهـــابي للصـــومال، ولي خـــبرة جيـــدة بمطارهـــا وموظفيهـــا ....أخذت الأوراق لأملأ البيانات، وبمجرد شروعي في كتابـــة البيانـــات اقتربـــت مـــني إحـــدى الموظفـــات وعرضت عليّ المساعدة، وبالطبع وافقتُ على الفـــور وأَخَـــذَتْ مـــني القلـــم وشـــرعتْ في إكمـــال كتابـــة البيانات، وقدَّمَتْ هي الجواز مع الأوراق لضابط الجوازات المختـــص، وحصـــلتُ علـــى الفيـــزا، وحصـــلتْ هي على عشرين دولارا.... وتحركتُ خارج المطار وكان في اســـتقبالي الأخ فهـــد بســـيارة فـــاخرة، ســـألته هل هي سيارتك قال لا ولكن أخذها مـــن أحـــد الأصـــدقاء لاســـتقبالي، وتوجهنـــا إلى أحـــد الفنـــادق في منطقة "ايس لي" بنيروبي بناءً على طلبي، وكنت نزيلا في هذا الفندق من قبـــل أيـــام ســـفري إلى الصـــومال،

فقد كان متميزاً بخدماته وطعامه الصومالي، وهذا لا يكلفني التفكير في هل الطعام حلال أم حرام؟ خاصة وأن لحم الخنزير يأكله نصارى كينيا.

الوصول للفندق

كانت سيارتنا تشق طريقها مسرعةً إلى وسط المدينة، والطريق من المطار إلى وسط المدينة يضفي على النفس شيئا من الطمأنينة والراحة خاصة في وقت الصباح، فالخضرة تكسوه من الجانبين، وكأنه شُق في وسط غابة غنّاء، بالإضافة إلى جو نيروبي المتميز، والذي يختلف تماما عن جو الخرطوم، وهذا الشعور يكون على النقيض تماما في الليل، فالطريق مخيف جداً لأنك تشعر أن السباع الوحشية، والبشرية، تحيط بك من الجانبين، تترصد بك، وتنتظر الفرصة لافتراسك.

وصلنا إلى وسط المدينة حيث المكان مزدحم بالسيارات والمارة، ويتميز بالمباني الضخمة والعالية، والمحلات التجارية التي لا تنقطع عن ناظريك، فتشعر فيه بنبض الحياة **ولكن الملفت للنظر كثرة الأوربيين وأصحاب البشرة البيضاء وهؤلاء ليسوا سياحاً فحسب، بل هؤلاء مقيمون في القارة الإفريقية لنهب ثرواتها، وحرمان أهلها من خيرها، فهم ينظرون إلى إفريقيا على أنها مناجم للذهب، والمعادن النفيسة، والأحجار الكريمة، وينظرون لشعوبها نظرة دونية، ويتعاملون معهم معاملة السيد لعبده، والتاريخ شاهد على تلك الجرائم البشعة التي ارتُكبت في حق تلك الشعوب المستضعفة.**

ووسط مدينة نيروبي يتصف بتناقض كبير، فمظاهر الحركة والصخب الشديد في الصباح يختفي تماما قرب المغرب، فلا تجد من السيارات إلا النادر، ومن المارة إلا القليل، ومن الغانيات الكثير والكثير.... وهو مكان خطر جداً إذا جنّ الليل، فلا يأمن المرء فيه على نفسه، ولا ماله، ولا سيارته، فالعصابات الخطرة هي التي تتحكم في وسط المدينة بالليل، بالتعاون مع عصابات الشرطة العاملة في وزارة الداخلية.

وقفت السيارة أمام باب الفندق ونزلنا وحجزنا غرفة لنا، وتحرك الأخ فهد على أن يعود إليّ بعد الظهر للتباحث في أمر العمل ....أخذتُ استراحة قصيرة قمت بعدها لأنظر من خلال النافذة إلى الشارع المزدحم بالمارة، وكان اللافت للنظر كثرة الصوماليين في المنطقة، والإخوة الصوماليون مميزون ببشرهم وسحنتهم المميزة، فبشرهم تختلف عن البشرة الإفريقية، فيغلب عليهم لون الشوكولاتة

الفاتح، وكذلك سحنتهم وملامحهم تختلف عن الملامح الإفريقية، فهـي أقـرب للملامـح العربيـة وأنـا لي معرفة وخلطة بهم كبيرة في السابق، ولي علاقات طيبة بكثـير مـن الإخـوة الصـوماليين في مختلـف أنحـاء الصومال خاصة المجاهدين منهم، وبعض الدعاة المحبين للجهاد ....بقيت أتطلع مـن الشـباك حـتى حـان وقت صلاة الظهر فانصرفتُ للصلاة، ثم طلبت الغذاء من مطعـم الفنـدق، وكـان الغـذاء هـو المكرونـة الاسبكتي مع شيء من اللحم والموز وهذه وجبة صومالية بامتياز يفضـلها أكثـر الصـوماليين، فهـم يحبـون أكل الموز مع الاسبكتي وبالتجربة "أكلة لذيذة"، وأخـرت طلـب الشـاي حـتى مجـيء الأخ فهـد لكـي نشربه سوياً، وبعد ساعتين جاء الأخ فهد وجلسـنا نشـرب الشـاي الكيـني الرائـع، وبـدأت الحـديثَ بسؤاله عن أحواله، وأحوال البلد، وعن والدته، وإخوانـه **ومـن ثم تطـرق الكـلام إلى العمل....وحينهـا كان لا بد للكلام أن ينتقل إلى مكان ليس فيه سـقف! وهـذا مـا تم بالفعـل....** تحـدثنا طـويلا عـن الهدف المتفق عليه، وعن إمكانية العمل عليه، وعن إمكانيـة تـوفير كـل مـا يلـزم للعمليـة، وكـان الأخ "فهد" متفائلا بدرجة كبيرة حتى قال بلغة الواثق من ربه أنا قادر -إن شاء الله- على تجهيـز كـل مـا يلـزم للعملية، بل وجاهز للتنفيذ إذا طُلب مني ذلك، وكان شابا عمليّا نشـيطاً صـاحب مجهـود جبّـار لا يفتُـر عن العمل ولا يكِلّ، ولا تكاد تسمع منه شكوى، ولا تـأفف، فوجهـه المائـل إلى السـمرة دائمـا ترتسـم عليه ابتسامة لا تفارقه، حتى في أثناء المواقف الصعبة.

خطة العمل

بعد كلام طويل حول العملية وما تحتاجه من تجهيزات وضعنا خطة للعمـل، وبرنـامج أمـني نسـير عليـه، وشفرة بسيطة ومعقدة على الفهم بالنسبة لمن يستمع إليهـا، وغطـاءً مناسـباً لمـا نقـوم بـه مـن عمـل، وكذلك غطاء لإقامتي في كينيا .... **وكانت الخطة تقتضي منّا قطع جميع العلاقـات القديمـة مـع الإخـوة الصوماليين حتى لا نسبب لهم أيّة مشـاكل، ولا نجلـب لأنفسـنا أيّ اختـراق أمـني، وحـتى الإخـوة الموجودين من أفراد القاعدة لن نطلعهم على العمل إطلاقاً خشية أن يكونوا متابعين أمنيّا.**

أول الغيث فتيل صاعق

عرض عليّ الأخ "فهد" أول عرض لبداية عملية التجهيز-رغم أنه قد اشترى بعض المواد - وهذا أمر قد رتبه قبل وصولي إلى نيروبي، وأراد أن يجعله مفاجأة لي حتى تكون بداية مُشجعة، وكان عبارة عن لفتين من" الكورتكس"، وكمية من مادة tnt شديدة الانفجار، وقال لي بأن الأخ عبد القادر الصومالي يرغب في بيع هذه المواد، وهو معروف بالنسبة لي، وهو أخ ثقة معروف وقد أشرفت على تدريبه في رأس كمبوني أثناء تواجدي هناك في السنوات السابقة، ولكني رفضت هذا العرض لأنه مناف للاتفاق الذي اتفقنا عليه، وهو قطع العلاقات بجميع الإخوة القدامى، وإيجاد طرق جديدة للتجهيز بعيداً عن المجاهدين القدامى، والذين سيشكون في الأمر بمجرد معرفتهم بوجودي، وقد يطلبون مقابلتي لأمور خاصة بهم، وهذا سيكون له تداعيات خطيرة في المستقبل قد تؤدي إلى فشل العملية برمتها -من وجهة نظري- فكان الأسلم أن نبدأ بداية صحيحة، مع أن العرض كان مُغْرياً جداً، ويُسيل لعاب من يرغب بالعمل داخل المدن!.

كنت حينها أحمل مبلغاً من المال تصورت أنه يكفينا لمدة شهر أو شهرين، لكنني تفاجأت بهمة الأخ "فهد" فقد عرض عليّ في الحال طريقة أخرى للحصول على ما نحتاجه من مواد متفجرة وما يلزمها من أدوات أخرى، وكان الطريق الجديد فيه صعوبات كبيرة وخطر أيضا.... فمجرد الشك من قِبل البائع قد يترتب عليه آثار خطيرة، ولكن لا بد من المخاطرة والمجازفة.... **وتذكرت حينها الدورات الأمنية التي حصلت عليها، وإمكانية تطبيق هذه القواعد الأمنية المحْكمة، وأن الواقع العملي يختلف كثيراً عن الناحية النظرية، مع الاعتراف بأن الدورات الأمنية لها فوائد كثيرة أنصح كل الإخوة المجاهدين بالحصول عليها، ولكن عند العمل لا بد من المخاطرة بعد أخذ كل الاحتياطات الأمنية اللازمة** .... استخرنا الله سبحانه وتعالى، وأخذنا قرار البدء، ودعونا الله بالتوفيق والسداد.

بداية المشوار

سلمت الأخ فهد كل الأموال و لم يبق معي إلا مبلغا يسيراً، وقلت له لا تهتم بالسعر المهم هو الحصول على المواد وبشكل آمن....كنّا بحاجة إلى شراء سيارة لنقل المواد وكانت الأموال التي معي لا تكفي فقال الأخ فهد سوف أستخدم سيارتي الخاصة إلى حين توفر المال اللازم لشراء سيارة، وكان الحماس ظاهرا على وجهه المبتسم، والتفاؤل يبدو واضحاً من خلال كلماته، ونبرات صوته الخافتة.

الذهاب إلى الساحل

كان لا بد لي من الذهاب إلى الساحل للالتقاء بالإخوة المــدربين القــائمين علــى متابعــة ملــف الصــومال وكانوا أربعة من الإخوة الأكفــاء المتميــزين في العمــل العســكري والإداري، وكــان أمــيرهم هــو الأخ المجاهد عبد الوكيل، أو أبو جهاد النوبي، أو مصطفى المصــري، أو أبــو بــلال، وهــذه كلهــا مســميات لشخص واحد.... والأخ عبد الوكيل تدرب في معسكرات القاعــدة في التســعينات مــن القــرن الماضــي، وقد أشرفتُ على تدريبه وكان حينها يُكنى بأبي جهاد النــوبي، وكــان لا يــزال طالبــاً في كليــة التجــارة، وهو شاب ذكي، هادئ الطباع، لا تكاد تسمعه من شدة أدبه، صــاحب رأيّ ورؤيــة، ممــا أهّلــه ليكــون من عناصــر التنظــيم البــارزة في فتــرات وجيزة....وكــان يســاعده في العمــل الأخ المهنــدس مــروان الفلسطيني، والأخ شعيب المصري، والأخ هارون القمري، وهم مــن الإخــوة الأكفّــاء، وكلهــم أصــحاب خبرة عالية في التدريب العسكري والإداري....وكان الإخوة الثلاثة قد تزوجــوا مــن أُســر كينيــة محترمــة وملتزمة، أمّا الأخ هارون فقد تزوج من جزر القمر من إحدى قريباته.

ذهبتُ إلى مومباسا، ونزلت في أحد الفنادق وذهب الأخ فهد لإخبــار الإخــوة بــأنني موجــود، وكانــت مفاجأة للجميع، فمنذ فترة طويلة لم يصلهم أحد من طرفنا وظــن الجميــع أنــني جئــتُ لمتابعــة العمــل في الصومال.

في اليوم التالي أخبرني الأخ فهد بأن الأخ مصطفى يرغب في مقــابلتي وهــو ســوف يُرتــب مكــان اللقــاء على طريقته، وبالمستوى الأمني الذي يطمئن إليه، وكان يخشى أن يكــون هــو وإخوانــه مــراقبين، فلــذلك كانت إجراءاته الأمنية غاية في الحــذر.... جــاءني الأخ فهــد لــيلا وذهبنــا في شــوارع ضــيقة وقمنــا بإجراءات كشف المراقبة خشية أن نكون متابعين -حسب تعليمات الأخ مصــطفى لــلأخ فهــد- وعنــدما تأكدنا بأننا غــير مــراقبين توجهنــا حيــث الأخ مصــطفى الــذي كــان في انتظارنــا في أحــد تلــك البيوت....دخلتُ فوجدت الأخ مصطفى في الداخل، وكــان لقــاءاً حــاراً فقــد كانــت فتــرة الغيــاب طويلة، مع متانة العلاقة التي كانت بيننا.

ذهب الجميع وبقيت أنا والأخ مصطفى في البيت نتبادل أطراف الحديث حــتى الفجــر، تكلمنــا عــن كــل شيء يخُص العمل في الصومال، وشرح لي بإسهاب وتفصيل الدور الــذي يقومــون بــه هنــاك، ومــا طــرأ على الأوضاع من تطور، وكيفية الإدارة الحالية، والمعسكرات، والخطــط العســكرية، وطموحــات الإخــوة

المسؤولين، أمثال الشيخ حسن حرسي -رحمه الله- ومساعديه وسألته عن بعض الإخوة في الاتحاد الإسلامي ومدى علاقتهم بهم....كان حديثاً شيّقا و لم نشعر بمرور الوقت خاصة مع تناول الشاي الكيني بعد وجبة العشاء المتأخرة.

كانت هناك مشكلة لازمت جلوسنا، وهي وجود موسيقى وأغاني طوال الليل، لأننا كنّا في نهاية الأسبوع.... ونهاية الأسبوع هناك لها طابع خاص لا يختلف عن الطابع الأوربي، فالخمّارات، والبارات، وأماكن اللهو مليئة بالزبائن إلى قُرب الفجر، هذا بجوار الراديو الذي كان يعمل طوال الليل في نفس الغرفة التي كنا نتحدث فيها ليقوم بالتشويش على أيّ حديث بيننا بناءً على رغبة الأخ مصطفى.

ومما دفع الأخ مصطفى لكل هذه الاحتياطات هو سوء الأوضاع الأمنية هناك، فقد حدثت أحداث كبيرة في مومباسا جعلت الجزيرة ملتهبة وحدثت صدامات بين الشرطة وبين المسلمين في المدينة، ولكن سرعان ما هدأت وعادت الأمور طبيعية في الظاهر مع توتر أمني حقيقي في الواقع، بالإضافة إلى الشعور الأمني المرهف عند الأخ مصطفى نفسه، فقد كان يُطبّق كل النظريات الأمنية التي درسها وهذا سبّب له مشكلة مع الأخ هارون القمري الذي كان يتهاون في الجانب الأمني بشكل كبير من حيث وجهة نظر الأخ مصطفى، أمّا من حيث وجهة نظر الأخ هارون فقد كان يرى أن تصرفاته عادية جداً، بل وطبيعية، وكان لا بد لي من الفصل في هذا الأمر حتى يتيسر للجميع إكمال عملهم.

مغادرة هارون لكينيا

ذكر لي الأخ مصطفى جانبا كبيراً من الملاحظات الأمنية على الأخ هارون القمري والتي يمكن أن تسبب كارثة على الجميع، وكان من أبرز تلك الملاحظات هو التوسع الزائد للأخ هارون في العلاقات الاجتماعية، فقد كان على علاقات بأشخاص مشبوهين في نيروبي من وجهة نظر الأخ مصطفى.

وكانت تربطه علاقات اجتماعية قوية بأسرة الشيخ أبي عبيدة البنشيري -رحمه الله- في نيروبي، وكان الأخ مصطفى غير مستريح لهذه العلاقة فقد كان أحد أفراد الأسرة غير مأمون الجانب من وجهة نظر الأخ مصطفى، كما كان للأخ هارون القمري علاقات بإخوة صوماليين يقيمون في كينيا بشكل دائم،

ولهم أعمالهم وتجارتهم الخاصة، وكان الأخ مصطفى يخشى أن يطّلع هؤلاء على طبيعة عملنا في الصومال فقد كانوا على علم بأن الأخ هارون يسافر للصومال للعمل الإغاثي هناك.

هذه وغيرها جعلت الأخ مصطفى يُصرّ على ضرورة سفر الأخ هارون في أسرع وقت، ويلتحق بالإخوة في أفغانستان حيث العمل الجبهوي المفتوح الذي لا يحتاج إلى مثل هذه الاحتياطات الأمنية التي تحتاجها المدن، وطلب منّي ذلك وبإلحاح ووعدته إنهاء هذا الأمر ولكن بعد لقائي بالأخ هارون.

على شاطئ المحيط الهندي

وهناك على شاطئ المحيط الهندي حيث المياه الزرقاء الصافية، والأمواج الهادئة، والهواء العليل، وأشعة الشمس الساطعة التي تنعكس على سطح الماء فتلبسه حُلة زاهية تتداخل فيها الألوان بشكل فنيّ بديع يزيد المشهد جمالاً وروعة، التقيت بالأخ هارون القمري ودار بيننا حديث طويل استمر لعدة ساعات ذكر لي كثيراً مما ذكره الأخ مصطفى عن طبيعة العمل والمصاعب التي واجهتهم، والإنجازات الكبيرة التي قاموا بها، ثم تطرّق الحديث عن موضوع إقامته ورغبة الإخوة الملحّة في سفره لاعتبارات ومخاوف أمنية، وأن سفره سيخفف كثيراً من تلك المخاوف.... لم يكن مقتنعا بما ذكره إخوانه إلا أنه سينفذ أيّ قرار نتخذه بحقه وهذه هي طبيعة الإخوة في التنظيم، **السمع والطاعة في المنشط والمكره وهذا من أحد أسباب نجاح التنظيم بل هي من الأسباب الرئيسية لنجاح أيّ عمل جماعي.**

وقد أوضح وجهة نظره إذ أنه يتصرف بشكل طبيعي، فهو إفريقي، ويتكلم اللغة السواحلية، وعنده بطاقة إثبات شخصية كينية، وعمل عدة سنوات في نيروبي، وله علاقات جيدة بالطلبة القمريين الذين يدرسون في كينيا، فلماذا لا يكون طبيعيا في علاقاته الاجتماعية .... ومع ذلك فقد أخبرته بقرار السفر إلى أفغانستان مروراً بالخرطوم ووافق في الحال على أنْ أُمهله بعض الوقت لتجهيز أموره وترتيب ما يلزم لسفره.

في اليوم التالي أخبرت الأخ مصطفى بما دار بيني وبين الأخ هارون وأنه سيسافر خلال أيام قليلة -بإذن الله- وبدت ملامح البشر على وجهه وسألته عن الأخوين الكريمين مروان وشعيب فقال إنهما بخير وفي شوق للقائك، وحددنا موعدا للالتقاء بهما في بيت الأخ شعيب وكان يسكن في مدينة (مالندي) وهي من مدن الساحل الكيني المهمة.

ركبت سيارة أجرة ماركة (بيجو) وانطلقت بنا بسرعة مذهلة رغم سوء الطرق، وضيقها، مما يسبب كثيراً من الحوادث، والناس يطلقون على الرحلة اسم "ساعة وربع" إشارة إلى سرعتها وخطورتها.

وصلنا أنا والأخ هارون إلى بيت الأخ شعيب و لم يأت الأخ مصطفى للاجتماع.... علمت فيما بعد أن لديه هواجس أمنية منعته من الحضور.... وبعد ساعة من وصولنا وصل الأخ مروان وجلسنا جلسة طويلة تحدثنا فيها عن كل شيء متعلق بالعمل، والأمور الخاصة بفريق الصومال، وافترقنا على أن نلتقي بعد شهر بإذن الله لضرورة عودتي للخرطوم لإتمام بعض المهام.

العودة إلى الخرطوم

رجعت إلى الخرطوم لترتيب الأوضاع مع الأخ طلحة السوداني قبل سفره إلى أفغانستان، وأخبرته بأنني بحاجة إليه في عمل خاص فوافق بغير تردد، وبغير سؤال عن طبيعة العمل وماهيته.... فأخبرته بطبيعة عملنا وأنه قد يستغرق منّا الكثير من الوقت، وشرحت له خطورة العمل مع بيان آثاره ونتائجه الطيبة في حالة نجاحه، فقال على بركة الله وبشّرني بأن موضوع الأموال التي طلبتها منه قد تم ترتيب أغلبها، وأنه وجد طريقة سهلة لإرسالها لي عند الطلب.

في المساء ذهبنا باتجاه الجامعة الإفريقية والتقينا بشخص في العقد الرابع من العمر واتفقنا معه على طريقة إرسال الأموال، وعلى النسبة التي سيأخذها مقابل عمله، ولكنه كان متردداً بعض الشيء وظهرت عليه علامات الخوف خشية أن نكون تابعين للحكومة! ولكن بعد تطمينات عدة وافق على إرسال دُفعة واحدة من الأموال وشرح لنا الطريقة، وكانت في الحقيقة سهلة وميسورة وبعيدة كل البعد عن المعاملات البنكية المعقدة والمُراقبة أيضا....**وفي الحقيقة عمليات المراقبة الصارمة التي فرضتها أمريكا والدول الصليبية على تحويل الأموال للتضييق على المجاهدين لم تؤثر إطلاقاً على عمليات تحويل الأموال، بل فتحت أبواباً كثيرةً أكثر أمناً ومرونة، وجعلت تلك العمليات بعيدة كل البعد عن المراقبة والمتابعة....وإذا كانت التحويلات المالية كانت تتم في السابق بشكل جزئي خشية المراقبة الغير معلنة، فاليوم تتم التحويلات المالية بشكل أكبر بكثير، وبذلك فَقَدَ العدو ميزة كانت يمكن أن تكون مصدر معلومات بالنسبة له لو استمر في المراقبة الغير معلنة، ولكن الحماقة التي يتمتع بها المسؤولون الأمنيون جعلتنا في موقع أكثر أمناً وأشد مرونة وحركة.**

بعد أسبوع من وصولي جاءنا اتصال من الأخ هارون بأنه سيصل الخرطوم مساء الأربعاء، فقد أنهى إجراءات سفره، وحصل على الفيزا لباكستان، وذهبنا للمطار لاستقبال الأخ هارون وأسرته ولكن الأخ هارون لم يصل، وبعد السؤال علمنا أنه كان ضمن ركاب الطائرة، ولكنه لا يحمل تأشيرة دخول للسودان لذلك سيرجع مرة ثانية إلى نيروبي، ونزل الخبر علينا كالصاعقة !كيف سيعود هو وأهله وأبناؤه وقمنا بعمل بعض الاتصالات في محاولة لتسهيل دخوله، ولكننا لم ننجح في ذلك وتعنت ضابط الأمن في المطار و لم يوافق إطلاقاً على السماح له بالدخول، فطلبنا مقابلته وبعد محاولات تمت الموافقة والتقيت بالأخ هارون وأخبرته بأن الأمر بسيط وسترجع إلينا في الرحلة القادمة إن شاء الله تعالى....وفي صباح اليوم التالي وصلت طائرة الخطوط الكينية التي استقلها الأخ هارون وأسرته قافلا إلى نيروبي حيث نزل ضيفاً عند أحد الإخوة الصوماليين الذي أحسن استقباله كعادة الشعب الصومالي الكريم المضياف إلى حين سفره مرة أخرى إلى الخرطوم.

وقد حدث له موقف طريف أثناء عودته مرة أخرى للخرطوم حيث تأخرت الرحلة عن موعدها المقرر لها بسبب من الخطوط الكينية، فطلب النزول في أحد الفنادق إلى حين موعد الرحلة القادمة، وبالفعل وبعد إصرار منه نزل في إحدى الفنادق الخمسة نجوم حيث الوجبات الفاخرة، والخدمة الراقية، مع وجود مخصصات ترفيهية ممتازة للأطفال، وقد اعتبر هذه الثلاثة أيام هدية مقدمة من الخطوط الكينية له ولأسرته، واعتذاراً عن عودته من الخرطوم في المرة السابقة.

الخرطوم تُرحب بالشاب القمري

بعد انقضاء أيام الضيافة في نيروبي توجه الأخ هارون إلى مطار نيروبي الدولي ليستقل الطائرة المتجهة إلى الخرطوم وقد استكمل كل الإجراءات اللازمة في هذه المرّة، وعند وصوله للخرطوم اتصل بالأخ أبي طلال المغربي الذي ذهب لاستقباله حيث نزل ضيفاً خفيفاً على بيت الأخ أبي طلال فقد كانت تربطهم علاقة أخوية طيبة.

عقبات في الطريق إلى اليمن

كان من ضمن ما كُلفت به أن أذهب إلى اليمن لترتيب ما يلزم لعملية أخرى كنّا قد اتفقنا عليها مع أحد الإخوة القدامى عند زيارته لنا في أفغانستان، وكان الأخ طلحة -رحمه الله- قد حصل لي على

جواز سفر "لإحدى الدول العربية"، ومع معرفتي التي لا بأس بها بالعمل الوثائقي إلا أنني لم أجهز جوازي بنفسي [18] فأعطيت الجواز لأحد الإخوة الثقات-من تونس الحبيبة-الذي قام بعمل ما يلزم على أفضل وجه.

قاعدة في أمن الوثائق: لا تُجهز جوازك بنفسك، وإلا فسوف تشك في كل ختم، وفي كل تاريخ، وستسلم نفسك لأول ضابط أمن.

وأصبح الجواز جاهزاً قبل وصول الأخ هارون إلينا، واتصلت بالشيخ أبي حفص الكومندان -رحمه الله- وأخبرته بما تم وأنني مسافر إلى اليمن قريباً، كما أخبرته بخبر الأخ هارون فاقترح عليّ أن يكون الأخ هارون ضمن طاقم الفريق الذي سيعمل في شرق إفريقيا.

فقلت: سأنظر في الأمر.

فقال: الأمر عندك والقرار لك.

وبعد تفكير في الأمر استخرت الله سبحانه وتعالى وأخبرت الأخ هارون بالأمر على أن يبقى هذا الموضوع سراً للغاية، وإن لم يوافق على العمل فسيسافر إلى أفغانستان وينسى الموضوع وكأنه ما سمع شيئاً، ولكنه وافق على الفور مع حماس زاد عن توقعاتي خاصة وأنه يعلم أن عودته لكينيا قد تسبب بعض الخلافات والمشاكل والاعتراضات، ولكنه قال موضوع الإخوة عندك وأنت تستطيع حله بطريقتك....وبذلك يكون قد انضم للفريق العنصر الرابع بعد الأخوين فهد وطلحة السوداني.

كان كل شيء جاهزا للتحرك إلى اليمن فقد اتصلت بصاحبنا فقال: أنا في انتظارك على شوق منذ مدّة طويلة لبدأ العمل.... اتفقت مع الأخ طلحة على ترتيب أوضاع الأخ هارون وأسرته إلى حين عودتي من اليمن، ولكن جاءني اتصال من صاحبنا في اليمن يقول بأن أحد الإخوة المصريين ممن أعرفهم معرفة جيدة قد تم القبض عليه في مطار صنعاء بجواز "نفس البلد" الذي أحمله ونصحني بعدم السفر الآن خشية أن يتكرر الأمر....أجلتُ فكرة السفر وشرعت مع الأخ طلحة في ترتيب الأمور له ولأسرة الأخ هارون.

بيوت سوبا

في أواخر أيام إقامتنا في السودان كان الشيخ أسامة -رحمه الله- قد قام ببناء أربعة بيوت طينية في منطقة سوبا في الخرطوم، وكانت بيوت واسعة وجميلة ومتواضعة، ومنطقة سوبا تقع خارج مدينة الخرطوم ولكنها تابعة لها إدارياً، هواؤها نظيف، وهادئة، وتقع على شريط نهر النيل.

كانت هذه البيوت قد تقرر بيعها بعد رحيل الشيخ أسامة وأسرته إلى أفغانستان، وكان المشرف على بيعها هو الأخ طلحة السوداني -رحمه الله- فطلبت منه تأجيل البيع لحاجتنا إليها وأن ينتقل بأسرته إلى بيوت سوبا برفقة أهل الأخ هارون، وبذلك تسهل متابعتهم حال غياب الأخ هارون، وكان يسكن في تلك البيوت وقتها الأخ أبو مروان المصري وهو متزوج من السودان وله -ما شاء الله- من الأبناء عشرة حينها والأمر مُرشّح للزيادة حتى غلب على كنيته أبو مروان الزول....وافق الأخ طلحة على هذا المقترح وقمنا بتجهيز البيوت تجهيزاً مناسباً، وانتقل الأخوان طلحة وهارون إلى بيوت سوبا لنبدأ مرحلة جديدة من مراحل العمل بعد تأمين أمور العائلات.

طلحة إلى أفغانستان

كانت هناك سفرية قصيرة وضرورية للأخ طلحة إلى أفغانستان، وكان في شوق للسفر للالتقاء بالشيخ أسامة والإخوة الكرام في أفغانستان، وأفغانستان لها مكانة كبيرة في قلوب من هاجر إليها وجاهد على أرضها أيام الجهاد ضد العدو السوفيتّي.

كانت مهمة الأخ طلحة -رحمه الله- حمل بعض الأمانات والتقارير الهامة لإيصالها إلى الشيخ أسامة ثم العودة إلى السودان لمتابعة أعماله، وعندما اكتمل كل شيء وأصبحت أوراقه جاهزة حجزنا له على الخطوط القطرية " الخرطوم الدوحة كراتشي" وفي نفس التوقيت كانت رحلتنا برفقة الأخ هارون إلى نيروبي.

ودعنا الأخ طلحة والإخوة في السودان والكل يعلم يقينا أننا ذاهبون للصومال لمتابعة عملنا السابق هناك، وكانت وصيتهم ألا ننسى الأناناس وجوز الهند عند عودتنا، وكانت وصيتي لطلحة العودة مسرعاً لكي نكمل برنامجنا ووعدني بذلك .... بعدها سافر الأخ طلحة إلى أفغانستان وأتمّ مهمته

بنجاح معهود والتقى هناك بإخوانه وشارك في إحدى المعارك بجوار حركة طالبان ومن ثم عاد مرة ثانية إلى السودان لمتابعة أعماله بعد أن أمضى شهرا كاملاً في رحاب أفغانستان طالبان.

توجهتُ برفقة الأخ هارون إلى مطار الخرطوم الدولي لنستقل طائرة الخطوط الكينية المتوجهة إلى نيروبي، وكنّا نحمل مبلغاً جيداً من الدولارات الأمريكية للاستعانة بها بعد الله على ضرب القوات الأمريكية، وكان موعد الرحلة في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل وأثناء وجودنا في صالة الانتظار رأينا وفوداً من مشايخ الطرق الصوفية في السودان يتوافدون على صالة المطار ومع كل شيخ عدد كبير من المريدين ممن يُبّجلون شيوخهم، ويبالغون في توقيرهم، ويتسابقون في خدمتهم، واجتمع في صالة المطار يومها جل مشايخ الطرق الصوفية في السودان، والعجيب في الأمر أن إدارة المطار سمحت لكل المريدين المرافقين بالدخول إلى صالة الانتظار حتى موعد إقلاع الطائرة!.

جلست أنا والأخ هارون نراقب الموقف، فطوال سفري وترحالي لم يتوافق لي أن التقيت بكل هذا العدد من شيوخ الطرق الصوفية مجتمعين، ونشأتي الإسلامية بعيدة كل البعد عن التوجه الصوفي المنتشر في بلادنا!!!، ولكن فضولي دفعني لتكليف الأخ هارون بأول مهمة استطلاعية.... فاقترب من أحد المريدين بهدوء وسأله بأدب عن شيخه؟ فكان جوابه أن شيخه هو شيخ الطريقة التيجانية، ثم استرسل في الحديث عندما علم أن الأخ هارون ليس سودانيا، وبدأ يذكر له سبب هذا الجمع الكبير، وذكر أنهم متوجهون لحضور مؤتمر سنوي كبير للطرق الصوفية في السنغال، وأن هؤلاء المريدون حضروا لتوديعهم ولتحصيل البركة قبل سفرهم، وسيكون برفقة كل شيخ عدد قليل من المريدين الذين تم اختيارهم من قِبل الشيخ.

كان كل شيخ يجلس على كرسيه وحوله المريدون يجلسون في مستوى أقل منه احتراما له، وإذا أراد أحد المريدين الانصراف لأي أمر لا بد من استئذان الشيخ، فإذا أذن له كان الانصراف بالسير القهقري حتى لا يعطي ظهره للشيخ تأدباً وتوقيراً، وإذا أراد الشيخ الذهاب للوضوء ترى الجميع برفقته، هذا يحمل حقيبته، وآخر يحمل عصاه، وآخر يمسك بعمامته حتى يفرغ من وضوئه، وترى السعادة والفرح والبشر في وجوه الجميع فالقرب من الشيخ والأنس به غاية كل مريد....ولم يكن هذا الاحترام والتبجيل من المريدين فحسب بل من موظفي المطار على اختلاف مراتبهم....كنت أعلم أن الصوفية متجذرة في ثقافة الشعب السوداني ولكن رأيت ذلك متمثلاً بشكل واقعي في صالة المطار....

جلسنا نراقب الموقف بشغف وقد اقترب موعد رحلتنا ولكن جاء إعلان الخطوط الكينية بتأخر موعد الطائرة أتاح لنا فرصة متابعة ما يجري في المطار، و لم نهتم كثيرا بتأخر موعد الرحلة فهي فرصة لنا لنصلي صلاة الصبح قبل السفر.

أذن المؤذن لصلاة الفجر

عندما دخل وقت الصلاة قمنا للصلاة وصلينا في المصلى الخاص بالمطار، ولكن مشايخ الطرق الصوفية والمريدين لم يسعهم المكان، وتأخروا بعض الوقت لكي يجهزوا للصلاة وافترشوا الصالة الكبيرة وصلوا فيها وصلى بهم شيخ الطريقة الميرغانية.... وبعد الصلاة بقليل كان موعد رحلتهم وتوجهوا للطائرة و لم يبق إلا المريدون الذين اختلفوا بعد سفر شيوخهم! فمن قائل أننا نحن الطريقة الأم فشيخنا هو الذي أمّ لصلاة الصبح، وآخر يرد عليه بل نحن الطريقة الأفضل ولكن شيخنا تواضع و لم يتقدم للإمامة، وثالث يقول قولاً آخر، وبدأت الأصوات تخفت شيئاً فشيئاً حتى غادر الجميع، وبعدها بقليل وصلت طائرتنا وكان الإقلاع بعد الفجر بساعة تقريبا.

أقلعت طائرة الخطوط الكينية من الخرطوم مُتجهة إلى نيروبي، وقد عزمت في نفسي ألا أغادر كينيا حتى إتمام العملية بإذن الله تعالى، لأنني وجدت أن **الإشراف المباشر هو أفضل الطرق لإدارة العمليات ووجود المسئول بين المجموعة يعمل على ضبط الجميع والتزامهم بالأوامر وإن كانت تخالف رغباتهم في بعض الأحيان.**

وصلنا إلى مطار نيروبي وأنهينا الإجراءات اللازمة للحصول على تأشيرة الدخول وكان ذلك في سنة 1418ه شهر نوفمبر من سنة 1997م، وتوجهنا بعد ذلك إلى منطقة "إيس لي" وحجزنا غرفة في الفندق واستغرقنا في نوم عميق، وبعد أن أخذنا قسطاً جيداً من الراحة تناولنا وجبة الغذاء اللذيذة وهى الماكرون الإسبكتي " الباستو " مع الموز، وشربنا الشاي الكيني المميز، وجلسنا نتحدث عن برنامج العمل وكيف سيكون شعور الإخوة عندما يعلمون بوجود هارون مرة أخرى في كينيا، صحيح أنهم سيلتزمون بالأوامر ولكن سيبقى في نفوسهم شيء من هذا الأمر، وهؤلاء الإخوة من كفاءات التنظيم ومراعاة مشاعرهم وآرائهم أمر مهم ولكن قلت لهارون أنا سأتدبر الأمر.

اتصلت بالأخ فهد وأخبرته بوصولي.

قال سأكون عندكم غداً.

قلت له لا عليك أنا سأتحرك طرفكم بعد يومين ولا داعي لمجيئك.

فقال ونحن في انتظارك على شوق وهناك الكثير من المبشرات نريد أن تطّلع عليها.

قضينا هذا اليوم في الفندق فقد كنّا بحاجة إلى الراحة، وفي الصباح تحركنا إلى وسط المدينة وكان الجو لطيفاً جداً إذا قارنته بجو الخرطوم الحار، وكان وسط المدينة يعج بالمارة والسيارات، وتوجهنا لشراء بعض الملابس التي تناسب تلك البلاد، وهذا أمر سهل خاصة إذا توجهت لوسط المدينة، فالمحلات التجارية كثيرة جداً وعلى جميع المستويات، وبعد عدة ساعات كنّا قد انتهينا من شراء أغلب ما نحتاجه من ملابس وقررنا العودة إلى الفندق على أن نعود غدا لتكملة ما تبقى....كان يوما موفقا أنجزنا ما نريده، وفي الفندق وبعد قسط من الراحة تناولنا الغداء وكان في هذه المرة طعاما بحريا لذيذا مع الأرز.

نجمة تتلألأ في رابعة النهار

من المعتاد أن تتلألأ النجوم في السماء ولا تُرى إلا في الليل وكلما قارب القمر على المحاق كان تلألأ النجوم أبهى وأزهى، أمّا أن تتلألأ النجوم في النهار والشمس ساطعة فهذا أمر مُلفت للنظر فقد كنّا نسير في وسط نيروبي ورأيت مبنى كبيراً عن يميني، ولفت نظري وجود حراسات عليه ووجود متاريس حديدية وخرسانية من حوله.

فسألت الأخ هارون عن المبنى.

فأجاب هذه السفارة الأمريكية.

فقلت: تقصد أنّ هذه كانت السفارة الأمريكية.

قال: بل هي السفارة الأمريكية العاملة في نيروبي.

أنت تعني ما تقول.

قال نعم وبكل تأكيد.

قلت هذه فرصة لا تُفوّت.

قال أيّ فرصة.

قلت هذه تصلح أن تكون هدفا للتنظيم في المستقبل، فالوصول إلى أسوارها ممكن إذا تخطينا هذه المتاريس الحديدية والاسمنتية.

فقال أنا أمُرّ عليها في كل يوم ولكن لم أفكر هذا التفكير.

فقلت له أنت معذور فالجماعة لم تكن تبنت من قبل نظرية العمل في المدن إلا في حدود ضيقة جداً لم يطلع عليها الكثير من الإخوة.

دار هذا الحديث بيننا ونحن نتأمل ذلك المبنى الضخم الذي يدور بداخله كل المؤامرات ضد الشعوب الإسلامية في إفريقيا خاصة الصومال، وتُوضع فيه كل الخطط اليهودية والأمريكية للالتفاف حول مصر والسودان وحصارهما بالتحكم في منابع مياه نهر النيل، ووضع قدم لهم في مياه البحر الأحمر والمحيط الهندي لحصر المنطقة العربية، والتحكم في ممرات التجارة البحرية العالمية، بالمشاركة مع الدول الصليبية الكبرى.

قمنا باستطلاع المبنى بالدوران حوله ورأينا نقاط الضعف، مع تحديد أضعف النقاط التي يمكن اقتحام المبنى منها، وأسهل الطرق للعمل عليها ....**وحقيقة لقد رأيت في هذه السفارة مشاريع عمل وليس مشروعاً واحداً، فنحن نستطيع اقتحامها والسيطرة عليها خلال بضع دقائق، فأبوابها الأمامية لا تبعد عن الطريق الرئيسي إلا أمتاراً قليلة يسهل تخطيها.**

ونستطيع متابعة العاملين فيها لاغتيالهم.

ونستطيع عمل متابعة أدق لخطف بعض موظفيها وهذا أمر سهل في حينه ومازال كذلك.

وقد هالنا عدد السيارات التابعة للسفارة.... ومن نظرة أولية تستطيع وضع رقم تقريبي لعدد العاملين فيها فالسيارات الواقفة في المرآب الخارجي بالمئات، والتي في الداخل لا تقل عن هذا العدد فإذا ضربت عدد السيارات في متوسط اثنين لكل سيارة فسيكون الناتج عندك بالمئات وهذا ما ثبتت صحته يقيناً بعد العملية وتصريحات المسؤولين الأمريكيين.

كان الحصول على المعلومات الأولية أمر يسير بالنسبة لنا، فالشوارع مزدحمة بالمارة ويستطيع أيّ أحد من المارة الاقتراب من أسوار السفارة بشكل لا يُتصور ودون أن يلاحظك أحد، فالجميع ينظر إلى السفارة الأمريكية على أنها تُعبر عن الحريات في العالم، وعن الديمقراطية في أوج صورها، وعن احترام حقوق الإنسان! وعلى أنها دولة القانون، بالإضافة إلى أن السفارة تُمثل معلما سياحياً لكل زائر للعاصمة نيروبي.

أمّا نحن فكنّا ننظر إليها على أنها تُعبر عن صُور الاستعباد للشعوب في العالم، وتُمثل أكبر خُدعة سياسية في العالم تحت مسمى الديمقراطية.... وهي أكبر دولة تنتهك حقوق الإنسان.... فالإنسان ليس له أيّ قيمة طالما أنه ليس أمريكيا بروتستانتيا.... وهي أكبر دولة مارقة على القانون.... وسفاراتها تمثل أكبر معلم استخباراتي في العالم تحاك بداخله كل المؤامرات لإذلال الشعوب واستعباد البشر، فهي تمثل تاريخ استعباد الشعوب الإفريقية حيث أقامت لهم أكبر سوق للنخاسة في العالم.... وهي أكبر دولة مجرمة في التاريخ.... فهي التي قتلت الملايين من الأفارقة في رحلات التهجير القسري أيام الاستعباد الأولى، وهى التي فرّقت بين الأسر الآمنة التي جلبتها قسراً للعمل في مزارع السادة البيض، وهى التي قتلت الملايين من الهنود الحمر السكان الأصليين لأمريكا، وهى التي تدعم الدولة اليهودية دعما لا حدود له لقتل إخواننا في فلسطين، وهي التي قتلت مئات الآلاف من اليابانيين في الضربة الذرية الأولى، ولايزال اليابانيون يعانون من آثار الإشعاعات الذرية إلى يومنا هذا، وهى التي قتلت ثلاثة ملايين من الشعب الفيتنامي–على أقل التقديرات– إبان حربها في فيتنام، وهي التي قتلت أكثر من مليون ونصف المليون من أطفال العراق، وهي التي تسرق ثروات ومقدرات عالمنا الإسلامي وتترك شعوبه تعيش الفقر بكل صوره وأشكاله، وهي التي تنشر الرذيلة والإلحاد لإبعاد المسلمين عن دينهم، وهي ... وهي ... ولولا خشية الإطالة لسردنا جرائم هذه الدولة بشيء من التفصيل ليعلم شباب الإسلام أن العداء بيننا وبين الأمريكان والغرب الصليبي عداء عقدي ديني.... فهذه مقارنة بين نظرتين.

كان هذا الاستطلاع مبدئياً وسريعاً، فقد كنتُ أنوي عمل استطلاع دقيق في المستقبل وقبل مغادرتنا لكينيا ليكون مشروعاً جاهزاً أمام القيادة عند عرضه عليهم.

قلت للأخ هارون وقتها هذه نجمة تتلألأ في الأرض، وشعرت حينها بمدى غباء الأمريكان، ومدى غباء اليهود، ومدى الغفلة عند المسلمين الذين أوهمهم الأمريكان بأن أمريكا وإسرائيل تعرف كل شيء! وفي الحقيقة أمريكا لا تعرف أيّ شيء، سِوى إيهام الشعوب، والكذب عليهم، من خلال أجهزة إعلامية احترفت الكذب والخداع.

قلت له هدفنا من اليوم اسمه "النجمة".

ولكن كان علينا بعد هذا العمل أن نتوجه إلى وجهتنا الأساسية، وهي شراء ما تبقى من حاجيات حتى نتحرك إلى مومباسا....وبعد أن أكملنا كل ما نحتاجه توجهنا إلى مكتب الحجز وحجزنا مقعدين للسفر إلى مومباسا، وفضلنا أن يكون السفر ليلاً حتى نصل في الصباح....توجهنا للفندق وقمنا بتجهيز حقائبنا ثم تناولنا وجبة الغداء اللذيذة والتي كانت مُكوّنة من كبد الإبل، مع البطاطا المقلية، والخبز الحار.

أخذنا قسطاً من الراحة وذهب الأخ هارون لسداد مبلغ كان قد اقترضه من أحد الإخوة الصوماليين وقت سفره السابق إلى الخرطوم، وأنهى إجراءات الفندق، وأصبحنا جاهزين لمغادرة منطقة إيسلي المزدحمة.

موعد جديد مع مدينة مومباسا الساحلية

توجهنا لمكتب الحجز لركوب الحافلة التي ستُقلنا إلى مومباسا، وهي رحلة طويلة تستغرق طوال الليل تقريباً ليس لبُعد المسافة ولكن لضيق الطريق ورداءته، فالمسافة لا تزيد عن خمسمائة كيلو متر، تشق الحافلة طريقها بين مساحات خضراء من الغابات المترامية الأطراف على جانبي الطريق، وكثيراً ما تتوقف الحافلات أثناء مرور قافلة من الزرافات أو القرود أو الغزلان من أحد جانبي الغابة إلى الطرف الآخر منها، أما إذا كانت القافلة التي ستعبر من السلاحف فعليك أن تأخذ قسطاً من النوم مع أحلام سعيدة وأحيانا مُزعجة حتى تتحرك الحافلة، وهذه المناظر الجميلة والخلابة تستهوي جميع السيّاح المتوجهين إلى مومباسا نهاراً، وقد كانت لي رحلات سابقة في النهار أيام تواجدنا في الصومال وشاهدت تلك المشاهد الجميلة التي تستهويني خاصة وأنني نشأت في بلد يختلف مناخه وطبيعته عن تلك الطبيعة الإفريقية الخلابة.

وصلنا إلى مومباسا قرب الفجر وحجزنا في أحد الفنادق واستغرقنا في النـوم لعـدة سـاعات، كـان الجـو حاراً مع رطوبةٍ مُحْتملة، يختلف تماما عن جو نيروبي ولكن نحـن قـد تعودنـا علـى هـذا الجـو، فـالأخ هارون من جزر القمر وطبيعة الجزر متشابهة كثيراً مع طبيعة مومباسا، وأنـا قـد عشـت كثـيراً في المنـاطق الساحلية وهذا الجو مألوف بالنسبة لنا فلم نشعر بغرابة خاصة وأننا لنا زيارات سابقة للمدينة.

ومدينة مومباسا عبارة عن جزيرة يحيطها الماء من كل الجوانب، ويربطها باليابسـة جسـر صـغير تمـر عليـه أثناء دخولك وأنت قادم من جهة العاصمة، وجسر آخـر أصـغر منـه أثنـاء ذهابـك إلى مدينـة مالنـدي الساحلية، وفي حالة قطع الجسرين تكون الجزيرة قد قُطعـت تمامـا عـن اليابسـة....والمدينة خلـيط مـن السكان العرب والأسيويين والأفارقة، وبها أعداد كبيرة مـن الأوربيـين الـذين يـأتون للسـياحة، والتمتـع بأشعة الشمس والذهاب للغابات "رحلات السفاري" لمشـاهدة الحيوانـات البريـة عـن قـرب، متنقلـين بسيارات مُخصصة لهذا الغرض.

وينتشر في المدينة رجال الشرطة الذين يجوبون الشوارع طـوال اليـوم.... لـيس بحثـاً عـن المجـرمين ولا المطلوبين ولا لفرض الأمن في المدينـة.... وإنمـا بهـدف إيقـاف مـن يـرون إيقافـه للحصـول علـى المال....وأكثر من يتعرض للإيقاف العرب والصوماليون والآسيويون.

والمدينة يكثر فيها أماكن اللهو، والحانات منتشرة في كل مكـان، ويرتادهـا الكثـير مـن الزبـائن وتكـون مكتظة أثناء الليل خاصة في نهاية الأسبوع....وأمّا الغانيات الـلاتي يعرضْـنّ أنفسـهنّ وأجسـادهنّ فحـدّث ولا حرج، ويكفي أن تقف بسيارتك عن طريق الخطأ قريباً منهن حتى يتـدافعن إليـك تـدافع الإبـل علـى الماء!.

وتكثر المساجد بشكل ملاحظ في المدينة، وعند دخول وقـت الصـلوات تسـمع تـردد الأذان مـن كـل جنبات الحي الذي تسكن فيه وهذا كان يُشعرنا بالأمان مع حسرة في القلب علـى ضـياع بـلاد المسـلمين من أيدي المسلمين، بسبب حكام خانوا دينهم وشعوبهم من أجل مصـالح شخصـية لا تتعـدى حفنـة مـن الحسابات البنكية مهددة بالمصادرة!!!

كما تنتشر في المدينة أماكن العبادة لكثير مـن الـديانات والمـذاهب الأرضـية وغـير الأرضـية، ويمـارس أصحابها طقوسهم بكل حرية، ويرتدون زيّهـم الخـاص بهـم رجـالا ونسـاءً، بـل ويتكلمـون بلغـاتهم

الأصلية، وما زالوا يحتفظون بكثير من تقاليدهم وعاداتهم خاصة في مسائل النكاح والعزاء، ويغلب عليهم السمة الهندية فهؤلاء أكثرهم من أصول هندية جلبهم الإنجليز قديماً ضمن القوات البريطانية التي غزت القارة السمراء للسيطرة على ثرواتها وحرمان أهلها من أدنى حقوقهم، واستوطن الآباء تلك المدن ونشأ الأبناء في تلك الديار البعيدة عن موطنهم الأصلي.

لقائي بالأخ فهد

اتصلت بالأخ فهد وأخبرته بوصولي وجاء مسرعاً إلى الفندق ولكنه تفاجأ بوجود الأخ هارون القمري ولكنه لم يُعلق بأي شيء.... وجلسنا جلسة قصيرة على أن نلتقي بعد العصر في أحد الأماكن العامة.... وفي الموعد المحدد جلست أنا والأخ فهد وتكلمنا عن كل شيء يخص العملية، وأخبرني بالكمية التي اشتراها من مادة tnt وأنها في مكان التخزين....كما استطاع الحصول على كمية لا بأس بها من الصواعق الحرارية.... وشكرته على مجهوده الطيب وأخبرته بأنني أنهيت كل أعمالي وسوف أقيم في كينيا حتى انتهاء كل الترتيبات اللازمة للعملية، وطمأنته بأن الأمور المادية قد تم تأمينها تماماً وأننا يجب علينا العمل المتواصل لإنجاز المهمة.

ثم سألني عن هارون ولماذا رجع مرة ثانية؟ خاصة وأن الملاحظات التي عند فهد هي نفس الملاحظات التي ذكرها الأخ مصطفى من قبل، فأخبرته بأن الشيخ أبا حفص الكومندان قد اقترح وجود الأخ هارون معنا في العمل، وترك الأمر لي.... وفي الحقيقة الأخ هارون يتمتع ببعض الصفات المناسبة جداً للعمل معنا.... منها بشرته السمراء، ومعرفته بالبلد، ويتكلم عدة لغات منها اللغة السواحلية، هذا بخلاف ذكائه ونشاطه المعهود.

أمّا الجانب الأمني فأنا أتفق معكم تماما ولكن سأعالج هذا الجانب بطريقتي، فأرجو أن تتعاون مع الأخ هارون، ولا أريد أن تؤثر وجهة نظرك فيه على العمل.... فقال على بركة الله طالما أنك تعهدت بالناحية الأمنية.

بيك اب جديد

طلبت من الأخ فهد شراء سيارة مناسبة للعمل وعرض عليّ عدة أنواع من السيارات وكانت له خبرة جيدة بها، ولم يمض أسبوعين حتى كانت السيارة البيك اب الجديدة جاهزة لنقل المواد المتفجرة....

وذاك النوع من السيارات هو أكثر السيارات شيوعاً في شوارع مومباسا، وقمنا بتجهيزها بجيوب سرية غاية في الدقة لحمل المواد بأمان، وقد كانت لي خبرة مُسبقة بمثل هذا العمل الفني....وبدأت عجلة العمل في الدوران بسرعة كبيرة وبمجهود مضاعف من الأخ فهد، وفي كل يوم أشعر بتقدم ملحوظ في العمل....كميات المواد المتفجرة في تضاعف، وكذلك عدد الصواعق، والفتيل الصاعق، مع إمكانية توفير المزيد إذا لزم الأمر.

ولكن مثل هذا العمل بحاجة إلى أعصاب فولاذية، وسعة صدر، وتحمل للأخطار، فكل يوم يمر عليك وأنت تعمل في المدن هو نجاح بحد ذاته، فأنت تعمل في وسط سكاني مُتطفل يسأل عن كل شيء، وفي وسط أمني مُتربص ومتابع لمهامه، وفي وسط بوليسي لا تكاد تخلوا منه شوارع المدينة، وأي خطأ أو تقصير يمكن أن ينتج عنه كارثة كبيرة، فالتحلي بالهدوء، وضبط النفس، وبرودة الأعصاب في أصعب المواقف، يعينك على تخطي كثير من الأزمات من حولك بعد فضل الله وتوفيقه.

طاقم الإشراف على العمل في الصومال

حددتُ موعداً مع الإخوة القائمين على إدارة العمل في الصومال وجلسنا جلسة طويلة تباحثنا فيها عن أسلوب تطوير العمل في الصومال، وكان الإخوة قد بذلوا مجهودا كبيراً ورائعاً، فقد تم تأهيل عدد كبير من الكفاءات الصومالية، بحيث أصبح العمل في الداخل تحت إدارة صومالية بنسبة 100% مع متابعة من الإخوة مصطفى، ومروان، وشعيب، الذين يتناوبون على الذهاب إلى الداخل إذا استدعى الأمر.

كان للإخوة رؤية خاصة بهم خصوصاً بعد الزواج، فقد فكروا في مشروع تجاري مشترك في السابق وعرضوه على الشيخ أبي عبيدة البنشيري -رحمه الله- ووافق عليه ووفر لهم ميزانيته، وكان عبارة عن مشروع متكامل، يبدأ بصيد السمك بواسطة قارب مملوك لنا، ثم نقل السمك إلى مومباسا للقيام بتسويقه عن طريق محل خاص بنا لبيع السمك، ولم تكن للإخوة حينها كبير تجربة بالأمر مما عرضهم للنصب والخسارة فقرر كل واحد منهم أن يقيم مشروعاً مستقلاً، وقد أخبرتهم برغبة الإخوة في أفغانستان أن تسافروا جميعا أنتم وأُسَركُم، وعلى الجميع أن يرتب أوراقه لحين وقت السفر....أمّا

بالنسبة لوجود الأخ هارون فقد أقنعتهم أنني بحاجة إليه لمدة مـــن الوقـــت وبعـــدها سيســـافر إلى أفغانســـتان، وأنني مُتكفل بضبط النواحي الأمنية عنده، وأنـــه مـــن الآن فصـــاعداً لا علاقـــة لـــه بالعمـــل مـــع فريـــق الصومال، وأنا قد كلفته ببعض الأمور الإدارية المتعلقة بوجودي في كينيا وسوف أبقـــى هنـــا حـــتى إتمامهـــا بإذن الله.

مومباسا وشهر رمضان

لقد اقترب شهر رمضان، وأصبحت نسائمه تهب علينا بين الفينـــة والأخـــرى، وبـــدأت الـــذكريات الجميلـــة لهذا الشهر الفضيل تتراءى أمام عيني، وتذكرت زوجتي الحبيبة وبنـــاتي الحبيبـــات وتـــذكرت مســـجد المطـــار بقندهار وصلاة القيام، وتذكرت الشيخ عبـــداللطيف الموريتـــاني ذاك العـــالم الربـــاني [19] والشـــيخ ســـعيد المحاسب ذاك العابد الخاشـــع [20] –نحســـبهم والله حســـيبهم–فقـــد كـــانوا يَؤُمـــون المصـــلين في صـــلاة التراويح، وكان لمسجد المطار سمته الخاصة لا يعرفهـــا إلا مـــن عـــايش تلـــك الثلـــة المباركـــة مـــن قـــادة المجاهدين وقدامى المجاهدين رفقاء الدرب، كانت الدموع تغـــالبني ولكـــن وجـــودي في عمـــل ينفـــع الله به الإسلام والمسلمين ُيذهب عنّي الكثير من ألم الذكريات.... وما هـــي إلا أيـــام قليلـــة حـــتى أهـــلّ علينـــا شهر الصيام بخيره وبركته، وكان رمضاناً مميزاً على غـــير مـــا توقعـــت.... ورســـخت منـــه ذكريـــات في نفسي لم أنسها حتى اليوم.

كانت درجة الحرارة عالية، والرطوبة شديدة، إلا أنك تشعر بلطف الله في كل لحظة.

ومومباسا كما ذكرت سابقاً خليط سكاني بين المســـلمين، والنصـــارى، والـــوثنيين، وأصـــحاب الـــديانات والمذاهب الأخرى، إلا أن منطقة الساحل يكثر فيها المسلمون بشـــكل ظـــاهر، فهـــذه المنـــاطق كـــان أكثـــر سكانها من المسلمين قبل أن يسلمها الإنجليز لإدارة الدولة الكينيـــة الـــتي عملـــت فيمـــا بعـــد علـــى تغيـــير

---

19 - عالم بالقراءات ، يُتقن القراءات العشر، مع سعة علم باللغة العربية، مع تواضع وحياء جم ، يُحـــب حيـــاة المجاهـــدين مـــع مـــا فيهـــا مـــن نصب وكد، وقلة إقبال من طلبة العلم، فقد كان يُدرس القراءات في جامعة الخرطوم، ولما انتقلنـــا إلى أفغانســـتان فضّـــل الانتقـــال معنـــا ، وظـــل بيننا حتى خروجنا من أفغانستان، مالي الأصل ، نزيل موريتانيا ، تلقى العلم على يد أحد أقاربه، وبرع وفاق أقرانه، بل وفاق شيوخه.

20 – وهو الشيخ الجليل الحافظ المتقن العابد "مُصطفى أبو اليزيد" من قدامى المجاهـــدين، ومـــن قـــادة القاعـــدة البـــارزين، لـــه ورد بالليـــل لا يكاد يخطئه ابتلى بالسجن في مصر، ثم خرج بعد ثلاث سنوات مُيمما وجهه إلى أفغانســـتان ليبقـــى بهـــا إلى أن رزقـــه الله الشـــهادة هـــو أســـرته في قصف أمريكي ظالم، وله اثنين من أبنائه عبد الله وعبد الرحمن كانوا من القيـــادات الشـــابة الـــتي أبلـــت بـــلاءً حســـنا في قتـــال الأمريكـــان، رزقهما الله الشهادة في سبيله–نحسبهم والله حسيبهم–.

التركيبة الديموغرافية فيها، وهذا ما نجحت فيه إلى حد كبير مع غفلة العالم الإسلامي عن دوره الحقيقي وانشغاله بواقعه المر وخيانة حكامه .... ورغم التغيير الذي حصل فإن مظاهر شهر رمضان تبدو ظاهرة جلية في تلك البلاد .... فسكانها بكل طوائفهم يستعدون لهذا الشهر الفضيل، المسلمون تدينا، والآخرون تكسباً، فالحركة التجارية والشرائية تزداد بشكل ملحوظ مع بداية شهر رمضان، فالمحلات التجارية مزدحمة، والبضائع متنوعة، وأنواع التمور متوفرة، وقبل آذان المغرب تزدحم الشوارع بالباعة الذين يتفننون في طهي أشهى الأطعمة الشعبية، ويقفون بها على جانبي الشوارع الرئيسية، وهي أطعمة شهية ولذيذة المذاق، ومن أشهرها البطاطس المقلية بطريقة خاصة وتسمى " viazi "والسمبوسة المحشوة باللحم المفروم، والفلافل المقرمشة، وعجينة دقيق الحمص المقلي، والفطير الهندي "الشباتي" والحلويات المختلفة وهي كثيرة الأشكال ومتعددة المذاق، والخبز المحلي، مع كافة أصناف الخضروات الطازجة، ولا تنسَ أن تأخذ معك وأنت في طريق العودة إلى البيت جوز الهند الأخضر"الكوكونات"حيث يقوم الباعة بفتحه بطريقة فنية جميلة ويعلقونه للمشتري بحبال من نفس جنس النخيل مع ملعقة من نفس جنس الجوز وهو طيب المذاق إذا جربته فلن تتركه حتى بعد رمضان، وعندهم أكلة مشهورة طيبة المذاق ومن فاتته فقد فاته عادة أصيلة للشعب الكيني ألا وهي "اللحم المشوي" ويسمونه بالسواحلي " نِيَامَا تشُوما " وله مذاق خاص لم أجده عند غيرهم من الشعوب التي زرتها .... هذا غير العصير البارد الطبيعي المعبأ في زجاجات بأنواع الفاكهة الإفريقية المتعددة والشهية، والأناناس الطازج، والمانجو بأنواعه، وأصبحت في كل يوم أخرج لشراء ما يلزمني من الأطعمة اللذيذة ولا أنسى "الكوكونات" أي جوز الهند.

أما المساجد فممتلئة بالمصلين، والأذان يصل صداه إلى كل بيت في المدينة، والناس يتوافدون من كل جهة لحضور صلاة الجماعة، وأشهر المذاهب انتشاراً هناك "المذهب الشافعي" و" المذهب الحنفي"، والصوفية منتشرة بشكل كبير وملاحظ، ونسبة الجهل بعلوم الشريعة كبيرة بين العوام، مع وجود تيّار وليد ذات توجه سلفي ولكنه يفتقد لحكمة الدعوة وأصولها.... فأكثر القائمين عليه من الشباب الذين يفتقدون لحكمة الدعوة وأساليبها وأصولها وقواعدها.... لكنها دعوة مباركة بدأت تنتشر وتُثمر ويكون لها أتباع وأنصار.

ومما يُلفت الأنظار كثرة المساجد، وكثرة روادها، مع حرية في الدعوة إلى الله نــتج عنــه دخــول كثــير مــن النصارى في الإسلام.

وهناك وجود للمذاهب الشيعية بمختلف طوائفهــا وروافــدها، ومــن أبرزهــا المــذهب الاثــني عشــري، والإسماعيلي، والبهرة، ولهم مساجدهم الخاصة بهم، ولهم نشــاط ملحــوظ للــدعوة لمــذاهبهم، وينفقــون في سبيل ذلك الكثير من الأموال التي يدعمهم بها مناصــروهم، دون أيــة قيــود علــى الحركــة الماليــة، علــى النقيض من الحركة المالية للمجاهدين والتي تخضع لمراقبة صــارمة مــن الــدول الصــليبية الكــبرى لتضــييق وتجفيف منابع التمويل للمجاهدين.

وكنّا بعد صلاة التراويح والتي ختمنا فيهــا بتوفيــق مــن الله القــرآن الكــريم كــاملا [21] نخــرج للعمــل مستفيدين من ازدحام الشوارع بالمارة والزبائن الــذين يتوافــدون علــى شــراء ملابــس العيــد لأنفســهم ولأبنائهم، حيث تزدحم بهم الأسواق والمحــلات التجاريــة، وحــتى الأرصــفة ممتلئــة بالباعــة المتجــولين، وهكذا مر علينا شهر الصيام بخير حال، ولم نشعر فيه بالغربة التي يشــعر بهــا المســلمون في بــلاد أخــرى، وحمدنا الله سبحانه على هذا الفضل، مع حسرة خفية في قلوبنا على ضياع بــلاد المســلمين بســبب الخونــة من ثلة الزعماء العملاء الذين كانوا سبباً في سقوط الخلافة العثمانية، أمثــال عبــدالعزيز آل ســعود في بــلاد الحرمين، والشريف حسين صاحب ما يسمى بالثورة العربيــة الكــبرى، وهــي في حقيقتهــا ثــورة الخيانــة الكبرى، ووددنا لو عادت هذه البلاد لأحضان أمتها بعد هذه الغربة الطويلة.

الانتقال للبيت الجديد

أثناء شهر رمضان اجتهدنا في البحث عن مترل مناسب لنا، وعن طريق مكاتــب الإيجــارات وجــدنا بيوتــا كثيرةً لكنها لم تكن تناسبنا، وكان للأخ هارون معارف في مومباسا اســتطاع مــن خــلال إحــدى الأســر أن يجدوا لنا بيتا مناسباً في المدينة القديمــة " old town " –كمــا يطلقــون عليهــا– وكانــت شــقة في الطابق الثالث تطل مباشرة على المعبد الرئيسي للطائفة الإسماعيليــة أو" الأغاخــان "، وتتكــون مــن ثــلاث

21 - ذكرت ذلك تنبيهاً لبعض الشباب الذين يخرجون للعمل الخاص ويتركون الكثــير مــن الواجبــات والســنن بحجــة التمويــه وعــدم لفــت الأنظار.... وقد رأيت في ذلك توسعاً غير مبرر عند بعض الشباب ويأتي بالتأثير سلباً علــى الأخــلاق فيمــا بعــد.... فأنصــح الشــباب بعــدم التوسع في المباحات، والالتزام بضوابط الشرع، وكل المطلوب منك في العمل الخاص أن تبدو علــى أنــك شــخص عــادي، هــذه هــي مهــارة التخفي الحقيقية.

غرف وما يلزمها، لها منافذ من أربع جهات وتستطيع أن ترى من داخلها كل الطقوس التي يمارسها أصحاب الطائفة الإسماعلية، إلا في حالة واحدة فقط عندما يطفؤون الأنوار، ويغلقون الأبواب والنوافذ لمدة ساعة تقريباً، ثم يعودون لفتح النوافذ والأبواب وإشعال الأنوار مرة أخرى، ولا أدري طبيعة الطقوس التي يؤدونها في تلك الأثناء، وقد بحثتُ في كتب العقائد والأديان، و لم أقف على شيء يطمئن إليه القلب كي أنقل ما قرأتُ، فلعلها طقوس تعبدية خاصة بهم.

كان الحي القديم يُشعرني براحة كبيرة فقد خرجت من بلد-أفغانستان- أهلها مازالوا أصحاب فطرة نقية لم تفسدها الحضارة والمدنية الحديثة، وكنا في مجمع المطار نعيش حياة أقرب إلى الحياة الريفية فلا توجد كهرباء للإنارة، والماء يأتي عن طريق الخزانات المحمولة على الشاحنات "التانكر" أو "الوانيت" وبيوتنا متواضعة، لكنها معيشة طيبة تسعد فيها ببساطة الحياة، وبساطة الناس، وحسن التفكير، فمطالب المدنية الحديثة لا تتيح لك التفكير إلا فيما تتطلبه الحياة المدنية، أمّا التفكير في هموم الأمة فهذا فعل ماض مبني، وكانت بساطة المدينة القديمة في مومباسا توحي إليّ ببعض هذه المشاعر الجميلة التي أحبها وأحنّ لها.

كان لنا جيران طيبون يعاملوننا معاملة حسنة، ونبادلهم نفس الشعور والمعاملة، وكان لي جار من جزر القمر اسمه "صوفني" وكان يعيش مع أسرة قمرية تسكن في نفس الحيّ، وكان يتكلم اللغة العربية بشكل جيد فقد كان طالبا في جامعة الأزهر، وكان يأتي إلى البيت ويحكي لي قصصه في الجامعة، وهو لا يعرف أنني مصري الجنسية، بل يتكلم معي على أنني يمني، وكنت أستفسر منه عن أمور كثيرة داخل جامعة الأزهر، فقد قصّ عليّ الكثير من القصص التي تدل على حجم الفساد الإداري الهائل داخل الجامعة، ومدى استغلال الطلاب الوافدين الذين جاؤوا إلى مصر وهم يتوقعون أنهم سيلتقون بقمم سامقة في العلم والأخلاق، وتلك القمم موجودة في جامعة الأزهر لكن لا تتصدر المشهد، بل يتصدره آخرون تم توظيفهم على أعين ضباط أمن الدولة الذين أفسدوا البلاد وظلموا العباد ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كانت الجامعة تُعين مسؤولاً لكل جنسية، ومن مهام هذا المسؤول جمع مبلغ مخصوص من كل طالب وتسليمه لأحد كبار الإداريين في الجامعة، وأيّ طالب يمتنع عن الدفع يتم تهديده بفصله من الجامعة والتضييق عليه! فكان الجميع يرضخ لهذا الابتزاز.انتهى.

قلت: وقد بلغني أنه عندما تولى بعض المخلصين وظائف مفصلية في الجامعة بعد ثورة يناير، وقفوا على حجم الفساد والسرقات التي لم يتصوروها في يوم من الأيام، ولكن سرعان ما عاد المفسدون ليمارسوا سرقاتهم وظلمهم بعد الانقلاب العسكري الدموي الذي مولته دولة الإمارات، والمملكة العربية السعودية بالتعاون مع العسكر في الجيش المصري لإبعاد ما يسمى بالإسلام السياسي عن الحكم.

وحدثني عن الرحلات التي كانت الجامعة تُنظمها إلى الإسكندرية، والأقصر، وأسوان، ومدى الجشع الذي كان يمارسه المسؤولون عن تلك الرحلات، وكيف كانت تلك الرحلات مصدر ربح لهؤلاء المسؤولين الذين درجوا على قولهم هل من مزيد! وكان يقصٌّ عليّ الكثير من القصص المشوقة عن مصر، ويحدثني عن مدنها التي زارها مثل الإسكندرية، ومرسى مطروح، ومدن الجنوب السياحية، وكانت عنده قصص كثيرة عن جامعة الأزهر، وما تنظمه من نشاطات رياضية بين الجاليات، وما تجنيه من وراء ذلك من أموال.

وكان يُحدثني عن مهارته الفائقة في الطبخ خاصة الأكلات القمرية التي يُتقنها، وفي يوم طلبت منه أن يطبخ لنا الغداء في الغد ووافق على طلبي، واشتريت له كل ما طلبه من حاجيات، وكان طهيه في الحقيقة يدل دلالة واضحة بأنه لم يمارس مهنة الطبخ في حياته ولو بشكل هاوي! ولكن بلباقة أكلتُ من الطعام وشكرته على مجهوده الطيب، ولكنه شعر أنه لم يُوفق، لذلك أغلق باب الحديث عن مهارته في الطبخ تماماً.

وكان عاشقا لكرة القدم يُحدثني دائماً عن كثير من اللاعبين المشهورين.... وفي الحقيقة كنت لا أعرف أيّ أحد منهم، وأحاول أن أسايره وأجامله، ومع كثرة حديثه عن نجوم كرة القدم أصبحتْ لديّ ثقافة رياضية لا بأس بها، وكان كأس العالم 1998م قد اقترب موعده، وكان دائما يُحدثني عن الفرق العالمية، وعن نجوم كل فريق، وكان معجباً جداً بالفريق البرازيلي وببعض اللاعبين المميزين في الفريق ....وكان يحثني على شراء جهاز تلفاز لمشاهدة مباريات كأس العالم، وكنت أعتذر منه بأنني سوف أتابع المباريات على الراديو أو على التلفاز في الأماكن العامة! ولو علم الحقيقة لزاد تعجبه فقد كنت في السابق لاعباً متميزاً في كرة القدم، ولكنني تركت الكرة في وقت مبكر و لم أعد أهتم بأخبارها على الإطلاق، مع أنني كنت أمارسها أحياناً في أفغانستان بين الفترة والأخرى.

كانت إقامته بهدف استخراج أوراق كينية لكي يذهب للعمل في دولة خليجية، وكانت لديه نظرة مُتفائلة جداً للمستقبل، فهو لن يكتفي بالعمل في وظيفة وحسب، بل سيعمل في عمله حتى إذا ادخر جزءاً من المال يشتري به بضائع يرسلها إلى الجزر للتجارة فيها، ومن ثم سيكثر رأس المال فينتقل بالتجارة إلى تجارة أكبر حتى تتكون لديه ثروة كبيرة يستطيع من خلالها أن يكون من أثرياء بلده ....كنت مُعجباً بتفكيره من الناحية النظرية، ولكن من الناحية العملية فالأمور ليست بهذه البساطة، والأسواق بها حيتان، وبها نصابون محترفون، وبها غش وكذب، ولكنه كان يأمل أن يجد تجاراً أمناء يساعدونه في مشاريعه المستقبلية.

كنت أشجعه وأحذره في نفس الوقت، ولكن كل هذه الآمال تحطمت، فقد جاءه خبر وفاة والدته – رحمها الله تعالى رحمة واسعة- فسافر إلى الجزر، وانكسرت جرة العسل، وذهبت كل الأحلام سُدى، فقد سألت عنه فيما بعد فأخبرني هارون بأنه استقر في الجزر ويبحث هناك عن عمل.

في الحقيقة فقدته فقد كان يؤنسني كثيراً في وحدتي، وكنت أتمنى أن يُحقق آماله، خاصة وأنه يحمل بين جنبيه قلباً طيباً، وكان فيه خير كثير فهو لا يترك الصلاة مع كثرة الفتن في مومباسا، ورغم أنه شاب أعزب إلا أنه كان شاباً مؤدباً محترماً.

كان لنا كذلك جيران طيبون يُقدمون لنا كثيراً من الخدمات الطيبة، كخدمة الاتصالات، وكذلك استقبال المكالمات الخاصة بي، وكان من بينهم خادم طيب تربطني به علاقة طيبة فقد كنت أُحسن معاملته، وأعطف عليه، وأتلطف معه في الكلام، ومع أنه كان نصرانياً إلا أنه قدّم لي خدمات جليلة فكان إذا اتصل عليّ أحد بالليل أو النهار جاءني مسرعا ليخبرني بأن فلاناً قد اتصل، وأنه سيعود للاتصال في الساعة كذا، وغيرها من الخدمات التي أتحفني بها خلال مدة إقامتي، وحتى رحيلي من مومباسا، وكانت الأسرة التي يعمل عندها تربطني بهم علاقة طيبة جداً، وكانوا يسألون دائما عن أهلي متى ستأتي، وكانوا يقولون لي نحن نظن أن زوجتك ننجا -يعني زوجة محافظة- لأنني كنت رجل محافظ، مع أن مظهري الخارجي كان شخصاً عادياً، ولكن كان لحسن معاملتي أثر كبير في نفوسهم.

كان الحي به العديد من المساجد، وكنت لا أواظب على صلاة الجماعة في مسجد بعينه، فقد كانت هناك أربعة مساجد قريبة من مسكني، فكنت أتنقل بينها حتى لا أكون معروفا في أي مسجد، والصلاة

هناك لا تدل على الالتزام، لذلك صلاتي في المسجد ليس أمراً مُلفتاً عند النـاس، بـل هـو حامـل علـى احترام الناس لك، خاصة إذا كنت أعزبا وتسـكن وحـدك.... ولسـت أنـا العـربي الوحيـد في الحـيّ، فكثير من سكان الحي من العرب، والصوماليين، والهنود المسلمين.... والشـباب العـربي مـن أصـول يمنيـة كثر ولكن أكثرهم لا يعرف العربية، أو يعرف كلمات قليلة جداً....لقد كان هـذا الحـي مناسـبا لعملـي جداً، ومكثت فيه عدة أشهر لم أشعر فيه بغربة كبيرة، وكان الأخ فهد معجبـا كثـيراً بالبيـت، وبالمكـان، وكان يرى أننا وُفقنا في الاختيار.

تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية ضد اليهود والصليبيين

وهذه الجبهة التي سعى لتأسيسها الشيخ أسامة –رحمه الله تعـالى– وإخوانـه في أفغانسـتان، وكانـت تضـم عددا كبيراً من الجماعات الإسلامية التي تتبـنى الجهـاد كوسـيلة للتغيـير، مـن باكسـتان، وبـنجلاديش، والجماعات الجهادية في الدول العربية، وكذلك كثير من الرموز الإسلامية العالمية والـتي لهـا تـأثير كبـير في العالم الإسلامي .... وهذه الجبهة كان لتأسيسها دلالات هامة جداً، فبعد أن كانـت القاعـدة فقـط هـي التي تتبنى فكرة الجهاد العالمي، خلافا للجماعات الجهادية القطرية، أصـبحت تلـك الجماعـات تتبـنى نفـس الفكر، وهذا شتت من جهود العدو الصليبي، وأصبح فكر القاعدة فكـراً عالميـاً، واكتسـب قبـولاً كبـيرا في العالم الإسلامي بين فئات الشيوخ والشباب، وهكذا اسـتطاعت القاعـدة أن تمسـك بمفتـاح الصـراع الصحيح الذي يتفق عليه الجميع، وهذا أمر كـان بعيـد المنـال قبـل تكـوين الجبهـة الإسـلامية العالميـة ....هذا الإعلان لم يكن مزعجاً للكفار فحسب، بل تحركت حكومات عربيـة لـوأد هـذا المشـروع قبـل أن يكون واقعاً عملياً، وعلى رأس تلك الحكومات، الحكومـة السـعودية العميلـة النشـأة والمسـار، تلـك الحكومة الغارقة في العمالة، وفي خدمة أسـيادها الأمريكـان، ولكـن بحـول الله وقوتـه بـاءت مسـاعيها بالفشل.

سمعنا في الإذاعات بتأسيس هذه الجبهة ،كما سمعنا تهديـداً صـريحاً صـدر عـن الشـيخ أسـامة بضـرب المصالح الأمريكية المحتلة لأرض الجزيرة العربية، وقد أزعجنا كثيراً هـذا التصـريح، فـنحن نمتلـك حينهـا قرابة اثنين طن من المتفجرات، بجانب ما يلزمه من مـواد مُحرضـة، ومعـي طـاقم عمـل يعمـل بالليـل والنهار، ومثل هذا التصريح قد يُسلط الضوء علينا.... هكذا تفكـير الرجـل الـذي يعمـل في الميـدان .... **ولكن علمنا فيما بعد ومن خلال تصريح القادة الأمريكـان، بـأن العيـون كانـت مُفتحـة لضـربة في**

داخل الجزيرة العربية لنعلم فيما بعد وللمرة الألف بأن الأمريكان يمتلكون عقولا فارغة، وتصريحات رنانة خاوية، وأن العمل ضد مصالحهم أمر بسيط وسهل -لمن سهله الله عليه- تستطيع القيام به أي مجموعة جهادية في العالم ....فهم لا يعلمون الغيب كما يتصور البعض، أو كما يُحب أن يُصورهم البعض للقعود عن الجهاد، أو كما ينسج البعض عنهم صوراً من الخيال بأنهم جبارين، ولا يستطيع أحد محاربتهم، وينسجون قصصاً غريبة حول إمكانياتهم، كما نسجت بنو إسرائيل عن الجبارين مع نبيهم موسى -عليه الصلاة والسلام- بقصد القعود عن الجهاد فعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة، حتى انتهى هذا الجيل الذي لا يصلح للجهاد، ولا لنزول النصر، باستثناء نبي الله موسى -عليه السلام- وقلة من المخلصين.

وأمتنا الإسلامية الحبيبة المسلوبة، وشبابنا المسلم العزيز قد أدخلهم الحكام والمتخاذلين، والمخذّلين، في تيه فكري، وثقافي، وعسكري، واجتماعي، منذ أن سقطت الخلافة الإسلامية بمعاول آل سعود، والشريف حسين وأبنائه، وكمال أتاتورك ومن ورائهم التحالف الصهيوصليبي، وآن لهذا التيه أن ينتهي وها هي بوادر انتهائه تبدو ظاهرة للعيان، رغم حرص الحكام المتسلطين وأعوانهم على بقائه لمدة أطول، وإن كانوا في قرارة أنفسهم متيقنين بزواله يوما ما.

عقبات في الطريق

فالأخ فهد يعمل بصمت وجد واجتهاد وابتسامة لا تفارق شفتيه، ولكن بدت عليه مظاهر التعب والإنهاك، وكنت أرقب هذا التعب والإرهاق وأخشى أن أفاتحه في الأمر فيصرح لي بما في نفسه وهنا ستكون مشكلة البديل، وكنت أدعو الله سبحانه وتعالى أن ييسر لنا إتمام التجهيزات، فالعمل شاق وعسير ولكن ليس هناك أيّ مجال للتراجع أو التوقف، وذات يوم جاء الفرج من الله فقد جاءني الأخ فهد وعرض عليّ إشراك أحد الإخوة الثقات لديه ليكون مساعداً له في العمل، على أن يتبادلا الرحلات في إحضار المواد اللازمة للعملية، وبذلك تكون هناك فترات راحة متبادلة للإثنين.... وقال إن لم توافق فسوف أكمل العمل بنفسي على الوجه المطلوب إن شاء الله تعالى.... وفي الحقيقة مثل هذا القرار يحتاج إلى كثرة تفكير، فأيّ خطأ ولو بسيط يمكن أن يسبب كارثة للعمل، ويأتي على أصل المشروع بالفشل، وطلبتُ مُهلة من الأخ فهد على أن يأتيني غداً.

تكلمت مع الأخ هارون عن الفكرة التي عرضها الأخ فهد، وقلت له هل تعــرف أحــد الإخــوة هنــا اسمــه "شيخ سويدان" فقال: نعم أعرفه جيداً، وذكر لي الكثير من صفاته ومواقفــه الرائعــة مــع الإخــوة العــاملين في فريق الصومال، وأنه أخ هادئ، قليل الكلام، له خبرة جيدة جــداً بالســفريات الطويلــة، فهــو وإخوانــه يمتلكون شاحنات لنقل البضائع، بالإضافة لتدينه والتزامه، وأن انضمامه للعمل سيكون مفيداً بإذن الله.

في اليوم التالي التقيت بالأخ مصطفى مبكراً، وساقنا الحديث إلى مواضيع كثــيرة وكــان منهــا ســؤالي عــن الأخ شيخ سويدان برفق ولُطف، فذكر لي بأنه من أفاضــل الإخــوة هنــا، وأنــه يرغــب في الــذهاب إلى أفغانستان ولكن بحاجة إلى بعض الوقت حــتى تضــع زوجتــه مولودهــا الجديــد....افترقنا و لم يشــعر الأخ مصطفى بأيّ شيء -على الأقل فيما يبدو لي- فقد كان أخا حييــا وذكيــاً ولا يســأل عــن أيّ شــيء لا يخصه.

جاءني الأخ فهد في نفس الموعد المحدد وأخبرته بأنني موافق على قبــول مُقترحــه بانضــمام شــيخ ســويدان للعمل على أن نأخذ عليه المواثيق والعهود على الالتزام بكل الأوامر الــتي تصــدر إليــه، وأن يكــون كتومــا حتى على أقرب الناس إليه، فأهم شيء في عملنــا -بعــد توفيــق الله- أن يكــون الشــخص كتومــاً، وأن يسمع ويطيع، في المنشط والمكره.

طلبت مقابلته لكي آخذ عليه العهود والمواثيق، وبالفعل تمت المقابلــة في أحــد الأمــاكن العامــة، وجلســت مع الأخ "شيخ سويدان" وكان يتكلم العربية بشكل لا بأس به، واتفقنا علــى كــل شــيء، وبــذلك انضــم عُنصر خامس للفريق العامل في كينيا.

وهكذا تم الدفع بروح جديدة للعمل، وكان الأخ شيخ ســويدان لا يقــل كفــاءة ومجهــودا وعطــاءً عــن الأخ فهد، خاصة وأنهما بدا عليهما التفاهم التام في العمل، وذلك سرّع من الاقتــراب مــن إنهــاء التجهيــز اللازم للعملية، وأصبح الجميع متفائلاً، وكل الفريــق يعمــل في صــمت وجــد، وبــدأت مراحــل العمــل الأولى تكتمل و لم يبق إلا القليل لتكتمل عملية التجهيز، وأصــبح لــدينا مــن المــواد المتفجــرة مــا يكفــي للعملية وزيادة، فإذا كانت كل سيارة تحتاج إلى مائة كيلو من مادة tnt -على ســبيل المثــال- فقــد تــوفر لدينا أضعاف هذه الكمية، وقمنا بالاستطلاع مرات عديدة، ووضــعنا الســيارات في الأمــاكن الــتي نريــد

العمل عليها أكثر من مرة على سبيل التجربة، ولكن كانت السيارات خالية انتظاراً لساعة الصفر لضغط الزر.

السفر إلى تترانيا

كان من برنامجي السفر لتترانيا، ومن ثم العودة إلى كينيا لتجديد الفيزا التي اقتربت على الانتهاء، وكنت قد أخذت فيزا إلى تترانيا منذ فترة، ولكن ازدحام العمل منعني من السفر، وكان من ضمن برنامج السفر استطلاع السفارة الأمريكية في تترانيا، وكان الأخ هارون يعرفها ودائما يقول لي لو رأيتها ستعجبك كثيراً وطلب مني أن يذهب لاستطلاعها وكنت دائما أتمهل في الأمر لزحمة العمل، ولما سمحت الظروف بالسفر حجزنا على أول رحلة برية مُتجهة إلى دار السلام، وكان ذلك في العام 1419ه، مايو من عام 1998 م.

انطلقت بنا الحافلة في أول النهار وعبرنا المحيط عن طريق "المعدية" ويطلقون عليها "الفيري"[22]، وسارت الحافلة في طريق غاية في الجمال والروعة، فالغابات الخضراء على الجانبين مد البصر، وهناك قبائل تقطن هذه الغابات ولها الزيّ الخاص بها، كنا نرى ذلك سريعا أثناء مرور الحافلة على مناطقهم، وبعد مسافة ليست بالطويلة، عبرنا الحدود الكينية إلى تترانيا ومكثنا في منطقة الحدود حوالي ساعة تقريباً لإتمام إجراءات التفتيش، والحصول على الفيزا لبعض الأجانب الذين كانوا على متن الحافلة، وبعدها انطلقت الحافلة في الأراضي التترانية و لم يختلف المشهد عن سابقه، فالمساحات الخضراء لم تنقطع، غير أن الطرق أوسع وأفضل بكثير من الطرق في كينيا، وكانت الأمور تسير بهدوء، باستثناء تصرفات بعض الأوربيين المزعجة والغير لائقة كعادتهم، فقد كانوا يشربون بعض المشروبات الكحولية التي أزعجت رائحتها الكثير من الركاب....خاصة وأن أكثر سكان تترانيا من المسلمين ويرون حُرمة هذه المشروبات، ولكن الأوربيين لا يقدرون مشاعر الآخرين، ولا يحترمون خصوصيات الشعوب وثقافتهم!.

[22] – وهى لفظة باللغة الإنجليزية، وتعني المعدية.

سارق الحقيبة

أثناء الطريق توقفنا قليلا لشراء بعض الحاجيات الخفيفة، وللذهاب للحمامات.... تركتْ إحدى المسافرات حقيبتها، فلما عادت وجدت أن حقيبتها قد سُرقت، وانطلقت الحافلة بعد أن أبلغت السيدة طاقم الحافلة بما حدث، وكانت الشكوك تدور حول أحد الشبان الذي كان يجلس قريبا من السيدة، وبالفعل تبين أنه هو السارق، وتوقفت الحافلة بنا مرة أخرى بعد أكثر من ساعة، وتم تسليم هذا الشاب لأول نقطة شرطة، واستعادت السيدة مسروقاتها ....نزلنا من الحافلة لمشاهدة المناظر الخلابة والبديعة، وأول ما لفت نظري شجر طويل جداً أشبه بشجر الكافور العملاق، وتتدلى منه فاكهة عجيبة بحجم البطيخة الطويلة والكبيرة جداً، فأخذت الكاميرا على الفور وجلست أُصور هذا المنظر العجيب.... هذه الفاكهة كنت قد أكلتها في مومباسا -ولا أذكر اسمها أثناء الكتابة- فبداخلها فاكهة على شكل مكعبات مصفوفة بشكل بديع، لا يسعك إذا رأيتها إلا أن تقول: سبحان الذي خلق وأبدع.

انطلقت الحافلة مرة أخرى وأصبح السكون يُخيم على الجميع، فأكثر الركاب يغطّون في نوم عميق، وبين الحين والآخر، تتوقف الحافلة لينزل منها راكب أو راكبان، ويدخلون في طرق ضيقة داخل الغابة الكثيفة للذهاب إلى قُراهم القابعة في قلب الغابات الإفريقية، وحينها علمت لماذا تُعد تنزانيا الدولة الأولى في العالم التي تهاجم الأسود قراها سنويا !!!

استغرقت الرحلة اثني عشر ساعة حتى دار السلام، توجهنا إلى منطقة "كاريوكا"، وحجزنا غرفة في فندق الخليج، وبعد أن صلينا المغرب والعشاء ذهبنا للمطعم وأكلنا الدجاج المشوي على الطريقة الهندية، وكان الليل قد أرخى سدوله، فقلت للأخ هارون يجب أن نرجع فالشوارع غير آمنة، فقال الوضع في تنزانيا يختلف تماما عن الوضع في كينيا، هنا تسير في الليل بدون خوف-فالبلد آمنة- بشكل كبير فشجعني ذلك على السير والتعرف على الحي الذي نحن فيه، كان أغلب سكان الحي من المسلمين، وهذا أمر طبيعي إذا علمت أن أغلب سكان تنزانيا من المسلمين، بل وهناك جزر كاملة مثل زنجبار كل سكانها من المسلمين، مع أن النشاط التنصيري يعمل فيها على قدم وساق، مستغلين حالة الفقر المتعمدة للسكان المسلمين، وتحول بعض المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية،كما هو الحال في باقي الدول الإفريقية.

والعاصمة دار السلام مع أن أكثر سكانها مـن المسـلمين، إلا أن المظهـر الكنسـي يبـدو واضـحا علـى معالمها، بسبب الكنائس التي شُيدت على الشوارع الرئيسية للمدينة، ومحلات القصـابة المنتشـرة الـتي تبيـع لحم الخنازير، وهكذا يُصورون للزائر أن هذه مدينة نصرانية! وهـي خطـط خبيثـة يُشـرف عليهـا مجمـع الكنائس العالمي لتنصير القارة السوداء كما يحلو لهم تسميتها.

في اليوم التالي تناولنا وجبة الإفطار في سطح الفندق حيث المطعـم الرئيسـي، وتوجهنـا بعـدها إلى وسـط المدينة، والتي تتميز بسعة الشوارع وتنظيمها، لكنها أقل جمالا مـن نـيروبي، ثم ركبنـا حافلـة وتوجهنـا إلى الحي الدبلوماسي، وقد كان للأخ هارون معرفة مُسبقة بالمدينـة، وهنـاك وعلـى شـاطئ البحـر الهـادئ توجد أكثر السفارات، وبيوت الدبلوماسيين ونواديهم، وتكثـر اللافتـات الـتي تُنبـه إلى وجـود كلـب في البيت.

سرنا على شاطئ البحر، وبعد حـوالي كيلـومتر تقريبـا وجـدنا شـاطئا مزدحمـا بـالأوربيين يمارسـون السباحة، والتزلق على المياه، ويأخذون حمامات الشمس، وسمعنا بعضهم يـتكلم اللغـة السـواحلية بإتقـان، ولكن الجميع في غفلة، ولو أراد أحد أن ينال منهم لما كلفه ذلك كبير عنـاء، ولكـن هـؤلاء ليسـوا هـدفاً لنا، فنحن عندنا عمل آخر.

جلسنا بعض الوقت على الشاطئ، ولكن بعيداً بعـض الشـيء عـن تلـك الأجسـاد العاريـة، والوجـوه البغيضة، ثم قفلنا راجعين بعد أن حصلنا على معلومات مهمة جدا عن هـذا الحـي الهـادئ الجميـل، وبعـد ربع ساعة كنّا نسير أمام السفارة الأمريكية حيث أن موقعها يـدل علـى غفلـة أمنيـة كبـيرة، فالوصـول إليها لا يحتاج إلى وضع خطة! وكان لها طريقان أحدهما أسهل مـن الآخـر، وتوافـق مرورنـا مـع مـرور أحد الباعة المتجولين مما أتاح لنا الوقوف لوقت أطول لشراء بعض الحاجـات غـير اللازمـة.... رجعنـا إلى وسط المدينة وتناولنا وجبة الغداء، ثم رجعنا إلى الفنـدق للراحـة، وفي المسـاء خرجنـا نتجـول في الحـي الذي نسكن فيه بعد تناول وجبة العشاء الهندية اللذيذة.

جبل كلمنجارو

في نفس الليلة حجزنا تذكرتين للسفر إلى مدينة "أروشا"، وفي الصباح ركبنـا الحافلـة الـتي سـارت بنـا في طريق غاية في الجمال والروعة، حيث الغابات الخضراء على جـانبي الطريـق، وتـرى مـن خـلال نوافـذ

الحافلة الحيوانات البرية التي تشتهر بها غابات إفريقيا، وهناك مزارع الموز الإفريقي الشهير، حيث تسير بك الحافلة قرابة الثلاثين دقيقة ومزارع الموز تغطي جانبي الطريق، وعند الظهيرة توقفت الحافلة عند مطعم سياحي على الطريق، ونزلنا لتناول وجبة الغداء مع الشاي التتراني الجميل، ثم تحركت الحافلة إلى وجهتها والتي وصلتها قبل المغرب.

الفنادق في كل مكان فلسنا بحاجة إلى السؤال .... حجزنا غرفة في أحد الفنادق، وقمنا بتبديل ملابسنا وخرجنا لمشاهدة المدينة في الليل، الشوارع هادئة، والمطاعم كثيرة، والسياح الأوربيون يملؤون الشوارع والمطاعم، وكثير منهم يسير على شكل مجموعات سياحية، وهم ليسوا بحاجة لركوب حافلة للتنزه في المدينة لأن المدينة صغيرة، وتكمن أهميتها السياحية في قربها من جبل كلمنجارو السياحي المعروف والذي يقصده عشرات الآلاف من السياح الأوربيين سنوياً، ونحن لم تكن وجهتنا سياحية بل كانت إحدى محطات عملنا الاستطلاعية المستقبلية، ورغم ذلك فقد كانت رحلة ممتعة، حصلنا من خلالها على كثير من المعلومات الهامة النافعة للعمل.

في اليوم التالي شاهدنا جبل كلمنجارو من بعيد، فالذهاب إليه وصعوده لم يكن من برنامجنا، ورجعنا إلى مدينة أروشا وقضينا فيها يوما آخر، ثم حجزنا مقعدين في الحافلة التي أقلتنا في الصباح إلى دار السلام ....مكثنا في دار السلام يومين آخرين قمنا خلالهما باستطلاع أدق للسفارة الأمريكية، ووجدناها قريبة جداً من السفارة الفرنسية، والمصرية، وغيرهما من السفارات المنتشرة في الحي الدبلوماسي، وبيوت السفراء والدبلوماسيين، وحمدنا الله على توفيقه، وبعدها قررنا العودة إلى مومباسا لمتابعة عملنا الأصلي.

كان موعد بطولة كأس العالم لكرة القدم قد اقترب، والذي أقيم في فرنسا في العام 1419ه وبالتحديد من 10 يونيو إلى 12 يوليو 1998م، وبدأت مظاهر التحضير له تظهر في شوارع مومباسا، فعلى جدران الشوارع بدأت الملصقات لصور المشاهير من نجوم كرة القدم، وفي المحلات، وصالونات الحلاقة لا تجد شبراً واحداً إلا وفيه ملصقات لنجوم الكرة العالميين، ومن الطريف أن بعض صالونات الحلاقة لا تكتفي بالملصقات على الجدران، بل يمتلئ بها سقف الصالون، وسواءً كنت مُحبا لكرة القدم أو غير محب فلابد أن تتثقف كُرويا، فأصبحتُ أعرف بعض هؤلاء المشاهير من كثرة

حديث الناس عنهم، وخاصة من جاري صوفني القمري، وكانت أكثر الصور انتشارا صُور لاعبي فريق البرازيل، فقد كان الشباب مهوسين بهم، حتى تشعر من كلامهم أنهم أبناء عمومة !!!

وفي الحقيقة كنت سعيدا جداً بهذا الموسم الكُروي الكبير، فسوف يتيح لنا فرصة العمل الجاد في ظل هذه الغفلة، وكنت أرغب في أن ننفذ العملية أثناء انشغال الناس بكأس العالم، ونحصل نحن على نتائج عملنا مبكراً، قبل أن يحصل أحد المنتخبات على الكأس.

كانت عملية التجهيز تسير بوتيرة سريعة نسبيا، فالجميع يشعر بقرب الموعد، والسعادة ظاهرة على وجوه الجميع، رغم المجهود الشاق الذي يبذلونه.

وقبل سفري إلى تنزانيا كنت قد أرسلت للإخوة في أفغانستان أستحثهم على سرعة إرسال أحد الإخوة المتخصصين في تفخيخ السيارات، لأن التجهيزات قاربت على التمام، وقاموا مشكورين بإرسال الأخ الفاضل الوقور الخبير المحترف "عبد الرحمن المهاجر" للقيام بتركيب العبوات اللازمة، و لم يتأخر وصوله كثيراً، وحدث خطأ في العنوان لكنه اتصل على أحد الأرقام التي كنت قد أعطيتها للإخوة هناك واستطاع أن يصل إلى بيت الأخ مصطفى الذي لم يكن موجوداً في البيت، ولكن استقبله عديله مع شيء من الشك والريب، في اليوم التالي من وصوله ذهبت إلى بيت الأخ مصطفى والتقيت بالأخ عبد الرحمن المهاجر واعتذرت له عن الخطأ، وطمأنته عن الأحوال، وقلت له سيأتي إليك الأخ هارون القمري مساءً لكي تنتقل إلى بيتنا.

وفي المساء كان الأخ المهاجر يجلس معنا في البيت، ويتناول وجبة العشاء المكونة من الأرز والدجاج المقليّ، وهكذا انضم العنصر السادس لفريق العمل، كي يساعد في دفع عجلة العمل إلى الأمام بروح جديدة.

المهاجر

شاب مصري، متوسط القامة، تخرج من كلية العلوم، حاد الذكاء، صاحب رأي وهمة عالية، يعمل بلا ملل ولا تأفف، تدرب في معسكرات القاعدة في تسعينات القرن الماضي، ثم التحق بالتنظيم، وحصل على مجموعة من الدورات التخصصية التي برع فيها، وأصبح من أهم المتخصصين في المتفجرات خاصة في عمليات التفخيخ، وحصل على دورات تخصصية في مجال الإلكترونيات، مما أكسبته مهارات عالية

في تخصصه، فكان متميزا في تخصصه، ومن قبل متميزا في أخلاقه .... كان له إلمام لا بأس به باللغة الإنجليزية، وكان صاحب طرفة مع المقربين منه.

كنت في شوق إلى أخبار الإخوة في أفغانستان، وجلسنا مع الأخ المهاجر نتبادل أطراف الحديث، وأخذ يسرد لنا كثيراً من الأحداث التي حدثت في تلك الأشهر السبعة المنصرمة، منها ما هو متعلق بالعمل، وعلاقة الإخوة بطالبان، وبالحركات الإسلامية الأخرى العربية منها والباكستانية، وأوضاع الإخوة في الخطوط القتالية، وأخبار المعسكرات، وأعداد المتدربين الذين زاد عددهم بشكل كبير عما كان في السابق، والزيارات شبه اليومية من جماعات باكستانية جهادية ودعوية مؤيدة للعمل ضد الأمريكان، وكذلك الشخصيات المعروفة من العلماء والدعاة .

ثم تحول الحديث الشيق إلى الأوضاع الاجتماعية، وكانت فيه قصص طريفة مُسلية أزاحت عنّا كثيراً من هموم العمل المتراكم والمتزاحم، حتى الماعز المسماة "كلينتون"، وكانت لأخينا خليفة المصري – رحمه الله– طار خبرها إلينا، وما أحدثته من دمار هائل في مزروعات الإخوة، وما أحدثته من رعب لكثير من الأخوات عندما يفاجئن بدخول كلينتون عليهن في عقر دارهن وبغير إذن مسبق، وبالطبع مصطحبة معها أبناءها الثلاثة، وتدع لهم كامل الحرية في التصرف في بيوت الآخرين، مما كان يزيد الأمر صعوبة على نفوس الأخوات، حتى تم عقد جلسة بين الإخوة لإيجاد حل لهذه المشكلة التي بدأت تتفاقم، فكلينتون لا تحترم أي مواثيق ولا عهود مبرمة –وهذا عهدنا بكلينتون الأمريكية– وبدأت تصدر التهديدات الجادة والتي وصلت إلى حد التهديد بالذبح، ولكن تم تسوية الموضوع بقرار أممي مُلزم، وانتهت مشكلة كلينتون إلى غير رجعة، فقد تم اتخاذ قرار بأن تُسلم كلينتون إلى الراعي هي وأبناءها الثلاثة كي تكون ضمن بقية القطيع، وهناك ستتصرف على طبيعتها دون أن تسبب إزعاجاً لأحد، وسوف يأتي اليوم الذي تنضم فيه أمريكا–مرغمة–للقطيع بقيادة كلنتون جديدة،كي ترعى سائمة خلف المحيطات، وقد استراح العالم من شرها وخبثها.

في اليوم التالي تحدثنا في موضوع العمل وشرحت له بالتفصيل ما تحت أيدينا من تجهيزات، وأننا جاهزون للتنفيذ في أي لحظة، لذلك يجب علينا تجهيز السيارات لوضعها في الأماكن التي اخترناها مُسبقا، وشرحت له كيفية وضعها، مع كيفية مغادرتنا للمكان في نفس اليوم.

طلب الأخ عبد الرحمن المهاجر إلقاء نظرة على المواد المتفجرة في المخزن، وكنت قد رأيت عينة منها في أول أيام التجهيز، أحضرها لي الأخ البطل فهد مع قطعة من الفتيل الصاعق، وكانت قوالب من مادة tnt شديدة الانفجار والتي تبعث على السرور، وفي الحقيقة لم أذهب إلى مكان التخزين خشية أن يسبب ذهابي إلى هناك مشكلة أمنية، وتركت الأمر للأخوين فهد وشيخ سويدان.

طلبت من الأخ فهد أن يرتب للأخ عبد الرحمن طريقة للذهاب إلى المخزن لرؤية المواد المتفجرة، وفي مساء اليوم التالي ذهب الأخوان، وبعد ساعات معدودة عاد الأخ المهاجر ووجهه ممتلأً بالبشر والسرور.

قال هذا شيء رائع .

لم أكن أتوقع أن تتوفر مثل هذه الكميات .

المواد ممتازة .

ولو اكتفى بتلك العبارات لصارت الأمور على طبيعتها .

ولكنه قال: لي طلب هل يمكن تحقيقه ؟

فقلت تفضل .

قال أريد أن أجرب الفتيل الصاعق! وأحد الصواعق الحرارية!

فقلت له في تعجب أنت تمزح !!!

كيف نجرب هنا؟

لسنا في معسكرات أفغانستان، أو اليمن ، أو الصومال، أو.... الخ.

نحن في مدينة، وإذا عطس أحدنا شمته جاره.

ولكنه ألحّ عليّ في الطلب، وقال هذا أمر مهم جدا بالنسبة لي.

قلت له حتى تتأكد من صلاحية الفتيل الصاعق، فلابد من تفجيره كاملا للاطمئنان، وكذلك الصواعق وهذا سيذهب بأصل العمل.

ومع ذلك ألحّ كثيراً في هذا الطلب، واقترح عليّ أن نُفجر في مكان مهجور على شاطئ البحر .... ورفضت الفكرة تماما، فقد يمر أحدهم مصادفة فيرى وميض التفجير أو يسمع صوته، ومع إلحاحه وعدته بترتيب الأمر، وأحضرنا سطلا كبيرا مملوءً بالرمل، وفي مكان آمن جداً قمنا بالتجربة تحت الرمال، وكانت ناجحة جداً ولم يخرج أي ّصوت، ولم يظهر وميض وحينها اطمأن المهاجر!!! وقلت الحمد لله .... عَدّت على خير، **وأنصح جميع العاملين في المدن، بأن لا يجربوا مثل تلك التجربة، فقد تأتي على أصل العمل، وأنا أعتبر ذلك من الأخطاء التي حدثت أثناء العمل، وأتحمل المسؤولية عنها كاملة.**

الوقت يمر

لقد أوشك كل شيء على التمام، وبقى شيء بسيط جداً وهو الهدف، ومع انتظارنا ومتابعتنا ودوام الاستطلاع إلا أن الهدف المراد لم يأت[23]، وأصبح الجميع في قلق من الانتظار خشية أن يحدث أي خطأ أمنيّ أو ثرثرة غير مقصودة أو يُقبض على أحدنا لشبهة إقامة غير قانونية، أو تحدث مشاجرة في منطقتنا ينتج عنها ذهاب أحدنا لمركز الشرطة، أو مداهمات البحث عن بائعي المخدرات، وهذه الأشياء وغيرها تحدث في كل ساعة وفي كل مكان في الساحل، وأصبح الإخوة في قلق، وكنت دائما أحثهم على الصبر مع الحذر، وأذكّرهم بفضل الرباط في سبيل الله، فأكثر الزائرين لكينيا من أجل السياحة والفساد، وأنتم أتيتم من أجل الجهاد، وأخذتم حظ الناس في السياحة ومشاهدة ما يراه السياح، فأنتم سياح مأجورون، وأولئك سياح مأزورون.

وكان السؤال المتكرر دائما إذا لم يأت الأمريكان ماذا سنفعل؟

وكنت أطمئنهم هناك هدف آخر!

[23] – لم أذكر ذلك الهدف لعله يكون مشروع مستقبلي إن شاء الله تعالى.

ولم يتصور أحد منهم حتى الأخ هارون بأنني يمكن أن أتخذ قراراً بتغيير العملية برمتها، وكنت قد نويت إذا تأخر الهدف أكثر من أسبوع، سأُحَوّل العملية إلى نيروبي حيث السفارة الأمريكية.

وبعد أسبوع اتخذت قراري وكان غاية في الصعوبة، وهو تحويل العملية بأكملها واستبدال الهدف الأول بهدف ثان بعيد كل البعد عن محل إقامتنا....تفاجأ الجميع بالقرار، وتفاجأت بحماس الجميع للقرار، وبدأنا جميعاً مرحلة جديدة من العمل شعرت فيها، وشعر الجميع ببركة السمع والطاعة التي أبداها الجميع، رغم صعوبة الأمر وخطورته.

مشوار الألف ميل يبدأ بخطوة

لقد كان قرارا صعبا للغاية لأنه غيّر كل الترتيبات التي رتبنا لها، وكنت أخشى من ردة فعل عكسية عند الشباب الذين بذلوا غاية الجهد في تجهيز هذا الكم الهائل من المواد اللازمة للعملية، وتعرضوا لمخاطر أمنية تزيد بكثير عن خطورة تهريب الكوكايين.

جلسنا جلسة طويلة مع جميع أعضاء الفريق، وشرحت لهم الهدف الجديد وما يلزمه من أمور، وبينت لهم أن هذا الهدف كان مشروعا مُقترحا في المستقبل، وأنه من الأهمية بمكان، وإذا نجحنا بتوفيق من الله في ضرب هذا الهدف نكون قد أصبنا عدونا في مقتل، وأن هذا الصرح يمثل حجر الزاوية في العمل الاستخباراتي في شرق إفريقيا، لكن الأمر يحتاج إلى بذل ومجهود جديد، ويحتاج إلى صبر واحتساب وإخلاص .... وفي الحقيقة كان الجميع في غاية التجاوب والتعاون....قلت لهم ما سبق من عمل ومجهود جبار يجب أن ننساه جميعا، وأن نبدأ من جديد وبنفس الهمة التي بدأنا بها مشروعنا السابق، ووافق الجميع وكانوا في تنافس على البذل، جلسنا بعدها جلسة عمل لوضع الخطة الجديدة، وتوزيع الأدوار من جديد.

خطة العمل

- استطلاع الهدف من جديد فالمعلومات السابقة كانت أولية.
- استئجار بيت مناسب في نيروبي.
- زيادة كمية المتفجرات.
- وجود أسرة للإقامة في بيت نيروبي.

- وجود عُنصر استشهادي لتنفيذ العملية.
- شراء شاحنة لتجهيز العبوة بداخلها.
- شراء سيارة مناسبة للعائلة التي ستقيم في نيروبي.
- توفير مبلغ مناسب من الأموال اللازمة للعمل الجديد.

توزيع الأدوار

الأخوان البطلان، فهد، وشيخ سويدان

- يستمران في شراء كميات أكبر من المواد اللازمة مع مضاعفة الجهد.
- نقل المواد من الساحل إلى نيروبي حيث البيت الجديد.
- شراء شاحنة مناسبة للعبوة.
- تجهيز الشاحنة بما يلزم للعملية، وهذه مهمة شيخ سويدان.

الأخ هارون

- السفر لنيروبي لاستطلاع الهدف بشكل دقيق.
- استئجار بيت مناسب في نيروبي.

الأخ المهاجر

- الانتقال إلى نيروبي لتركيب العُبوة.

سباق مع الزمن

كان علينا أن نعمل بوتيرة سريعة كي يتيسر لنا تنفيذ العملية أثناء مباريات كأس العالم، حيث كان الجميع منشغلين شعبا ومسؤولين، لذلك بدأ الأخوان فهد وسويدان يعملان بدون راحة لجلب أكبر كمية من المتفجرات وما يلزمها، وكان شيخ سويدان عنده سيارة بيك آب خاصة، فقال هي في خدمة العمل وأنا أحتسب ذلك في سبيل الله، وبذلك أصبحت الرحلة رحلتين، مما سيساعد في تقليل المدة

اللازمة لنقل المواد، وكان المطلوب شراء كمية أقل بكثير مما تم شراءه من قبل، واستطاع الأخوان الكريمان البطلان انجاز المهمة في زمن قياسي.

جاءني الأخ فهد في إحدى الليالي، وكان يبدو عليه الإرهاق، مع شيء من عدم الراحة، خرجنا سويا إلى أحد المطاعم، وأثناء العشاء قال لي هناك مُشكلة.

قلت: بسيطة.... لكل مشكلة حل بإذن الله.

ما المشكلة؟

قال الشخص الذي يبيع لنا المواد المتفجرة طمع فينا.

قلت له باللهجة المصرية "بس".

قال: يريد أن يزيد السعر علينا، بحجة أن أعمالنا كبرت، وبالتالي أرباحنا زادت.

قلت له: وكم الزيادة؟

قال: تقريبا 40% عن السعر الأصلي.

فقلت له باللهجة المصرية "ده راجل طيب خالص".

لو طلب 100% ما تبخلش عليه.

لا تفكر في السعر، المهم المواد المتفجرة.

ادفع له ما يريد فنحن قد أوشكنا على الانتهاء.

ثم بدأت أشرح له أهمية العمل الذي سنقوم به، **وأن ضرب أمريكا، وكسر هيبتها أمام العالم، وأمام شعبها، سيكون له أثر إيجابي على نفوس الأمة المسلمة التي تجرعت الذل والخنوع لسنوات طويلة، وأن المكاسب المرجوة من العملية من تحريض الشباب المسلم على النفير للجهاد، والإعداد في سبيل الله، وتحريض الشعوب المسلمة على تغيير واقعها الأليم، كل هذا وغيره لا يساوي شيئا مقابل الأموال** ....وبدأ وجه الأخ فهد يتهلل وهو يسمع هذا الكلام، وقام من عندي وهو أكثر همة ونشاطاً.

استطلاع الهدف

تحرك الأخ هارون إلى نيروبي لاستطلاع الهدف بشكل دقيــق، وكانــت التعليمــات عــدم اصــطحاب أيّ كاميرا معه، وعدم رسم أيّ كروكي للهــدف في نــيروبي، وتبقــى المعلومــات الــتي يجمعهــا حاضــرة في الذهن فقط، فأنا أعرف الهدف جيداً وليست هناك حاجــة للتصــوير أو الرســم ....وخــلال ثلاثــة أيــام أنهى المهمة بنجاح وعاد إلينا بكل المعلومات اللازمة، وبدأنا في دراسة هــذه المعلومــات وتحليلهــا، وتحديــد نقاط الضعف، وتحديد أفضل النقاط للاقتحام، وذلك مــن خــلال الكروكــي الــذي رسمنــاه بنــاءً علــى المعلومات المتوفرة، مع الحرص على تقليل الخسائر بقدر الاستطاعة، فالكينيون ليســوا هــدفا لنــا، وركــاب الحافلات ليسوا هدفا لنا، وموظفي الإدارات المجاورة ليسوا هدفا لنا، كــان هــدفنا الوحيــد هــو الســفارة والعاملين فيها.

كانت المعلومات التي بين أيدينا تقول أن أسهل وأقصــر طريــق للمبــنى هــو المــدخل الأمــامي للســفارة، واقتحام المدخل أمر سهل ولن يُكلفنــا أيّ مجهــود للوصــول للمبــنى، وســيقلل مــن كميــة المتفجــرات المستخدمة، وسيسبب إصابات بالغة في المبنى.

وبعد دراسة هذه الخطة تم استبعادها لأنها ستتســبب في خســائر بشــرية فادحــة بــين المــارة، وركــاب الحافلات والسيارات الخاصة، فهناك أكثر من محطة للباصــات مزدحمــة بالركــاب وشــارع هيلاسيلاســي من أزحم الشوارع في وسط المدينة، ونحن نريد ضرب أمريكا وليس ضرب كينيا.

ثم تم دراسة اقتحام المبنى عن طريق تحطيم بعض الحواجز الاسمنتية عن طريــق عبــوة صــغيرة، وبعــدها تقــوم الشاحنة بالاقتراب من سور المبنى الذي يبعد عشرون متراً عن تلــك الحــواجز الاسمنتيــة، وســيكون الــدمار هائلا حسب التوقعات مع اعتبار حجم العبوة .... وتم استبعاد هــذه الخطــة لــبعض الإشــكالات الفنيــة، بالإضافة إلى أنها ستسبب أضرارا ًكبيرة بالمواطنين.

وكانت الخطة الثالثة هو اقتحام المبنى من الخلف، وهو أصــعب الاختيــارات بالاتفــاق، ولكنــه ســيخفف كثيراً جدا من الأضرار الجانبية.

وتم اعتماد هذه الخطة على أن يسافر الأخ هارون بصحبة الأخ المهــاجر لــيرى بنفســه الهــدف، ويطمــئن تماما للمعلومات، وبهذا نكون قد استنفذنا كــل الأســباب المتاحــة .... وخــلال يــومين كــان المهــاجر وهارون قد أكملا مهمتهما، وتم إقرار ما اتفقنا عليه.

بقي لنا أمر مهم وحساس جداً وهو من سيقيم في بيت نيروبي ليقوم بعمــل الغطــاء المناســب للبيــت، مــع تحمل نسبة كبيرة من المخاطر هو وأهله وأبناؤه، وكانت المشــاورات تــدور حــول الاســتفادة مــن أحــد الإخوة العاملين في فريق الصومال لمعــرفتهم بالبلــد، مــع معــرفتهم للغــة الســواحلية، وتم ترشــيح الأخ شعيب، واعترض الأخ هارون مُعللا ذلك بأن الأخ شــعيب أبــيض البشــرة، ولغتــه الســواحلية ضــعيفة نسبياً، مع عدم معرفته بنيروبي، وبالفعل تم استبعاد الأخ شعيب.

وبالنسبة للأخ مصطفى فحساسيته الأمنية مُفرطة، وهذا قــد يعيــق العمــل بشــكل كبــير، والأخ مــروان كان بعيداً في ذلك الوقت ويصعب استدعاؤه ....وكنــت أرى أن الأخ هــارون هــو أنســب الموجــودين للقيام بتلك المهمة، ولكن كانت لديه أعمال كثيرة منعتــني مــن عــرض المهمــة عليــه، ولكنــه مشــكوراً عرض نفسه.

فقال: يا شيخ أبو محمد أنا جاهز لهذه المهمة.

قلت له: وأهلك.

قال: أسافر وأعود بهم خلال أيام إن شاء الله.

قلت: كنتُ أفكر في هذا الأمر.

فقال: يا شيخ أنا وأهلي وعيالي فداءً لهذا الدين.

فرحت كثيراً، وحمدت الله سبحانه على تيســيره، ووافقــت علــى ســفره إلى الخرطــوم لإحضــار أهلــه، ولكن بعد استئجار البيت المطلوب.

استئجار الفيلا

طلبت من الأخ هارون أن يسافر إلى نيروبي لاستئجار بيت هناك يتناســب مــع ظــروف العمليــة الجديــدة، لا بد أن تتوفر فيه الشروط الآتية:

- بيت كبير نسبيا.
- حوش كبير تابع للبيت.
- باركينج للسيارة.
- البوابة تكون بغير سقف لتسمح بدخول الشاحنة.
- الحي يكون راقي بعض الشيء.

وبالفعل سافر الأخ هـارون، وعـن طريـق الصـحف اسـتطاع أن يجـد عـددا مـن البيـوت الكبـيرة وبالمواصفات المطلوبة، واستطاع رؤية بعضها، واستقر أمره على"فيلا" في حـي هـادئ كانـت تحمـل كـل المواصفات المطلوبة وزيادة .... أخبرني الأخ هارون بأنه وجـد فـيلا بالمواصـفات الـتي حـددتها لـه، وأن هذا البيت سيعجبني كثيراً إذا رأيته، ولكن إيجاره مرتفـع بعـض الشـيء حينهـا، يصـل إلى 1000 دولار شهرياً، وصاحبة البيت تشترط أن يكون الإيجار لستة أشهر على أقل تقدير.

قلت له حاول معها لثلاثة أشهر، وأنها فترة علاجية لعمك من مـرض السـرطان وبعـدها سـيعود للجـزر مرة أخرى .... وكانت السيدة مهذبـة ولطيفـة واطمأنـت لهـارون بعـد أن وافـق أن يعطيهـا 2000 دولار كضمان و2000 دولار قيمة الإيجار لمدة شهرين، على أن يكـون الـدفع بعـد ذلـك لهـا مباشـرة بعيداً عن الوكيل.

كانت السيدة تتكلم اللغة الفرنسية فقد كانت مُلحقة في السـفارة الكينيـة في بـاريس ممـا سـاعد علـى سرعة التفاهم بينها وبين الأخ هارون الذي يجيد الفرنسـية .... فجـزر القمـر كانـت تحـت الاحـتلال الفرنسي، واللغة الفرنسية هي اللغة الأولى في الجزر.

تم استئجار البيت باسم اسكندر وهو كيني مـن أصـول هنديـة، وفي الحقيقـة لم يكـن لديـه أيّ معرفـة بالعملية، و لم يكن ضمن فريق العمل، كل علاقته بالأمر معرفتـه السـابقة بـالأخ هـارون وهـو يريـد أن يُقدم خدمة لهارون وأسرته خاصة بعد معرفته بمرض عـم هـارون، وأنـه بحاجـة للعـلاج في كينيـا قـد تستغرق عدة أشهر....وهذا قد ثبت في التحقيقات بعد أن تم القبض على "اسكندر" وتم إخلاء سبيله.

كان البيت الجديد يقع في حيّ راق جداً، وهو حيّ يسكنه كثـير مـن الأوربيـين وغـيرهم، يتميـز بهـدوء وَسُكُون، ولا يعرف أحدا جيرانه، ولا يسأل أحد عن أحد، على رأي المصـريين " كـل واحـد في حالـه"،

وهناك شركة حراسة خاصة تقوم على حراسة الحي.... يقع الحيّ الجميـــل خـــارج مدينـــة نـــيروبي بعشـــرين كيلومتر في منطقة راوندا 44.

المواصفات

- البيت يتكون من طابقين كبيرين.
- حوش كبير مُحاط بسياج من الأشجار الجميلة، والتي تُضفي جمالا إلى جمال الحيّ.
- مرآب يكفي لسيارتين كبيرتين، لكل جراج بابه الخاص به.
- غرفتين مع حمام ومطبخ مُخصصة للحراسة.

وهكذا تم استئجار البيت المطلوب وبقي أن يتحرك هـــارون للخرطـــوم لإحضـــار أهلـــه، وبالفعـــل تحـــرك الأخ هارون للخرطوم لإحضار أهله وإحضار بعض المـــال مـــن الأخ طلحـــة الســـوداني، والحصـــول علـــى دورة الكترونية في التشريكات.

هارون في مصر

تم حجز تذكرة للأخ هارون من مومباسا إلى الخرطوم، واتصلنا بـــالأخ طلحـــة وأخبرنـــاه بموعـــد الوصـــول، ورغم شدة العواصف الترابية في ذلك اليوم فقد كـــان الأخ طلحـــة في المطـــار ينتظـــر لحظـــة وصـــول الأخ هارون، إلا أنه قد طال انتظـــاره، ولم يصـــل هـــارون، ولم يصـــل أحـــد مـــن الركـــاب، وعلمـــوا مـــن الاستعلامات بأن الطائرة لم تستطع الهبوط في مطار الخرطوم بسبب العواصـــف الترابيـــة الـــتي أحالـــت الجـــو إلى حمرة قاتمة يصعب معها الرؤية، وهذه العواصف تحدث بشـــكل متكـــرر في الســـودان، حـــتى أن بعضـــها يُحيل النهار إلى ليل ويكون الناس في خوف وهلع، ويظن الناس أن القيامة قد اقتربت!!!

اتصلت بالأخ طلحة مساءً لأطمئن على وصول الأخ هارون، فـــأخبرني بـــأن الطـــائرة نزلـــت اضـــطرارياً في مصر بدلا من الخرطوم وعلينا أن نُكثر من الدعاء لأخينا.... ورغـــم ثقـــتي في الأخ هـــارون فقـــد كنـــت في قلق شديد عليه، فالمصريون لا يدعون أحدا يمر بدون مســـاءلة، ولنـــا معهـــم تجـــارب كثـــيرة مـــع بعـــض إخواننا فهم أنشط جهاز أمني في المنطقة، وأكثرهم عمالة، مع مزاحمة أردنية وسعودية.

اجتهدنا في الدعاء لأخينا هارون الذي هبطت طائرته في مطـار الأقصـر.... بقيت الطائرة 50 دقيقة في مطار الأقصر، ثم طارت إلى مطار القاهرة، وهناك ظن هارون أنها النهاية وأنه سيُقبض عليه لا محالة فجواز سفره يحمل فيزا لباكستان، وتأشيرات للسودان، وإقامة من شركة "وادي العقيق" وهي مرتبطة باسم بن لادن، لكن لُطف الله بعباده أسبق، فقد هبطت الطائرة في مطار القاهرة و لم ينزل الركاب من الطائرة، واكتفى الأمن المصري بالصعود للطائرة لتفقد الوجوه، وكان الأخ هارون يجلس بجوار راكبة أثيوبية ويتحدث معها حديث الركبان على عمد أثناء وجود الطاقم الأمني، ومرّ رجال الأمن العملاء بأمان، و لم يحدث أيّ مكروه لأخينا، وطارت الطائرة مرة أخرى عائدة إلى مطار الخرطوم، وطار قلب هارون فرحاً، ولسانه يلهج بشكر الله سبحانه وتعالى.

وفي الخرطوم التقى بالأخ طلحة وحصل على دورة الكترونيات المتفق عليها، ورتب سفر أهله، والتقى ببعض الإخوة منهم الأخ أبو طلال المغربي "حسين خرشتو"، وكان من أعضاء القاعدة ولكنه اختلف مع بعض الإخوة مما جعله يجنح بعيداً عن توجهات الجماعة نسأل الله لنا وله الهداية والرشاد.

موعد جديد ساخن في دار السلام

كنا في جلسة عمل مع الإخوة في مومباسا وتكلمت معهم عن رحلتي إلى تنزانيا، وأننا قمنا باستطلاع السفارة الأمريكية هناك، وأنها هدف سهل لو توفرت المواد اللازمة لذلك.

فقال الأخ فهد: إن كان عندك قرار بالعمل عليها فأنا أستطيع توفير المواد اللازمة في زمن قياسي.

قلت له الأمر يتطلب كمية كبيرة تقل قليلا عن عُبوة نيروبي.

قال: أنا جاهز والقرار عندك.

وبعد التشاور مع الجميع اتخذتُ قرار العمل على السفارة الأمريكية في دار السلام.

تم وضع الخُطة اللازمة للعمل هناك وكانت تقتضي:

- استئجار بيت كبير للتخزين ولتجهيز العبوة فيه.
- وجود عائلة للإقامة في البيت كغطاء طبيعي وبسيط.
- شراء شاحنة لتركيب العبوة بداخلها.

- طلب عنصر استشهادي للقيام بالمهمة.
- توفير المواد اللازمة بأسرع وقت ممكن.
- توفير الأموال اللازمة للعملية.

قمت بالاتصال بالشيخ أبي حفص الكومندان -رحمه الله- عن طريق أحد الإخوة الباكستانيين، الاتصالات كانت مشفرة، وبلغة غير عربية، وأخبرته بحاجتي إلى عنصريين استشهاديين، ولابد من تدريبهم على سياقة الشاحنات، وقد أحتاج إلى عنصر ثالث إن تطلّب الأمر وأحتاج إلى بعض المال....وبعد أيام أخبرني أن طلبك موجود -إن شاء الله- والأموال ستصلك قريبا مع أحد الإخوة، وتم إرسال الأخ بالأموال، ورتبت لاستقباله ولكن تأخر كثيراً، وعلمت فيما بعد أنه واجهته بعض الصعوبات حالت دون وصوله إلينا.

مصطفى والعمل السري

لقد وقع اختياري على الأخ مصطفى للذهاب إلى تنزانيا للإقامة في البيت الذي سنستأجره إلى حين تجهيز العبوة، وكان كل ما يخيف الإخوة هو رفض الأخ مصطفى للمهمة لأنه لا يتحمل مثل هذه المخاطرة الأمنية، وأنه سيعلم بالعملية بغير داع....وكانت لي نظرة أخرى، فالأخ مصطفى إن لم يستطع العمل معنا فهو كتوم لدرجة كبيرة، ومحل ثقة من جميع القيادات في القاعدة، ولن يفشي لنا سراً، بل هو من كوادر القاعدة المهمين الذين نعتمد عليهم في الصومال.

استخرت الله سبحانه وتعالى وذهبت إلى بيت الأخ مصطفى في حوالي الساعة العاشرة صباحاً وكنّا في شهر صفر من العام 1439ه، شهر يونيو من سنة 1998م وتكلمت معه في موضوع أوراقه الكينية هل انتهت أم لا؟ وتحدثنا في بعض الأمور الأخرى المتعلقة بالصومال، وبدأت في توجيه الكلام بضرورة ضرب الأمريكان، وكسر هيبتهم، وأن هذا سيكون له آثار ايجابية كبيرة على مسيرة الجهاد، وسيدفع بكثير من الشباب للنفير للإعداد والجهاد، وستشعر الشعوب العربية والإسلامية بأن الحامي لحكوماتهم العميلة يمكن ضربه وإهانته، مما سيجعل الشعوب تثور على حكامها لتغير واقعهم الأليم.

ثم بدأت بعرض الموضوع

قلت: سأعرض عليك عملاً غاية في السرية، إن قبلته كان بها، وإن كانت الأخرى فلا بد من مغادرة البلاد فورا إلى أفغانستان وكأنك لم تسمع شيئاً سواء اكتملت أوراقك أم لم تكتمل.

قال بصوت هادئ .... تفضل.

قلت له نحن ننوي ضرب السفارة الأمريكية في دار السلام، ونريد أن تقيم أنت وأسرتك في البيت هناك حتى إتمام تفخيخ العبوة، وهذا التكليف ليس أمرا مُلزماً بل قابل للرفض إذا لم تستطع.

قال: أعطني فرصة وغداً أرد الجواب.

قلت: غداً في الساعة العاشرة صباحا سأكون عندك.

قال: حسن.

في اليوم التالي وفي نفس الموعد قال أنا موافق ولكن بدون أهلي وأبنائي.

قلت: ضروري من وجود الأسرة، فوجودهم سيُبعد كل الشكوك التي تُثار حول بيوت العزابية.

قال صحيح .... ولكن أخشى على الأسرة.

وبعد نقاش ليس بالطويل وافق على السفر إلى تنزانيا للإقامة هو وأسرته، على أن نُجهز له جواز سفر، مع فيزا لباكستان للسفر فوراً حال انتهاء المهمة، ووافقت على طلبه وتم تجهيز ما يلزم حسب اتفاقنا.

هارون يعود إلى كينيا

بعد أسبوع تقريبا عاد هارون إلى نيروبي وترك أهله في بيت بعض معارفه وتحرك صوب الساحل حاملا معه مبلغا جيدا من المال، وحصل على دورة الكترونية سريعة للتشريك، مع بعض المعلومات الجديدة عن سفر بعض الإخوة إلى أوربا.

ثم عاد إلى نيروبي بسيارة الأخ فهد الخاصة إلى أن نشتري له سيارة، وخلال يومين كان الأخ هارون في بيته الجديد، وانتقلتْ أهله من بيوت سوبا الطينية، إلى أفخم حيّ سكنيّ في نيروبي، وهكذا حال المجاهدين!.

مشوار الألف كيلو يبدأ بنقلة

فالمسافة بين الساحل ونيروبي حوالي ألف كيلو متر ذهابا وإيابا، وكــان علــى الأخ فهــد، وشــيخ ســويدان نقل المواد من الساحل إلى نيروبي على مراحل، ومع خطورة الأمر وصــعوبته وخطــورة الطريــق خاصــة في الليل بدأ الإخوة في ممارسة عملهم بكل جد ونشــاط، لقــد شــعر الجميــع بقــرب ســاعة الصــفر الــتي انتظروها طويلاً وبدأ الأخ هارون باستقبال ما يصله من مواد وتخزينهــا، وفي الحقيقــة لقــد ســارت وتــيرة العمل بشكل رائع، وبدأت مخازن الساحل تفرغ، ومخازن نيروبي تمتلئ.

نترات الأمونيوم

كان الأخ المهاجر –رحمه الله تعالى– دقيقا جداً في عملــه، وكــان يريــد أن يتجنــب أيّ احتمــال لعــدم انفجار العبوة انفجارا كاملاً، فهذا سيُقلل مــن القــوة التدميريــة للعبــوة، لــذلك عــرض علــيّ بعــض الاقتراحات الجيدة من الناحية الفنية، ولكنها صعبة التطبيق مــن الناحيــة العمليــة خاصــة وأنــت تعمــل في المدن .... فقد اقترح إذابة مادة tnt وجعلها في قوالب كبــيرة، وبعــد نقــاش هــذا المقتــرح تم اســتبعاده لصعوبة إذابة المادة، واحتمال صدور روائح كيميائية في منطقة سكنية، مما قد يسبب كارثة بالنسبة لنا.

وكان الاقتراح الثاني

هو تحويل جزء من القوالب المتفجرة إلى بودرة لملأ أي فراغ بين القوالــب ممــا يضــمن ســريان التفجــير في جميع العبوة .... وهذا الاقتراح مع صعوبته إلا أنه ممكن، ويحتاج إلى مجهــود كبــير خاصــة إذا علمنــا أننــا بحاجة إلى تحويل قرابة ربع طن من القوالب إلى بــودرة، وقــد تعهــد الأخ المهــاجر بالقيــام بهــذا العمــل يدوياً.

فكرة الطاحونة

تكلمت مع الأخ المهاجر على طريقة أفضل وأسرع لطحن الكمية المطلوبة فــاقترح شــراء طاحونــة صــغيرة للقيام بالمهمة .... فطلبت من الأخ فهد السؤال عن طاحونة مناسبة تكون صــغيرة الحجــم، وتعمــل علــى كهرباء البيوت، وصوتها خافت حتى لا تسبب أيّ إزعــاج ... وقــام الأخ فهــد بالبحــث عــن الطاحونــة المطلوبة ولكنه لم يصل إلى المطلوب، وفي يوم ذهبنا سويا إلى مطحنــة كبــيرة وبهــا الكثــير مــن الطــواحين مختلفة الأحجام وأشار إلى إحداها وقال هــذه أصــغر طاحونــة في المكــان .... وســألنا عنهــا فعلمنــا أن

أصغر طاحونة تعمل ب 3 فيز، أي أنها لا تناسب كهرباء البيوت إطلاقاً، وصوتها لا يتناسب مع الحي السكني الهادئ، واقتنع الأخ المهاجر بصعوبة الطلب، وقال سوف أُدبر الأمر بالقيام بالطحن يدويا مع أنه أمر مرهق جداً، وخطير في نفس الوقت من الناحية الصحية.

قال لنا أحد العاملين في المطحنة يمكن أن تجدوا طلبكم في نيروبي، وأعطانا عنوانا لأحد المتاجر التي تبيع الطواحين هناك.

قلت للأخ فهد تذهب إلى نيروبي وتبحث في كل المحلات التي تبيع مثل هذه الطواحين، وتسأل عن طاحونة تصلح للبيوت، وبالفعل ذهب إلى نيروبي وبقي فيها عدة أيام يسأل ويبحث ولكن دون جدوى، وعلى قَدَر قال له أحد التجار كان عندي ثلاثة طواحين صغيرة خاصة باستعمالات البيوت أخذت واحدة منها لبيتي وهي ما زالت جديدة لم نستعملها فإن كنت في حاجة إليها تعال غداً لتراها، وفي اليوم التالي حضر الأخ فهد للدكان ووجد الطاحونة أمامه فكاد يطير فرحاً، واتصل بي على الفور وأخبرني بالخبر، وقال بأن الرجل استغل حاجتي فضاعف من سعرها.

فقلت له "دراجل طيب خالص" اعطيه اللي هو عاوزه.

وبعد يومين أو ثلاثة كانت الطاحونة في بيتنا، وقمنا بتجربتها، وكانت رائعة، تطحن الحبوب بسرعة كبيرة وتتميز بسرعات مختلفة، وكذلك تعمل بدرجات على مستوى النعومة والخشونة، وكانت مفاجئة سعيدة للأخ المهاجر فهي ستوفر عليه الوقت والمجهود الكبير.

الصناديق الخشبية

طلب الأخ المهاجر تصميم بعض الصناديق لوضع العبوات فيها وبمواصفات معينة، وقد قام بتحديد الأبعاد التي يريدها، وكلفتُ الأخ أبا يحيى –واسمه شيخ سويدان– بهذا الأمر، وكان الأخ أبو يحيى يتميز بعقلية فنية ممتازة، فكنّا إذا أردنا شيئا من هذا القبيل يأتي لنا بأفضل مما نريد.... وبالفعل قام بالاتفاق مع أحد النجارين لعمل ثلاثة عينات من الصناديق، وتم اختيار أحدها، ومن ثم تم الاتفاق على البقية، وبدأت الورشة في تجهيز كل ما نحتاجه على فترات متقطعة، وتم نقله إلى الفيلا الجميلة في نيروبي ولكن بشكل لا يلفت الانتباه أبداً.

نترات الأمونيوم

كان لنا تجارب سابقة في أفغانستان في عمل عبوات كبيرة من مادة نترات الأمونيوم مخلوطة ببودرة الألمونيوم، وهذه العبوات ذات تأثير فعال نسبياً إذا تم تفجيرها حال تجهيزها، أمّا إذا تأخرت لبضعة أيام فهذا يُضعفها بشكل كبير، لسرعتها الشديدة في امتصاص الرطوبة، وكلما زادت نسبة الرطوبة ضعفت القوة التدميرية، حتى أن العبوة مُعرضة للتلف كُليّاً كلما تأخرت .... **ولا أنصح أيّ فريق يعمل في المدن بالاعتماد عليها كعبوة رئيسية، خاصة إذا كان الهدف مبنى من المباني، أو هدفا ذا صلابة ومتانة، ولكن يمكن أن تكون مثل هذه المواد عاملاً مساعداً في العبوة، وليست المادة الرئيسية فيها.**

ومع كثرة الحديث والنقاش والتفكير جاءت فكرة شراء كمية من نترات الأمونيوم، وبودرة الألمونيوم، وخلطهما لملأ الفراغات الموجودة في الصندوق، وهذا سيوفر كثيراً من الجهد، ويختصر من الوقت، ويزيد من حجم العُبُوة.

سألت الأخوين فهد، وشيخ سويدان عن إمكانية شراء كمية من نترات الأمونيوم، وبودرة الألمونيوم، فقالوا نبحث بلطف عنها، لأن هذه المواد لا تباع إلا بتصريح رسمي، ويمكن أن نستعين ببعض المزارعين للحصول على النترات إن أمكننا ذلك .... وبعد أيام جاء ردهما بإمكانية شراء نترات الأمونيوم مع خطورة مُحتملة، فكل من سألناه عن هذه المواد يسألنا لأي شي تريدونها؟! فنقول للتجارة .... نبيعها للمزارعين....وبعض التُجار الطيبين ينصحنا بالبعد عن مثل هذه المواد.

أمّا بودرة الألمونيوم فهذا أمر صعب جداً، وخطير جداً، فكل من نسأله عن بودرة الألمونيوم يديم النظر في وجوهنا باستغراب وريبة، ويجيب هذه مواد خطيرة، وتُستخدم في التفجيرات، ولا يُسمح ببيعها إلا بتصريح رسمي !

قلت لهم: بودرة الألمونيوم تباع في محلات بيع أدوات الدهان "الصباغة"، ولكن المسموح به جرامات بسيطة تُخلط مع بعض ألوان الديكور -وكانت لي خبرة مُسبقة في هذا الشأن- وقد اشتريت تلك البودرة عدة مرات، ولكن يومها لم أكن أعلم بأن هذه المواد محظورة!.

ومع صعوبة الأمر وخطورته الأمنية فقد قررنا المضي في الأمر، مع علمنا أنّ هذه المواد مُصنفة عالميا ضمن المواد المتفجرة والممنوع بيعها إلا بتصريح رسمي، ومجرد السؤال عنها يثير شبهة كبيرة على الشخص، وقد يتم الإبلاغ عنه للجهات الأمنية.

في بداية الأمر استطاع الأخ فهد شراء مائة جرام من بودرة الألمونيوم من أحد تجار مواد الصباغة، و لم يكن الأمر صعبا، فالكمية صغيرة وتتناسب مع طلبات أهل الصنعة وجاء بها إلى البيت.

قال: هل هذه هي البودرة المطلوبة.

قلتُ: هذه بعينها ولحمها وشحمها.

قال: إذن سأحاول مرة ثانية.

قلت: ولكن بحذر شديد.

ذهب إلى نفس التاجر وطلب منه شراء كمية أكبر!

فسأله لماذا تريدها؟

قال: أريد بيعها في تنزانيا بسعر أعلى لأنها غير موجودة هناك، وقد طلبها مني أحد التجار.

قال: هذه مواد ممنوعة، ولكن إذا كان لديك تاجر، وتريد أن تستفيد من فارق السعر فنقتسم الربح سويا، وأنا أوفر لك هذه المواد.

وافق الأخ فهد على عرض التاجر "الهندي"، وطلب منه توفير اثنين كيلوجرام كصفقة أولى، ولعلها تكون أكبر في المرات القادمة، وبالتالي سيكون الربح أعلى.

بعد أيام عاد إليه الأخ فهد لاستلام البضاعة، ولكن التاجر تراجع عن وعده بعلة الخوف.

حاول الأخ فهد مع أكثر من تاجر ولكنه لم يستطع الحصول إلا على بعض الجرامات اليسيرة [24].

[24] - هذه طبيعة العمل في المدن، لابد من تحمل جزء من المخاطر!

ولكن المحاولات لم تتوقف، واستطاع الأخوان عن طريق أحد التجار أن يصلوا إلى إحدى الشركات التي تبيع مثل هذه المواد، وتعرفوا على أحد العاملين في الشركة، وأقنعوه بعد جهد كبير بأنهم بحاجة إلى كمية من بودرة الألمونيوم للتجارة فيها [25]، وقد وافق على توفير الكمية التي طلبوها بصعوبة بالغة....أمّا النترات فمع صعوبة الحصول عليها، إلا أنها أيسر حالا إذا قورنت ببودرة الألمونيوم، لتعدد استعمال الأولى في الحياة المدنية خاصة الزراعية وبكميات كبيرة.

وبعد مجهود شاق، ومخاطر أمنية كبيرة، وفق الله الأخوين-فهد وشيخ سويدان-بشراء ما يلزم للعملية وزيادة، وتم تحويل المواد إلى فيلا نيروبي وهكذا اكتملت المواد تماما، وأصبح كل شيء جاهزا لتركيب العبوة.

لقد قام الأخ البطل المصابر أبو عبد الرحمن المهاجر بمجهود جبار في تركيب العبوة في وقت قياسي، فقد كان يدخل إلى المعمل وهو الغرفة المخصصة للعمل، من بعد صلاة الفجر وحتى آذان الظهر، لا يخرج إلا للإفطار وشرب الشاي الثقيل جداً.

وكانت الأخت الفاضلة أم لقمان تقوم على خدمة الإخوة خير قيام مُحتسبة ذلك، مع أن زوجها كان يخبرها بأن العمل هو خاص بتجارة بَحَرِية، وأننا بدأنا بعمل اقتصادي في شرق افريقيا، ولنا أفرع في الساحل خاصة في مومباسا.

عملية التجهيز في تنزانيا

لقد كان العمل يسير بشكل متوازي في تنزانيا مع سير العمل في كينيا، فقد قام الأخ فهد بضم أحد العناصر للفريق وتكليفه ببعض الخطوات الهامة ومنها:

- إيجاد بيت مناسب يكون بنفس المواصفات المذكورة في بيت نيروبي.
- البدء في شراء ما يلزم من مواد متفجرة.

وفي حقيقة الأمر كان العمل يسير بشكل سريع جداً، وكان شراء المواد ونقلها أيسر بكثير من السابق، وكنّا جميعا نشعر بمعية الله سبحانه وتعالى في كل مراحل عملنا.

---

25 - لقد قصدوا التجارة مع الله، وهي تجارة رابحة بلا شك.

مصطفى ينتقل إلى تنزانيا

غادر الأخ مصطفى بيته في الساحل متجها إلى تنزانيا مصطحبا معــه أفــراد أســرته وأخــبرني بــأن جــواز سفره سيخرج قريبا جداً، فإن خرج فيا حبذا نأخذ له فيزا هو وزوجته بحيــث يغــادر الــبلاد فــور انتهــاء دوره .... ووعدتُه بذلك .

وصول أول عنصر استشهادي

جاءنا اتصال من الإخوة بأن الأخ عزام المكي-اسمه الحقيقي جهاد- سيتحرك إلينــا وهــو قــادم مــن أجــل العملية، والأخ عزام المكي شاب مــن أرض الجزيــرة العربيــة، في أوائــل العشــرينيات، هــادئ، مــؤدب، خلوق، وسيم، يعلو وجهه البشر دائما.

ورغم حداثة سنه إلا أنه يحمل بين جنبيه همّ الأمة وقضاياها، ومنــذ أول يــوم التقــى بنــا في جــلال آبــاد وهو يطلب من الشيخ أسامة أن يكون اسمه ضمن قائمة الاستشهاديين، وكان الشيخ يعده خيراً.

في يوم وصوله طلبت من الأخ هارون أن يكــون في المطــار لاســتقباله، وأنــا ســأذهب لمطــار مومباســا احتياطا لانتظاره، وفي الموعد المحدد كان الأخ عزام في مطــار نــيروبي، وكــان الأخ هــارون في اســتقباله، وبعد الانتهاء من الإجراءات خرجا من المطــار وتوجهــا إلى البيــت، واتصــل بي الأخ هــارون وأخــبرني بوصوله.

نفاذ الأموال

كانت الأمور تسير بشكل متسارع واقتربت الأموال من النفــاذ، فاتصــلت بــالأخ طلحــة وطلبــت منــه تحويل مبلغ 30000 دولار على وجه السرعة، وفي الصباح ذهبــت واســتلمت المبلــغ، واســتمرت عجلــة السير بنفس سرعتها....لقد كان الفريق يعمل بشكل رائع، سواء الإخــوة الــذين معــي في كينيــا وتنزانيــا، أو الأخ طلحة في السودان، فبمجرد صدور أية تعليمات لهم يسارعون علــى الفــور لأدائهــا علــى الوجــه الأكمل، وفي الحقيقة لم أعان في أي مرحلة من مراحل العمل مــن عمليــة الســمع والطاعــة، فقــد كــان الجميع متجاوبا بشكل مثالي.

قلت: من خلال قراءاتي في تاريخ الجماعات الجهادية المعاصرة رأيت أن أكبر خلل في مسيرة تلك الجماعات هو ضعف عملية السمع والطاعة، وانعدامها عند بعض العناصر، مما يسارع في إحداث بعض الانشقاقات على المستويين الفردي والجماعي، وأصل الخلل يعود إلى عدم فهم أهمية الركنين الأساسيين اللذين تقوم عليهما الجماعة وهما ركنا السمع والطاعة في المعروف، وبعض الخلل يعود إلى أمور أخرى بعضها شخصي، وبعضها خُلقي، خاصة وأن العمل الجهادي يستوعب الكثير من أبناء الأمة مع اختلاف مشاربهم وأفكارهم على اعتبار أن الجميع مطالب بالجهاد في سبيل الله، ولا يمكن أن يكون الجهاد بالصفوة كما يرى البعض!

شراء الشاحنة

كان الأخ المهاجر يعمل بالليل والنهار داخل البيت الهادئ في نيروبي، كان يسألني عن الشاحنة فأقول ستصلك في الوقت المحدد إن شاء الله ....طلبت منه أن يذكر لنا عدد الصناديق التي ستوضع في الشاحنة حتى نقوم بتجهيز الصندوق الخلفي للشاحنة بالشكل الملائم، فذكر لنا عدد الصناديق بالتحديد، وقمنا بحساب المساحة التي ستأخذها الصناديق داخل الشاحنة بدقة متناهية طولا وعرضا، بالإضافة إلى البطارية التي ستُستخدم في التفجير، وهكذا تم تجهيز الشاحنة فيما بعد بشكل مُحكم ودقيق داخل الورشة، وكان الفضل في هذا العمل يعود بعد فضل الله للأخ الكريم شيخ سويدان، وكنيته "أبو يحيى الكيني".

تجربة عملية

كان للأخ فهد رأي في موضوع الشاحنة وهو أن نشتري سيارة بيك آب بدلا من الشاحنة ونقوم بعمل صندوق خلفي لها، وهي ستكفي من وجهة نظره لأداء المهمة، وبذلك نتجنب شراء الشاحنة التي قد تكون مُلفتة للنظر ومثيرة للتساؤلات.... ومع أنني شرحت له الطريقة التي ستكون بها الشاحنة وأنها لن تلفت الأنظار، وأن العبوة كبيرة وتحتاج إلى مساحة أوسع، إلا أنه أصر على قناعته مع استعداده لعمل أي شيء سيُطلب منه.

قلت: هل تستطيع توفير سيارة بيك آب من أحد أصدقائك لمدة يوم واحد.

قال: بكل تأكيد.

قلت: أنا في انتظارك غداً.

في اليوم التالي كانت السيارة تقف على مسافة ليست بالبعيدة من بيتي، وكان الأخ شيخ سويدان برفقة الأخ فهد.

قلت للأخ فهد: الآن تذهب وتضع في السيارة حمولة طن ونصف من الإسمنت، أو الحجارة الإسمنتية ... وهذه أقل بكثير من حمولة العبوة المراد إعدادها في نيروبي وانظر كيف سيكون حال السيارة من الخلف.

وبالفعل ذهب وعاد بها مُحملة بالحمولة المتفق عليها، ولكن بقناعة جديدة، فقد كانت السيارة تميل للخلف بشكل ملحوظ يلفت الانتباه لأي شخص عادي فما بالك برجل المرور.

قال لي وهو يبتسم الآن فهمت الدرس!.

وهكذا تحرك الأخوان الكريمان فهد وشيخ سويدان "أبو يحيى الكيني" لشراء شاحنة حمولة سبعة طن، وتكون بحالة ممتازة [26]، إذا لم تتوفر سيارة "زيرو" وكان للأخوين خبرة جيدة جدا بالسيارات خاصة الأخ شيخ سويدان، وقد قاما بالبحث والسؤال، وخلال أيام كانت السيارة بين أيدينا، وعلى الفور ذهب بها الأخ أبو يحيى لتجهيزها على حسب ما تم الاتفاق عليه، وطلبت منه أن يضعني في الصورة لخبرتي السابقة في هذا المجال .... وطلبت من الأخ فهد شراء أفضل بطارية في كينيا، فعرض عليّ عدة أنواع كان أفضلها بطارية كينية، فاشترينا منها عدد اثنين بطارية كبيرة، وصمم الأخ أبو يحيى لها مكانا داخل صندوق السيارة بشكل فني ومتقن بحيث لا تتأثر البطاريات بأيّ اهتزازات أثناء سير الشاحنة إلى الهدف، وكنت أتابع معه في الورشة مراحل تجهيز السيارة، وفي الحقيقة كان للأخ أبي يحيى خبرة أفضل مني بكثير في هذا المجال، وقد أُعجبتُ بلمساته الفنية الرائعة التي كانت تضفي اتقانا

[26] – نصيحة أقدمهما لجميع الإخوة المجاهدين العاملين في المدن ... كن كريما ... فبعض الإخوة قد فشلت عملياتهم بسبب تقصيرهم في شراء السيارة المناسبة للعمل بحجة أن هذه السيارة سوف تكون حُطاما مع أول لحظة للتفجير، فلا داعي لشراء سيارة جديدة، بل يكفي أن تكون سيارة قديمة تصل إلى الهدف وهناك ستذهب مع التفجير، وهذا من أكبر الأخطاء التي يرتكبها بعض الإخوة ظنا منهم أنهم يحافظون على أموال المسلمين، وحقيقة الأمر على العكس من ذلك.
اشتر أفضل سيارة، وأفضل بطارية، وأفضل مفاتيح أمان، وأفضل مفاتيح تفجير وتكون بلون مميز.

وجمالا على التصميم، وبعد أن اكتمل التصميم وأصبح الصندوق من الداخل جاهزا تماما، تم صبغ الصندوق من الخارج بشكل رائع [27]، فكانت في غاية الإتقان والجمال .

وبعد عمل اللمسات الأخيرة عليها انطلق بها الأخ فهد إلى نيروبي لتحل عروسا في ذلك البيت الهادئ، ولتمتلئ نارا على الأمريكان، ولتقتص لملايين المظلومين في العالم.

تدريبات سريعة داخل المدينة

كان الأخ عزام -رحمه الله تعالى- يجيد السواقة وكان قد جرّب الطريق الذي سيسير منه وقت تنفيذ العملية عدة مرات، ولكن بالسيارة الصغيرة، وعندما جاءت الشاحنة أراد تجريبها إلى الهدف، وكان في هذا نوع من المخاطرة خاصة وأنه لا يحمل رخصة سواقة، ولكن من الضروري أن يفعل ذلك، وبالفعل قام بالذهاب إلى الهدف بالشاحنة أكثر من مرة.... طبعا قريبا منه وليس عند نقطة التنفيذ، وقال بلغة الواثق بالله، أنا قادر على الوصول للهدف بسهولة جدا بإذن الله تعالى.

دخلت السيارة في أحد مرائب البيت للتجهيز في انتظار يوم التنفيذ.

العُرس الكروي العالمي 1998 م

لقد بدأت مباريات كأس العالم وتحولت مدينة مومباسا إلى مدينة جديدة بلباس جديد، حتى يظن المار في شوارعها بأن مباريات كأس العالم تجري على ملاعبها .... فصور اللاعبين العالميين انتشرت بشكل كبير جدا، وصار حديث الناس في الليل والنهار عن المباريات، ومن سيفوز بمباراة اليوم؟ ومن هو أفضل لاعب؟ ومن سيكون هداف الكأس ومن؟ ومن ؟

أمّا المدينة القديمة old town فقد كان لها شأن خاص لم أره في أي بلد من البلاد التي سافرتُ إليها طوال حياتي .... ففي الليل وقبل موعد المباراة، تُغلق الشوارع تماماً، ويقوم أحدهم بإخراج شاشة تلفاز كبير الحجم ويضعه في منتصف الحارة، ويجتمع الشباب والشيبان لمشاهدة المباراة، وتعلو الأصوات وتخفت على حسب سير المباراة، وإذا كان لديك عمل في ذلك الوقت، لا بد من أن تمر بطريق رأس الرجاء الصالح حتى تصل إلى مرادك.

[27] – يمكن أن يُصبغ الصندوق وتُرسم عليه رسومات شركات عاملة في المدينة نفسها، كشركات ال" آيس كريم " أو ألعاب الأطفال، أو البيبسي كولا ... الخ .

لقد تحولت حياة الناس إلى عُرس رياضي يتمنى الجميع بقــاءه طــوال العــام، فحيــاة النــاس هنــاك صــعبة للغاية، والحصول على لقمة العيش فيها مشقة وعناء، فكان هذا العرس الرياضــي يُخفــف عــن النــاس آلام حياهم وصعوبة عيشهم ....رغم أنني لي رأي آخر في تلك الرياضة سأحتفظ بــه لنفســي.... وقــد كنــت في غاية السعادة بهذا العرس، مع أنني لم أشاهد أيّ مباراة، فقــد كنــت أتحــرك لعملــي بحريــة تامــة .... وأشعر بأمن وأمان مع انشغال الجميع بكأس العالم.

فقط كنت أهتم بسماع النتائج-عن طريق النشــرة الإخباريــة- حــتى أســتطيع مســايرة الأخ صــوفني في الحديث عندما يأتيني في الضحى ليحدثني عن المباريات، وأخشــى أن أقــول لــه أنــني لم أشــاهد المباريــات لأن هذا سيثير استغرابه .... وكنت دائما أبدؤه بالكلام، إيش رأيك بــالفريق الفرنســي مــثلا، فيبــدأ هــو بسرد الأحداث وكأنك تشاهد المباراة ....ثم أسأله عــن الفريــق الآخــر، وأجلــس أســتمع إلى تعليقاتــه ونقده لبعض اللاعبين والمدربين الذين قصروا في إشراك بعض اللاعبين المهمين.... وهكذا.

كنت أتمنى أن ينتهي كل شي قبل انتهاء كأس العالم الكروي .... ولكــن لم نســتطع ذلــك مــع كــل مــا بذلناه.

الاستشهادي الثاني

اتصلتُ بالشيخ أبي حفص وطمأنته على سير العمل، وطلبــت منــه إرســال الأخ الثــاني علــى أن يكــون الأخ الثالث تحت الطلب في حالة الحاجة إليه .... وخلال أيام كان الأخ "أحمــد عبــدالله" في طريقــه إلينــا وقد طلبت من الشيخ أبي حفص إرساله إلى مومباسا مباشرة .... ومع ذلــك طلبــت مــن الأخ هــارون أن ينتظره في مطار نيروبي احتياطاً، ويرسله إليّ فورا ولا يذهب به للفــيلا، وذهبــت مــع الأخ صــوفني لمطــار مومباسا لاستقبال الأخ أحمد، وفي الموعد المحدد وصلت الطائرة وعلــى متنهــا الأخ أحمــد عبــدالله الــذي سرعان ما خرج من المطار، وركبنا التاكسي إلى البيت، واستأذن الأخ صوفني لقرب بداية المباراة.

كان الأخ أحمد عبدالله من الإخوة القدامى في الجهاد، فقد هــاجر إلى أفغانســتان أوائــل التســعينيات مــن القرن الماضي وتدرب في معسكرات القاعدة، مع أنــه عضــو في الجماعــة الإســلامية المصــرية .... فقــد كانت معسكرات القاعدة تُدرب كل من يأتي إلى أفغانستان ولا تشــترط انضــمام أحــد للتنظــيم، حيــث

كانت سياستنا تدريب شباب الأمة، وتوجيههم للجهاد العالمي ضد الأمريكان واليهود، بغض النظر عن انتماءات هذا الشخص.

كان حافظا مُتقنا لكتاب الله، هادئ الطبع، كثير العبادة، لا يترك قيام الليل، مع خبرة عالية في تجهيز العبوات المتفجرة، لكنه كان مُصراً ومنذ زمن على تنفيذ عملية استشهادية....كان أبيض البشرة حتى كان يُعرف بأحمد الألماني .... تحدثنا طويلا عن أحوال أفغانستان، وأخبار طالبان، وأخبار الإخوة هناك، ثم تحول الحديث عن العمل وطبيعته، وجلست أشرح له الأمور، وكيف سيكون تركيب العُبوة، وكان تَعَجّبه من الكمية التي استطعنا تجهيزها .... ولخبرته الجيدة في المتفجرات قال عندي اقتراح.

قلت: تفضل.

قال: هذه العبوة تعتمد على الفتيل الصاعق فقط لسريان التفجير في العبوة كلها، ومن المحتمل أن يحدث أيّ فراغ داخل الفتيل، مما سيمنع من انتقال الموجة الانفجارية بشكل كامل.

قلت: ما الحل؟

قال: نعمل دائرة كهربائية كاملة بجانب الدائرة الأولى، وبذلك نكون قد أخذنا بكل الأسباب.

قلت: هل تعلم كم سيكلفنا اقتراحك هذا؟ .

قال: نعم.

قلت سيحتاج أكثر من مائة صاعق كهربائي على أقل تقدير.

قال: إن كان في الإمكان فيكون أفضل وأضمن!

في الحقيقة لقد أُعجبت باقتراحه رغم صعوبته، وتكلمت مع الأخ فهد عن إمكانية توفير هذا العدد من الصواعق الكهربائية.

قال الأخ فهد سأحاول.

بعد أيام قال: في أمل بإذن الله.

وخلال أسبوع واحد فقط من وصول الأخ أحمد عبدالله كانت الصواعق بين أيدينا ولكن ضعف العدد المطلوب، مع فرحة عارمة غمرت الجميع وحمدنا الله على هذا التوفيق.

كنت أقول للإخوة جميعا ستنجح العملية بإذن الله .... فقد كان هذا الشعور يراودني دائما، وكنت أشعر بتفاؤل كبير خاصة في الشهرين الأخيرين من العملية!

وكان حسن الظن بالله مُقدم في كل خطوة من خطوات العمل.

قلت له: تذهب إلى نيروبي لمساعدة الأخ أبي عبدالرحمن المهاجر في تركيب العبوة وتعرض عليه اقتراحك وتتعاونا في تنفيذه.

كنت قد تكلمت مع الأخ أحمد عبدالله عن قيامنا برصد السفارة الإسرائيلية في نيروبي، وأننا جمعنا كل المعلومات اللازمة عنها، لتكون هدفا لنا في المستقبل بإذن الله، مع وجود بعض الإشكالات الشرعية التي تحتاج إلى من يُجيز هذا العمل.

فقال: ماذا لو أعدنا الاستطلاع مرة أخرى وبشكل أدق لعلنا نصل إلى طريقة لتجنب تلك الإشكاليات.

قلت له: هذا سيوسع دائرة العمل ويتطلب المزيد من المواد والعناصر الاستشهادية، والوقت ليس في صالحنا، فنحن نريد أن ننفذ خلال مباريات كأس العالم، ولكن لا بأس من إعادة الاستطلاع والنظر في الأمر!

اتصلت بالأخ هارون للقدوم إلينا لمرافقة الأخ أحمد إلى نيروبي.

تحرك الأخوان أحمد وهارون إلى نيروبي، على أن يقوم الأخير باستطلاع السفارة الإسرائيلية وجمع المعلومات اللازمة عنها مرة ثانية.

معلومات السفارة الإسرائيلية

لقد قام الأخ هارون بجمع كل ما يلزم من معلومات عن السفارة الإسرائيلية وكانت المعلومات دقيقة جداً، وكانت نقطة الضعف الوحيدة تقع خلف سور السفارة حيث توجد مدرسة ملاصقة لسور السفارة -بها الكثير من التلاميذ الكينيين وغيرهم- وأيّ عملية تفجير ستسبب أضرارا كبيرة بالمدرسة،

وبالتالي بالطلاب وهذا أمر لا يجوز بالنسبة لنا، وتعمد استهداف الأطفال ولو كانوا من اليهود أمر يحتاج إلى اجتهاد ونظر، وكان الراجح عندي عدم جواز ذلك .... ومسألة التبييت حكم آخر يختلف عن مسألتنا.... لذلك تم استبعاد العمل على السفارة اليهودية .... فليس مقصودنا التفجير وحسب، ولكن نحن نتعبد الله بجهادنا، فعلينا ألا نخالف الأحكام لمجرد كُرهنا وبُغضنا لليهود [28].

ومع ورود حكم المعاملة بالمثل في النقاش، إلا أنه لم يترجح عندي!!!

كان العمل في نيروبي يسير بوتيرة سريعة، خاصة بعد انضمام الأخ أحمد عبدالله إلى المهاجر، وكان العمل في تترانيا يسير بنفس الوتيرة ... وأسرع.

الانتهاء من تركيب العبوة

اتصل بي الإخوة من نيروبي وأخبروني بأن كل شيء جاهز، وأن العبوة متوقفة على ضغط الزر وأنهم ينتظرون أوامري .... طلبت من الأخوين المهاجر وأحمد عبدالله أن يأخذا فيزا لتترانيا، وبعدها يتوجهون للساحل لترتيب سفرهم، وأخبرتهم بأن كل شيء جاهز في تترانيا باستثناء بعض الأمور الصغيرة.

قالوا: كل شيء جاهز؟!

قلت: تقريبا.

قالوا: إن شاء الله سنكون عندك خلال أيام.

وبعد ثلاثة أيام كانوا قد حصلوا على الفيزا، وتوجهوا نحو الساحل لبدأ رحلة جديدة إلى دار السلام.

عند وصولهم كان يبدوا عليهم الإرهاق الشديد، فقد بذلوا مجهودا وأنجزوا عملا عظيما في وقت قياسي، ومع هذا الإرهاق فقد كانوا مستعدين ومتحمسين للسفر إلى دار السلام ....جلسنا سويا

28- عن ابن شِهَابٍ عَنْ سُلَيمانَ بنِ يسَار أنّ رَسُولَ اللهِ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللّه بنِ رُوَاحَةَ يُخَرِّصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودَ خَيْبَرَ، قال: فجمعوا لَهُ حُلِيًّا مِنْ حُلِيّ نسَائِهِمْ فَقَالُوا: هَذَا لَكَ، فَخَفِفْ عَنّا وَتَجَاوَزْ فِي القَسَم. فَقَالَ عَبدُ اللّه بنِ رُوَاحَةَ: يَا مَعْشَرَ اليَهودِ، واللهِ إنّكُمْ لَمِنْ أَبغَضِ خَلْقِ اللّهِ إلَيّ، ومَا ذَلكَ بحَاملِي عَلَى أَنْ أحيْفَ عَنكُمْ، فَأَما مَا عَرَضْتُم مِنَ الرَشْوَةَ فَإنّهَا سُحْتٌ، وَإنّا لاَ نَأْكُلُهَا، فقالوا: بِهَذَا قامَتِ السَماوات وَالأَرض. رواه مالك في الموطأ(كتاب المساقاة)/مرسل / انظر التمهيد لابن عبد البر، وصححه الألباني وساق له عدد من الطرق/انظر غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام.

ساعات طويلة يشرحون فيها كيف وفقهم الله سبحانه وتعالى في تركيب العبوة، والخطوات التي اتخذوها لضمان انفجار العبوة كاملة حتى لوحة زر التفجير، وأزرار الأمان، وكيف ثبات العبوة في الشاحنة، بحيث لا تتأثر بأيّ اهتزازات أثناء انطلاق الشاحنة نحو الهدف .... أمّا البطاريات فهي كافية لتفجير عشرة أضعاف الصواعق الموجودة.

أمّا طريقة تجهيز الصناديق فهي نفس طريقة عمل السردين والفسيخ، فكانوا يفرشون الصندوق بمادة النترات المطحونة والمخلوطة ببودر الألمونيوم وtnt المطحون، ثم يقومون بوضع أول طبقة من قوالب tnt ثم يقومون بملئ أيّ فراغ بين القوالب بنفس المادة السابقة، ثم توضع الطبقة الثانية من القوالب وحتى امتلاء الصندوق، مع وضع الفتيل الصاعق والصواعق والأسلاك والصواعق الكهربائية في موضعها الصحيح .... وكان الصندوق يسع ثلاثين كيلو جرام ليسهل حمله ورصّه.... **وننصح بعدم الزيادة على ذلك حتى يسهل تحريك الصندوق دون أن يؤثر على الفتائل.**

وبعد أن انتهوا وضعوا كل الأدوات المستعملة في العمل مع الصناديق، حتى الطاحونة العزيزة، وأنابيب الغاز، والملابس والأحذية والجوارب ....الخ وعلى رأي المصريين، مش خسارة في الأمريكان.

رؤية مُبشرة

كنت قد اتصلت بعمي (أبو زوجتي) الشيخ أبو الفرج حفظه الله تعالى.

فقال من فين بتتكلم؟

قلت له من بلاد الله الواسعة.

قال عندي بشرى لك.

رأيتك في المنام عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد اتجهتَ للقبلة، وتدعوا إلى الله بإلحاح.

ثم قال لي: يا أبا محمد هل لك حاجة مُلحة تريد من الله إتمامها؟

فقلت له: ادع لنا.

وعمي رجل صالح -نحسبه كذلك- فهو من أهل القــرآن، ولــه ورد في الليــل لا يكــاد يخطئــه، حــتى في أشد الأوقات، وأصعب المواقف، في الجبهات ومعسكرات التدريب.

استبشرت كثيرا بتلك الرؤيا، واستبشر الإخوة من حولي، فالجميع يعــرف عمــي معرفــة جيــدة فهــو مــن أهل الفضل والدعوة والجهــاد، وكانــت لــه دروس ومــواعظ في الجبهــات والمعســكرات، ودعونــا الله سبحانه أن يُكلل عملنا بالنجاح.

أبو طلال المغربي في نيروبي

وهو من بلاد المغرب العربي الحبيب، وكان أحد الإخوة العــاملين معنــا في أفغانســتان، جــاء إلى الجهــاد في تسعينيات القرن الماضي قادما من إيطاليا، وكان قد تأثر بــدعوة الشــيخ أبي عبــدالرحمن المصــري المشــرف على إدارة أحد المراكز الإسلامية في إيطاليا، وكان الأخ أبو طلال شاباً ذكيــا مُثقفــاً يــتكلم عــدة لغــات أجنبية واستطاع خلال فترة وجيزة أن يُثبت كفاءته، فعمل في مجــال التــدريب ضــمن طــاقم التــدريب في معسكر أبو بكر الصديق، وتزوج بأخت مغربية فاضلة، وكان صاحب خلــق طيــب .... إلا أنــه حــدثت له بعض المصاعب الإدارية العادية التي لا يخلو منها عمل، فتضــخمت الأمــور عنــده، وبــدأ يــنقم علــى بعض الإخوة شيئا فشيئا، وعندما انتقلنــا إلى الســودان كــان معنــا، وتم إرســاله للحصــول علــى دورة تدريبية لقيادة الطيران، فذهب إلى كينيا وحصل على دورة تدريبية راقية، وتحمّــل التنظــيم كــل تكاليفهــا، وتخرج منها بنجاح، وكان يساهم في استقبال الإخــوة القــادمين للســفر إلى الصــومال .... وكــان أخــا خلوقا ومحل ثقة مع صدور بعض الشكاوى ضده، وهذا أمر طبيعي لكل أحد.

انتقل إلى السودان بعد ذلك، وعندما قررنا الذهاب إلى أفغانستان فضل عــدم الســفر، خاصــة وأنــه كــان يطمع في العمل في إحدى شركات الطيران.

ظل يعمل في إحدى الشركات الخاصة، ولضيق ظروف العمل مع ضــعف الراتــب قــرر أن يعمــل بشــكل حر وأن يرسل زوجته وابنتيه إلى المغرب، وبدأ في الاتصــال بالســفارة المغربيــة .... وبعــدها تغــير حالــه شيئا فشيئا وبدأ الجميع حوله يشعرون بهذا التغيــير، وبــدأت حولــه بعــض الشــكوك، وتأكــدت عنــدما حصل على عقد عمل في نيروبي عن طريق أستاذه الإيطالي! الذي درّبه على قيادة الطائرة.

جاء أبو طلال إلى نيروبي لإتمام عقد العمل، فسأل عن هارون واستطاع أن يصل إليه عن طريق أحد التجار الصوماليين الذي كانت تربطه به علاقة قديمة، وتقابل هو وهارون في نيروبي وسأل عنّي، فقال له هارون أنني في الصومال وكانت تربطني به علاقة طيبة جدا .... فهو كما قلت سابقا صاحب خلق.

حكى لهارون عن سبب مجيئه، وأنه بعد أن ينتهي من إتمام العقد سيرجع للسودان لإنهاء كل متعلقاته، ويقوم بتسفير أهله ومن ثم سيعود للعمل .... وقال له أخبر أبا محمد أنني لا أستطيع أن أتعاون معه تنظيميا في استقبال الإخوة، أو في تسفيرهم كما كان الأمر في السابق...الخ.

عندما اتصلت بهارون ردت أهله على الهاتف وأخبرتني بخبر أبي طلال.

قلت لها أخبري هارون بألا يعطيه عنوان البيت ولا حتى رقم الهاتف، ولا يخبره بأيّ معلومة عنّا، فقد بدأت أتوجس من الأخ بعض الشيء.

أبو طلال أصبح فيما بعد أحد أهم المتعاونين مع مكتب التحقيقات الأمريكية الـ إف بي آي، وكانت شهاداته بمثابة كتر حصل عليه المحققون، وتسبب في سجن الكثير من الإخوة لمحكوميات طويلة، وقد ذكرتُ بعض الملامح عنه، والآن سأفرد له فصلاً كاملاً ليتعرف القارئ على حقيقة أمره.

حسين خرشتو

شاب مغربي خلوق التحق بالجهاد في أفغانستان في العام 1411/1410ه الموافق 1991م قادماً من إيطاليا متأثراً بمحاضرات الشيخ أبي عبد الرحمن المصري مسؤول المركز الإسلامي في ميلانو حينها[29]، والذي ألهبت خطبه ومحاضراته التحريضية نفوس الشباب المسلم في إيطاليا على الهجرة لأفغانستان وكان خرشتو من بينهم، لقد جاء حسين باندفاعة عاطفية كبيرة بعد أن ترك بلاد الكفر والتفسخ الأخلاقي الذي أصبح السمة الرئيسية لأوروبا النصرانية، ليجد في استقباله وخدمته إخوة كرام يعملون على راحته وراحة كل القادمين، وفي مضافة بيت الأنصار أكمل حسين خرشتو كل ما يلزمه من حاجيات ليلتحق بعد ذلك بمعسكر الفاروق، حيث كان متميزاً بين إخوانه، فقد كان شاباً ذكياً

[29] – قد يكون المركز في مدينة أخرى، فالذاكرة لا تساعدني.

مثقفاً، وفي المعسكر كان حسين خرشتو يُعرف بأبي طلال المغربي وهى الكنية التي اختارها لنفسه عند وصوله إلى المضافة.

كان خرشتو يتحدث عدة لغات أجنبية الإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، فبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بمعهد لدراسة فنون الفندقة وهذا أكسبه مهارة في اللغتين الإنجليزية والفرنسية التي كان على معرفة بهما قبل الالتحاق، وعندما سافر إلى إيطاليا عمل في أحد مكاتب السفريات بعد أن تعلم شيئاً من اللغة الإيطالية، ويبدو أنه كان شاباً نشيطاً محبباً لزملائه في العمل، حتى أن مديره عرض عليه أن يزوجه إحدى الفتيات الأوربيات العاملات معهم في المكتب، وهي إيطالية الجنسية حسب ما ذكر لي حسين نفسه.

تخرج حسين من معسكر الفاروق، والتحق بتنظيم القاعدة بعد تزكية مدربيه، وحصل على بعض الدورات التأهيلية ليلتحق بعدها بمعسكر "أبو بكر الصديق" ضمن طاقم التدريب هناك، كانت تربطني به علاقة طيبة حيث كنت أعمل مدرباً في معسكر الفاروق، وازدادت تلك العلاقة بيننا حتى العام 1417ه الموافق 1997م وهى آخر سنة التقيت فيها بأبي طلال.

زواج أبوطلال

كان تنظيم القاعدة يُقدم مساعدة كاملة للأعضاء المنتسبين له من أجل الزواج، ولكن بعد مرور ثلاث سنوات من الالتحاق بالتنظيم، لم يكمل أبو طلال تلك المدة ومع ذلك فقد استطاع أبو طلال الزواج وكان حينها الشيخ سعيد "مصطفى أبو اليزيد" هو المسؤول المالي للتنظيم، وقد تزوج من أخت مغربية فاضلة هاجرت مع أبيها قادمة من أوربا.... وفي مدينة "بيشاور الباكستانية" تم الزواج، وحضر الكثير من الإخوة والأخوات ذلك الزواج المبارك.

انتقل ثقل التنظيم إلى السودان بعد أن سقطت حكومة كابل 1412ه الموافق 1992م، وكان من بينهم أبو طلال المغربي حيث نزل هو وأسرته في أرقى حيّ من أحياء الخرطوم "حيّ الرياض"، فقد استأجر التنظيم عمارة سكنية كبيرة لاستقبال العائلات فيها، كانت كل شقة تتكون من أربعة غُرف كبيرة، وحمامين، ومطبخ، واثنين بلكونة، والمبنى يحيطه حوش كبير من جميع الجهات، مع مرآب للسيارات كبير، وحارس للمبنى اسمه "عم حسن"، وكان التنظيم يقوم بتجهيز البيت كاملاً، مع

تخصيص أحد الإخوة للقيام بما يلزم للأسر التي يسافر زوجها لأي عمل خارج السودان، وكان الأخ أبو مروان المصري والمعروف "بأبي مروان الزول" هو المسؤول عن تلك العائلات.

بعد وصول أبي طلال للخرطوم واتمام ما يلزم بيته وعائلته الكريمة، تم اختياره للسفر إلى كينيا للحصول على دورة تدريبة في مدرسة للطيران في نيروبي، وكذلك لمساعدة الإخوة الذاهبين والقادمين من وإلى الصومال مروراً بنيروبي، وقد حصل على الدورة التدريبية وقد رافقتُهُ في أحد الأيام إلى المدرسة ورأيته وهو يُقلع ويهبط بالطائرة مع مدربه الإيطالي الذي كانت تربطه به علاقة طيبة بسبب معرفة حسين باللغة الإيطالية، وهذا المدرب هو الذي قام بتجنيد أبي طلال فيما بعد-على غالب ظني- للعمل مع إحدى وكالات الاستخبارات الأوربية، وتفصيل عملية التجنيد لم أطلع عليها بشكل مباشر لأن التنظيم لم يحقق مع أبي طلال عندما بدأت تثور حوله الشكوك، فقد كان التنظيم حينها في أفغانستان وأبو طلال في الخرطوم، ولكني علمت بعض التفاصيل البسيطة من أبي طلال كانت تخرج منه بغير قصد أثناء حديثي معه، ولكنها بقيت شكوك حينها و لم ترق إلى اليقين، وأنا أقول هذا لأمانة النقل.

ظل أبو طلال في كينيا يساعد إخوانه المجاهدين، وكان يعود للخرطوم لزيارة أهله كل عدة أشهر، مثله مثل بقية الإخوة العاملين في الصومال، وكانت أهله تنال من الرعاية والخدمة ما تناله جميع الأُسر، فكل ما تحتاجه من خارج البيت، يكفي أن تكتب ورقة بكل طلباتها إلى الأخ أبي مروان الزول وترسلها عن طريق إحدى الأخوات لتجد جميع طلباتها أمام باب شقتها خلال وقت يسير، وهذا الأمر كان يُشجع كثيراً في استمرار الإخوة في عملهم خارج السودان، وكان أبو طلال يتردد بين الخرطوم ونيروبي وهو في غاية السعادة والاطمئنان على أهله وابنته.

مناقشة لما كتبه على صوفان، ودانيال فريدمان، عن دوافع أبي طلال للعمل معهم:

فقد كتبا في كتابهما "الرايات السود" في الفصل السادس تحت عنوان "ستغرد مثل الكنار" كلاماً مليء بالأغاليط والافتراءات والحقد الذي ملأ قلبيهما، في محاولة رخيصة لتشويه صورة تنظيم القاعدة، ولتبرير دوافع أبي طلال للعمل معهم ضد إخوانه المجاهدين، وبدلاً من أن ينسجوا افتراءاتهم بشكل لائق يتقبله القارئ، فقد عمدوا إلى قصة من نسج خيالهم ينفر منها القارئ قبل اتمامها، ولعل أبا طلال

استنكر تلك القصة المختلقة لما فيها من صور الإهانة لــه ولزوجتــه، الــتي كانــت تحظــى برعايــة عاليــة، وخدمة مرموقة ،كبقية الأخوات...يقول الكاتبان:

عاد حسين خرشتو وهو الرجل الذي اختاره قادة القاعدة كي يعمــل بصــفة طيــار بــن لادن الخــاص إلى السودان عائداً من مدرسة لتعليم الطــيران في نــيروبي وكــان ذلــك في العــام 1995م، ليجــد خرشــتو زوجته الحامل تتسول في شوارع الخرطوم من أجل الحصول على المال اللازم لإجراء عملية قيصرية.

ويستطرد الكاتبان: كانت القواعد الأمنية لتنظيم القاعدة تمنعه مــن الاتصــال بهــا، ولــذلك لم يعلــم بأنهــا تحولت إلى التسول....أبلغها والدموع تتساقط من عينيــه بأنــه ســوف يــؤمن لهــا المــال، ثم أدخلهــا إلى المستشفى الرئيسي في الخرطوم، وتوجه خرشتو لرؤيــة الشــيخ ســعيد المصــري وهــو المســؤول المــالي في منظمة القاعدة، وكان هذا الأخير يتقاسم مكتبه مع بن لادن وقادة آخــرين، قــال لســعيد المصــري: "إنــني بحاجة إلى المال لتسديد فاتورة المستشفى الذي ستجري فيــه زوجــتي جراحــة قيصــرية، إنــني بحاجــة إلى خمسمائة دولار"، قال سعيد المصري معتذراً: "إنني آسف، لا مــال لــدينا، لا نســتطيع أن نعطيــك شــيئا" مما جعل أبا طلال يخرج من مكتب الشيخ ســعيد وقــد امــتلأ غضباً..............واســتطرد الكاتبــان في سرد أحداث من مخيلتهما لا تمت للواقع بأي صــلة، ولا أظــن أنّ أبــا طــلال قــد ســرد عليهمــا تلــك الأكاذيب التي تسيء لشخصه ولزوجته.

وسوف أشير إلى بعض الإشارات لبيان كذب الكــاتبين وســذاجتهما، وعــدم احترامهمــا لعقــل القــارئ منها:

- تكليف أبي طلال ليكون قائد طائرة بن لادن-وهــو الشخصــية الأهــم في التنظــيم- ومعاونــا للإخــوة المسافرين من وإلى الصومال، تجعله وأسرته متميزاً في المعاملة والخدمات عن غيره إن لم يكن مساوياً.

- لم نسمع، ولم نر، أن إحدى الأخوات قامت بالتســول في شــوارع الخرطــوم! ولكنــه الحقــد الأعمــى الذي ملأ قلوب الخصوم.

- الراتب الشهري الذي كان يحصل عليه أبو طلال والذي يُســلم لزوجتــه أول كــل شــهر أثنــاء غيابــه، يكفي لأن تعيش زوجته عيشة الأغنياء في السودان، خاصة وأن إيجــار الســكن يتحملــه التنظــيم كــاملاً، ولعل جلسات الشِواء المعتادة التي كان يقيمها-خرشتو- فوق سطح المبنى دالة على ذلك.

- كان يستلم راتبه بالدولار، فلم يتأثر الراتب يوما بانخفاض العملة السودانية.

- التسول في الخرطوم مهنة غير معروفة على الأقل وقت تواجدنا، فالحالة الاقتصادية المتدنية للشعب تجعل فُرص المتسول شبه منعدمة كي يحصل على خمسة دولارات في الشهر، ورغم فقر أكثر الشعب السوداني، إلا أنه شعب متكافل فيما بينه، فَصُور التكافل والتعاون بين أبناء الأسرة الواحدة معروفة ومشهورة في السودان، وهذه من الخصال الحميدة في ذلك الشعب الطيب، لذا يندر أن تجد شخصاً متسولا في شوارع الخرطوم.

- من يسكن في أرقى أحياء الخرطوم "حي الرياض" لا يلجأ إلى التسول!.

- لماذا لم يذكر الكاتبان بأن أبا طلال عاتب إخوانه وجيرانه بتركهم زوجته تتسول في شوارع الخرطوم أثناء غيابه، والإجابة بسيطة جداً....أن هذا لم يحدث أصلاً.

- أبو طلال كانت له علاقات طيبة مع كثير من إخوانه في التنظيم وخارجه، ولو أرادت زوجته الحصول على آلاف الدولارات أثناء غيابه-على سبيل القرض-لحصلت عليها بسهولة ويسر.

- ذكروا أن اللجنة الأمنية كانت تمنعه من الاتصال بزوجته وهذا محض افتراء، فقد كانت له ولجميع أفراد التنظيم الحرية الكاملة في الاتصال، بل استطاع الكثير من أفراد التنظيم دعوة الوالدين للحضور للخرطوم وكان التنظيم يساهم في التكلفة المادية بنسبة كبيرة.

ولن أستطرد مع الكاتبين في مخيلتهما، فكاتب مثل علي صوفان يفتخر بعمالته للصليبيين، وأنه خدم لديهم سنوات طويلة في محاربة الإسلام والمسلمين، لن يتورع عن الكذب الفاضح الذي يترفع عنه أمثاله من الكذبة الأمريكيين كتاباً وساسة، لذلك لم يدع فصلاً من فصول كتابه إلا وحشاه بالأكاذيب مع بعض المعلومات الصحيحة التي حصل عليها من ملفات التحقيق التي باشرها بنفسه أحياناً-انتزاعاً تحت التعذيب- أو التي حصل عليها من خلال الشهود الذين رضوا أن يكونوا عبيداً للأمريكان ضد إخوانهم السابقين، وقد لا أستبعد أن يكون أبو طلال قد حكى لهم هذه القصة ليبرر لهم تعاونه معهم في التجسس، أو أنه معهم قد اتفقوا على هذه القصة ليظهروه بمظهر المظلوم، وليس بمظهر الخائن اللاهث وراء المال.

وسوف أذكر القصة كما حدثت وعايشتها ليتبين للقارئ الكريم مدى حقد هؤلاء على المسلمين، ومدى كذبهم، ومدى استهتارهم بسمعة العاملين معهم.

قام تنظيم القاعدة بعدة مشاريع تجارية في السودان وتعرض للربح والخسارة كبقية الشركات العاملة في أي مكان في العالم، وفي أثناء عمل تلك الشركات حدثت أزمة مالية للتنظيم و لم يعد قادراً على الوفاء ببعض الكماليات التي كان يوفرها لأعضاء التنظيم، وصدر قرار بإيقاف القروض بشكل مؤقت، في تلك الأثناء كانت زوجة أبي طلال في أواخر حملها، وقرر الطبيب أن تكون ولادتها قيصرية و لم يكن أبو طلال يمتلك ثمن العملية، ورغم معرفته بالقرار فقد ذهب إلى الشيخ سعيد المحاسب وطلب منه قرضا لإتمام العملية لزوجته، و لم يتيسر له الحصول على المبلغ مما أغضب أبا طلال كثيراً، وكان متحاملاً من وقتها على الشيخ سعيد، مع أن الشيخ سعيد كان منفذاً للقرارات وليس صانعاً لها كما يحب أن يصوره البعض.

لم تكن هناك مشكلة في عدم حصول أبي طلال على القرض، فقد حصل على مبلغ أكبر مما تلزمه العملية القيصرية من خلال صندوق أقامه الإخوة في التنظيم لمساعدة الحالات الطارئة-صندوق تكافل اجتماعي- وكنت شخصياً ممن يُشرف على هذا الصندوق، وهكذا حصل أبو طلال على ما يريد وزيادة على سبيل الهبة وليس القرض-فَرُب ضارة نافعة-وتمت عملية الولادة ورزقه الله ببنت وضيئة طيبة، ونالت أهله من الخدمة بعد الولادة ما تناله كل الأخوات، حيث كانت الأخوات يقمن بعمل-تطوعي- جدول ولمدة أسبوعين تقريباً لكل حالة ولادة، ففي كل يوم تذهب أختين إلى بيتها ليقمن بتنظيف البيت، وترتيبه، وعمل الطعام اللازم للأم ولزوجها، فإذا عاد زوجها من عمله وجد كل شيء على ما يرام ويحب، وهذا أمر مستمر إلى تاريخ كتابة تلك السطور في المناطق التي توجد بها تجمعات للإخوة والأخوات.

ومع تلك الخدمات فقد ظل أبو طلال يحمل في نفسه من الشيخ سعيد، وبدا ذلك من خلال كلامه كلما وجد فرصة للطعن في الشيخ سعيد، وبدأ الأمر يتطور معه ليشمل آخرين، مع نصائح كانت تُقدم له من الإخوة بعدم الكلام عن إخوانه، إلا أنه لم يتوقف عن ذلك، وبدأت تظهر في كلماته بعض العبارات التي لم تكن من أدبياتنا، مثل الحديث عن المال، والثروة، والمستقبل، ولكن في مجالس خاصة، ورغم خلافه وتغير نظرته للتنظيم إلا أنه استمر في العمل حتى مغادرة التنظيم للسودان.

انتقل بأسرته من "حي الرياض" إلى حيّ راق في الخرطوم وهو "حيّ المنشـية" فقـد اسـتأجر التنظـيم مبـنى يتكون من أربعة أو خمسة طوابق في ذلك الحي قريباً من بيـت الشـيخ "حسـن التـرابي"، و لم يكـن ذلـك مقصوداً بل جاء على سبيل القدر، وقد ذكرتُ ذلك ليعلم القارئ مدى اهتمـام التنظـيم بعناصـره ومـنهم أبو طلال الذي كان يسكن في حيّ راق في نيروبي أيضاً وقد نزلتُ عليه ضيفاً في شقته في نيروبي.

بدأ أبو طلال بالحديث عن رغبته في إيجاد فرصة عمل في إحدى خطوط الطـيران وهـذا يُشـكل لـه نقلـة مادية كبيرة حسب تقديره، وعندما قررت الحكومة السودانية إخراجنـا إلى أفغانسـتان رفـض أبـو طـلال الذهاب معنا معللاً ذلك بأنه لا فائدة منه، وأنه سـيبقى يعمـل في الخرطـوم إلى أن يجـد فرصـة عمـل في إحدى شركات الطيران، وحصل على وظيفة في أحد مكاتب السمسـرة في الخرطـوم براتـب لا بـأس بـه إلا أنه كان يتطلع للأفضل، ثم بدأ في التفكير في تسفير أهله للمغـرب باسـتخراج أوراق رسميـة لهـم عـن طريق السفارة المغربية في الخرطوم، كما بدأ بالاتصال بأستاذه في مدرسـة الطـيران رغبـة الحصـول علـى مساعدته في إيجاد عمل مناسب، ومن خـلال تلـك الاتصـالات تم تجنيـد أبي طـلال للعمـل في إحـدى وكالات الاستخبارات الأوربية، التي قـدمت لـه التسـهيلات لـذهاب أهلـه وبناتـه للمغـرب دون أن يتعرض لمسائلات أمنية، وأصبح أبو طلال يتعامل مع السفارة المغربية دون أيـة مخـاوف، كمـا أن أسـتاذه الإيطالي وَفّر له عملا مدنيا في كينيا كغطاء لعمله الاستخباراتي، وكان أبو طـلال لا يُخفـي تلـك العلاقـة ولا ذلك العمل، ولكن جاءت أحـداث نـيروبي ودار السـلام لتنسـف تلـك الترتيبـات ضـمن نسـف السفارتين، وتم القبض على أبي طلال في إحدى فنادق نـيروبي ذات الخمسـة نجـوم! ليخـرج بعـدها مـن الحجز بعد تدخل جهات أوربية في الأمر ويقوم بمغـادرة كينيـا ليقـع في شـباك الأمريكـان بعـد ذلـك، والأمر بالنسبة له لم يتغير فمن رضى أن يتعاون مع الأوربيين، لن يمانع من التعاون مع الأمريكيين.

السفر للمغرب:

ذكر الكاتبان على صوفان، ودانيال فريدمان، في نفس الفصـل بأنهمـا اسـتطاعا خـداع حسـين خرشـتو واستدراجه إلى المغرب عن طريق مديرية مراقبـة الأنشـطة الإرهابيـةDST وهـي وكالـة الاسـتخبارات المغربية حيث أرسلت الأخيرة برسالة لحسين في السودان تعلمه بوجـود مشـكلة إداريـة متعلقـة بسـجلات بناته وكانت الرسالة عن طريق "دائرة المغتربين"، وأنه يتوجب عليـه العـودة إلى بـلاده لتسـوية المشـكلة،

وبالفعل سافر خرشتو للمغرب ليجد عصابة الـــــ إف بي آي في انتظـــاره....الخ. وهكـــذا يظهـــر للقـــارئ مهارة هؤلاء المحققين ومدى تنفذهم في إدارات دول بأكملها!.

وفي الحقيقة هذا إيهام للقارئ ولا يدل على الحقيقة ولا يقاربها، فحســـين كمـــا ذكـــرتُ بـــدأت معاملاتـــه مع السفارة المغربية منذ زمن، واستطاعت السفارة بالتعاون مـــع الجهـــة الأوربيـــة الـــتي رغبـــت في تجنيـــده احتواء الرجل، واستطاع أن يستخرج جواز سفر مغربي جديد من الســـفارة[30]، وهـــو نفـــس الجـــواز الـــذي تعاقد به مع عمله الجديد في نيروبي، وأصبحت العلاقة بينه وبـــين المغـــرب وديـــة، وســـاعدوه علـــى تســـفير زوجته وبناته الثنتين، ويَسّروا له كل الإجراءات التي لا يلقاها أي مجاهـــد مغـــربي! فالرجـــل رجلهـــم منـــذ زمن وليسوا بحاجة لخداعه لكي يسافر إلى المغرب، بل كان الأمـــر اســـتدعاء، ولـــيس خـــداع ومهارة،كمـــا يحلوا للكاتبين أن يُبرزا أنفسهما.

ومن خلال سرد الأحداث في الكتاب يتبين للقارئ بأن أبا طـــلال لم تكـــن لديـــه أيّ موانـــع للتعـــاون مـــع الأمريكان، فقد قبل بالتعاون مـــع الأوربيـــين، ولـــيس هنـــاك فـــوارق بينهمـــا إلا أن هـــؤلاء كاثوليـــك، والأمريكان بروتستانت على الأكثرية!.

فمن خلال جلسة قصيرة مع عملاء الـــ إف بي آي، بدأ أبو طـــلال يُغـــرد مثـــل الكنـــار –حســـب تعبـــير الكاتب– في مقابل أن يجعلوه ضمن برنامج حماية الشهود، وأن يضـــمنوا لـــه إقامـــة آمنـــة في أمريكـــا، وأن يستمتع بكل الأشياء الجميلة التي تقدمها أمريكا!!!مع وجـــود فـــرص كثـــيرة للظهـــور في القنـــوات العالميـــة للإدلاء بمعلومات حول تنظيم القاعدة، وهكذا انزلق الرجل في هـــذا المنزلـــق الخطـــير–مـــع حزننـــا عليـــه– وَسَلَّمَ نفسه للأعداء كي يستفيدوا منه في محاربة المسلمين، وأصـــبح خرشـــتو أحـــد رجـــالات الـــــ إف بي آي بعد أن كان أستاذاً في معسكرات أفغانستان، ومرابطاً على الثغـــور يُخيـــف أعـــداء الله ويخيفونـــه، كـــل ذلك من أجل حفنات من المال، وإقامة في بلاد الكفر!!!.

وأقول لأبي طلال "حسين خرشتو" رغم ما صدر منك من إيـــذاء لإخوانـــك الســـابقين، وشـــهادتك علـــيهم صدقاً وزوراً، ورغم توفيرك لكثير من المعلومات التي تنفع أعداء دينـــك مـــن الصـــليبيين، وتضـــر بإخوانـــك المسلمين، فلن يرضى عنك الكفار، ولن يحترموك، فأنت بالنسبة لهـــم عبـــد ذليـــل، أو حـــذاء ســـرعان مـــا

[30] – وهذا الإجراء قد أثار بعض الريبة والشك في نفوس الإخوة و لم يترتب عليه أي إجراء عملي ضد أبو طلال حينها.

يبلى ويستبدلونه بحذاء آخر، فمن خان دينه وإخوانه فسيظل حقيراً في نظرهم، وإن أظهروا غير ذلك، وستثبت لك الأيام حقيقة ما أقول.

وأدعوك للتوبة إلى الله، والرجوع إلى الحق، فأنت الآن في العقد الخامس من العمر، ولم يبق إلا القليل وترحل عن هذه الدنيا، لتقف بين يدي الله سبحانه فيسألك عن كل شيء، فماذا أنت مجيب؟ فماذا أنت مجيب؟ فماذا أنت مجيب؟.

واعلم أن باب التوبة مفتوح فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ" مسلم.

وفي حديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال "إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ" الترمذي، وحسنه الألباني.

فسارع بالتوبة قبل فوات الأوان وإليك هذه البشرى العظيمة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم " لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ". مسلم

لقد استطرد الكاتب في ذكر المساعدات والخدمات التي قدمها خرشتو له وللمحققين على مدار سنوات طوال، وما زال الرجل يُقدم خدماته مقابل دخوله في برنامج حماية الشهود، ولكن من سيحميه عندما يقف بين يدي الله خصماً لإخوانه الذين أضر بهم، وحينها لن ينفعه دينار ولا درهم وإنما هي حسنات تؤخذ منه، أو سيئات تلقى عليه!.

وقد اكتفيتُ بتلك الإشارات لبيان كذب الكاتب، وخداعه للقارئ، وكم من كتاب يكتبون الكتب، ويصنفون المصنفات، وهم من أبعد الناس عن الحقيقة، **والغريب في الأمر أنهم يكذبون علينا ونحن أحياء، فماذا سيكون الأمر بعد الرحيل!.**

هناك فصول في الكتاب يجب بيان زيفها، ولعلي أذكرها في كتابات أخرى تناسب المقام إذا يسر الله لي ونشطت في الكتابة، فالكتابة ليست صنعتي، ولكن سأحاول -إن شاء الله- أن أذكر شيئا من حقيقة التاريخ الذي عشناه لحظة بلحظة، بذل فيه الكثيرون من أوقاتهم، وأموالهم، وأنفسهم، وأحث إخواني الذين لهم باع في التصنيف والكتابة، المسارعة في كتابة التاريخ الذي زوره الأعداء على مرأى ومسمع منّا!.

المهاجر وأحمد إلى تنزانيا

كانت الأمور في تنزانيا قد أوشكت على التمام وبقي ذهاب الإخوة لتركيب العُبوّة، وتم شراء السيارة المخصصة للعُبوة، كان حينها الأخ فهد في تنزانيا، وكنت أرغب في أن يصطحب الأخوين إلى هناك.

فقال سأرتب لهما أحد الإخوة لاصطحابهما، وبالفعل التقيت بالأخ أحمد[31] في مومباسا، ورتبت معه أمر السفر، وفي صباح اليوم التالي ذهبنا لمحطة الحافلات وانطلق الجميع في رحلة ممتعة إلى دار السلام.

جاءني اتصال من الأخ فهد يخبرني بأن الإخوة اعترضوا على الشاحنة وطلبوا شاحنة غيرها أكبر حمولة، وبعد نقاش يسير مع الأخ المهاجر علمت أن الشاحنة التي تم شراؤها تصلح للعمل ولكن ليست على المواصفات المطلوبة.... طلبت من الأخ فهد بيع الشاحنة فورا وشراء شاحنة على نفس مواصفات شاحنة نيروبي، وبالفعل تم بيعها وشراء شاحنة أفضل من شاحنة نيروبي .... وقد قام الأخ شيخ سويدان بتجهيز الشاحنة، والصناديق المطلوبة، وكانت له تجربة قريبة بهذا الأمر، فتم العمل بخطوات أسرع من السابق، وفي نفس الوقت كان الأخوان الكريمان يقومان بتجهيز العُبوة.

هارون وعزام في مومباسا

كان الأخ عزام قد تعرف على شوارع نيروبي، فقد كان يخرج دائما بصحبة الأخ هارون في السيارة يقودها بنفسه لكسر هيبة المدينة، والشرطة، ونقاط المرور .... وكان يتكلم مع الأخ هارون بأنه بحاجة إلى أخ آخر معه في العملية لفتح الباب الحديدي أولا، والاقتراب أكثر من الهدف، وكان يكرر

31 - الأخ أحمد التنزاني فك الله أسره .

هذا الطلب ويقول أخبر الشيخ أبا محمد.... قال له هارون ما رأيك تذهب تُغير جو شوية، وتخبر أبا محمد بنفسك.

جاء الأخوان إلى مومباسا وكنت أجلس وحدي ولعدة أشهر في البيت، فملؤوا البيت صخبا وحيوية بعد أن كان السكون يُخيم على أركانه .... قلت لهارون اترك عزام وارجع إلى نيروبي ولا تترك زوجتك وأولادك وحدهم، وكان عمه قد جاء من الجزر للعلاج .... فقد كان مُصابا بسرطان المعدة، وكان يراجع أحد الأطباء المختصين، وكان على هارون أيضا أن يقوم بتشغيل السيارة يوميا في المرآب حتى لا تضعف البطارية.

رجع الأخ هارون وبقى معي الأخ عزام .... وكنّا نخرج إلى شوارع المدينة، ونترل لشراء الحاجيات من السوق، فقد كنت تعلمت قدراً لابأس به من اللغة السواحلية.

العوهلي العابد الرباني

كنا نجلس لتباحث أمر العملية ونفترض بعض العقبات ونحاول أن نجد لها حلاً، ومن خلال الكلام ذكر لي بأنه بحاجة إلى أحد الإخوة ليكون معه في العملية، لفتح الباب الخلفي للسفارة، وهو عبارة عن قضيب حديدي يقوم بفتحه حارس حال دخول سيارة من الباب الخلفي مما يُقرب المسافة إلى السفارة بشكل كبير جداً.... وأنه يخشى أن يحدث شيء ما ولا يستطيع تجاوزه وحده .... وبعد مشاورات وتفكير تم اتخاذ قرار بمشاركة أحد الإخوة الاستشهاديين في العملية على أن نضيف إلى عمله مهام أخرى منها .... أن يقوم بإبعاد الأشخاص المتواجدين في المنطقة عن طريق إطلاق نار في الهواء، وهذا سيجعل الناس يهربون من المنطقة وبسرعة كبيرة.

بالإضافة إلى تفجير قنبلة هجومية، مما سيساعد على إبعاد أيّ شخص في المنطقة، حفاظا على أرواح هؤلاء فهم جميعا ليسوا هدفاً لنا ولا نقصدهم مع أن 99% من المتواجدين في المنطقة من غير المسلمين .... وكان هذا القرار بمثابة دفعة معنوية كبيرة للأخ عزام -رحمه الله- لم يكن دور العوهلي ثانوياً كما يتصور البعض، بل كان رئيسياً ومفصلياً في نجاح العملية بعد فضل الله وتوفيقه.

تنبيه ونصيحة للعاملين:

كلما اقتربت الشاحنة من الهدف ولو لعدد قليل من الأمتار يضاعف من النتائج التدميرية، وكلما ابتعدت عن الهدف لأمتار قليلة فأنت بحاجة إلى مضاعفة العبوة بأطنان لتعويض بُعد المسافة، فكثير من العبوة ستذهب في الهواء، أمّا إذا كانت العبوة ملاصقة للهدف فهذا يقلل الكثير من حجم العبوة، ويزيد من فرص الناحية التدميرية، وإذا أردت أن تجعل الحشوة موجهة بحيث يتركز التفجير نحو الهدف فهذا أمر جيد إذا تيقنت بأنك يوم التنفيذ قادر على وضع الشاحنة أو العبوة في المكان الذي تريده بالتحديد، وهذا متعذر بعض الشيء في المدن، والمنفذ لحظة التنفيذ ليست لديه القدرة على المناورة فكل تركيزه هو الوصول للهدف وضغط الزر.

اتصلت بالشيخ أبي حفص الكومندان وأخبرته برغبتي في أخ ثالث للمشاركة في العمل الاستشهادي، وجاءني الرد بأن الأخ سيصلكم في أقرب وقت....جاءني اتصال من باكستان بأن الأخ سيصلكم في اليوم الفلاني، وعلى الرحلة رقم كذا، وهو يحمل جواز سفر سعودي-الاتصالات كانت مشفرة- وكالعادة ذهب الأخ هارون لمطار نيروبي الدولي لاستقبال الأخ، وذهبت لمطار مومباسا لاستقبال الأخ لتجنب أي خطأ يحدث في مسار الرحلة.

وصلتْ الطائرة بسلام ولكن العوهلي لم يصل! وهذا أمر طبيعي فهو لم يكن على متن الطائرة، ولم يكن ضمن ركابها، بل كان يغُطّ في نوم عميق في مسجد مطار الدوحة، فقد ذهب الأخ العوهلي لأداء الصلاة وأعجبه المقام في المسجد بدلا من المناظر السافرة في المطار، فأخذته سِنة من النوم، لم يستيقظ منها إلا بعد وصول الطائرة إلى نيروبي، رغم النداءات المتكررة عليه في المطار، فاستقل الطائرة التي بعدها، ونزل في مطار نيروبي الدولي، وبالطبع لم يجد أحدا في انتظاره إلا سائقي سيارات التاكسي الذين أوصلوه إلى أحد الفنادق في نيروبي ....كنا قد اتصلنا بالإخوة في باكستان نخبرهم بأن الأخ لم يصل، فهل حدث تغيير في البرنامج؟ فقالوا الأخ انطلق في موعده المحدد وعلى نفس الرحلة !!!

فقلت لهم تابعوا من جهتكم، ونحن نتابع ولعل هناك شيئا خفيا.

في صباح اليوم التالي اتصلت بباكستان فأخبروني بالخبر، وأن الأخ في "فندق ترمنال" في نيروبي، وهو معروف لنا، فهو قريب من المسجد الكبير في وسط المدينة.

قلت لهم اطمئنوا.

اتصلت بالأخ هارون وقلت له يذهب لاصطحاب الأخ العوهلي من فندق ترمنال، و لم يمض وقت طويل حتى اتصل عليّ الأخ العوهلي برفقة هارون وقال مازحاً.... معلش حصل عُطل في، كان ذلك في العام 1419ه آخر شهر يوليو من سنة 1998 م.

وبذلك انضم الأخ العوهلي لفريق العمل معنا .... وفي الحقيقة كانت معنويات الأخ عالية جدا .... كما أخبرني بذلك الأخ هارون، وكان في شوق إلى موعد العملية، وكان شعاره "وعجلت إليك ربي لترضى".

عمليات التسفير

كنت قد طلبت من الشيخ أبي حفص الكومندان إرسال عدد من أوراق الفيزا الباكستانية لاستخدامها مرة أخرى في عملية تسفير الإخوة، وبالفعل تم إرسال عدد من تلك الفيز، ولكنها لم تكن ممسوحة من الأختام، والإمضاءات، والكتابة، فقمت بشراء ما يلزم من مواد، وتم مسح تلك الفيز وإعادتها إلى أصلها لتكون صالحة عند الحاجة، وقد كانت لي خبرة سابقة في هذا المجال، وهذه المعلومات-تعديل الأوراق والجوازات- متوفرة الآن في الشبكة العنكبوتية، بخلاف ما كان عليه الوضع يوم كنّا نعمل في شرق إفريقيا.

أخبرتني أسرة الأخ مصطفى بأن جواز سفره جاهز، وكذلك جواز أهله، فقمنا على الفور بالحصول لهما على فيزا لباكستان، مع تذاكر السفر، في انتظار قدومهما من تتزانيا للتحرك فوراً.

وبالنسبة للأخ شعيب فقد كان عنده جواز سفر يمني، وقمنا بتجهيزه بالأختام المطلوبة، مع وضع فيزا لباكستان لا تقل جودة عن الفيزا التي حصل عليها الأخ مصطفى من السفارة الباكستانية، وكذلك تم تجهيز جواز سفر أهله....أمّا الأخ شيخ سويدان وأهله فقد حصلنا لهما على فيزا لباكستان، وأصبح سفر الجميع مرتبطا بقدومهم من تتزانيا[32].

[32] – الحصول على فيزا من السفارة الباكستانية كان عن طريق إحدى شركات السياحة والسفر، وأنصح العاملين في المدن بأن يكون لهم تعامل مع إحدى هذه الشركات لتيسير المعاملات.

وكان الأخ مروان قد حصل على جواز سفر يمني، وأصر على أن صورة الجـــواز ليســـت بحاجـــة إلى تغيـــير، وأن الصورة تشبهه كثيرا .... وسبب إصراره أن جـــواز ســـفره الأصـــلي قـــد تلـــف في قســـم الوثـــائق في الماضي أثناء تجديده، وصار عنده موقف من الجوازات المزورة، وقال ما تحملوا همي أنا سأتصرف.

كل شيء جاهز

اتصل الإخوة من دار السلام وقالوا كل شيء جاهز وهـــم ينتظـــرون إذن التحـــرك .... وقمـــت بالســـؤال عن كل شيء [33].

ما هي الحالة النفسية للأخ أحمد عبدالله؟

قالوا: في السماء.

حال السيارة بعد تركيب العبوة؟

أفضل من سيارة نيروبي.

معرفة الأخ أحمد بالطريق؟

قالوا ذهب فيه عدة مرات بالسيارة فارغة.

الأخ الذي سيرافقه في البيت إلى يوم التنفيذ؟

قالوا: موجود وعنده كل التعليمات.

القنبلة اليدوية؟

عنده قنبلتين هجوميتين.

المسدس؟

موجود وممتلئ.

الأموال؟

[33] – بشفرة متعارفة بيننا.

عنده 600 دولار احتياطا ستذهب معه في العملية.

قلت: مش خسارة في الأمريكان.

جواز سفره؟

عنده لأيّ أمر طارئ.

في الحقيقة كانت الأمور كلها جاهزة انتظارا لساعة الصفر.

الجميع في مومباسا

تحرك الأخ مصطفى مع أسرته برفقة الأخ سويدان، وبمجرد وصوله إلى مومباسا جعل أهله في بيت أهلها وجاءني على الفور .... تحدثنا كثيرا ونحن نشرب الشاي، وكان عند الأخ مصطفى كثير من الملاحظات الأمنية خلال فترة عمله في تنزانيا، وكانت تمثل له كابوسا ثقيلا، فمع توجيهاته الأمنية التي لا تكاد تتوقف يوميا، إلا أنه كان يرى تقصيراً من جانب بعض الإخوة.

فعلى سبيل المثال: المسدس

فقد طلب مني الأخ أحمد عبد الله أن يكون معه مسدس أثناء توجهه للعملية، وذلك قبل سفره لتنزانيا ووعدته بتلبية طلبه، وطلبت من الأخ فهد توفير مسدس لأحمد.

فقال: موجود.

وعندما اقترب موعد العملية أرسل الأخ فهد المسدس مع أحد الإخوة العاملين معنا ضمن الفريق .... وهذا الأخ لم يسافر من قبل إلى أفغانستان، ولم يحصل على أيّ دورات عسكرية أو حتى أمنية .... فكان يتعامل مع هذه الحالات ببساطة وبدون تعقيد .... فوضع المسدس تحت القميص وجاء به يمشي إلى البيت حيث الأخ مصطفى والإخوة.

فقال له مصطفى: فين المسدس؟

فأخرجه من تحت القميص وألقاه في الهواء للأخ مصطفى.

وقال: تفضل.

فصرخ في وجهه ... أنت مجنون ... أنت مجنون.

قال: نعم .[34]

الأمور بسيطة.

كان هذا الأمر يعتبر كارثة بالنسبة للأخ مصطفى.

قلتُ له ضاحكا: معلش ... عدّتْ على خير.

القنابل اليدوية

كانت قصتها تتطابق تقريبا مع قصة المسدس، فنفس الأخ هو الذي حملها وألقاها للأخ مصطفى وسط صياح وصراخ الأخ مصطفى، في مقابل هدوء غير طبيعي من الأخ .... مع ابتسامة تعجب!

وذكر لي أموراً أخرى، وقال لن أعمل مرة ثانية في المدن .... هؤلاء مجانين!

كنت أحاول أن أقلل من هذا الانفعال، مع ملاطفة للأخ الحبيب مصطفى -رحمه الله- خاصة وأن الأمور عدّت وخلاص.

وبعد أن انتهى من بث همومه، انتقل الكلام لي وقلت له كل شيء جاهز، وإذا أحببت أن تسافر اليوم فنحن جاهزون أن تتحرك أنت وشيخ سويدان وشعيب إلى نيروبي، وإلا فغداً إن شاء الله.

قال أنا جاهز وسأذهب الآن لشيخ سويدان لمعرفة جهوزيته، وكان الأخ شعيب جاهزاً فقد كان منتظراً للسفر في أيّ وقت.

جاءني بعد ساعة! وأخبرني برغبة الجميع في السفر الليلة، فقمنا بحجز تذاكر الحافلة، وتحركت بهم الحافلة في نفس الليلة إلى نيروبي، حيث استقلوا الطائرة المتوجهة إلى باكستان مرورا بالخليج.

---

34 - كنت مُعجبا جدا بهدوء هذا الأخ وتصرفه الفطري، وطلبت من الإخوة في أفغانستان عدم إعطائه أي دورة أمنية حتى يبقى على عفويته الرائعة.

كان الأخ المهاجر قد وصل أيضا إلى مومباسا بصحبة الأخ فهد، وأخبرني بتفصيل العُبوة، وأنه تم عمل اللازم وزيادة.

لقد بذل هو وجميع الإخوة مجهوداً جباراً في فترة وجيزة جداً، وأنجزوا ما لا يمكن انجازه في ضعف هذه الفترة .... فقد كانوا يعملون بالليل والنهار، تحت ظروف أمنية غاية في الصعوبة، وقد كانوا يشعرون بمعية الله لهم في كل لحظة، وكانت ألسنتهم تلهج بالدعاء بالليل والنهار....**وفي الحقيقة بذلَ الجميعُ أكثر مما بذلتُ، وكانوا على قدر المسؤولية، والتزموا خلال عام كامل بالسمع والطاعة، رغم ضغوط العمل الشديدة التي كانت تواجههم .... لقد استفدتُ منهم أكثر مما استفادوا مني.... هذه حقيقة أحببتُ أن أسجلها للتاريخ الجهادي.**

إخبار القيادة بطبيعة العملية

فحتى هذه اللحظة لم نكن أخبرنا القيادة في أفغانستان بطبيعة العملية كاملة، باستثناء بعض التلميحات في الرسائل .... فطبيعة عملنا في تنظيم القاعدة .... وضع الخطوط العريضة للعمل، ثم نترك الفرصة كاملة للأخ للعمل وَفْق هذه الخطوط .... وهذا يُعطي مرونة كبيرة لسير العمل.

طلبت من الأخ سويدان أن يُخبر الشيخ أسامة، والشيخ أبا حفص الكومندان، بطبيعة العمليات مع شرح طريقة التنفيذ كاملة، وأن الموعد لن يتعدى أسبوعا –بإذن الله تعالى– على أن يكون هذا الأمر سراً حتى على الإخوة المسافرين معه، فقد كان الأخ مصطفى لا يعلم أيّ شيء عن عملية نيروبي .... والأخ شعيب لا يعلم أيّ شيء عن العمليتين .... فالمعرفة على قدر الحاجة .... هذه هي القاعدة التي عملنا بها من أول يوم[35].

[35] – كثير من العمليات اليوم تفشل، ويُقبض على أفرادها، بسبب الثرثرة على الوات ساب، أو التلجرام، وغيرهما، وبعض المسؤولين– وللأسف الشديد– لا يلتفت إلى هذا الأمر الخطير، طالما أنه بخير!!! وهذا في تقديري خيانة للأمانة، وتفريط في أصل العمل، والعجيب أن العدو يُصرح بأنه استطاع إفشال العديد من العمليات عن طريق مراقبة طُرق التواصل، واستطاع القبض على الكثير من العناصر لنفس السبب، ومازال البعض يستخف بهذا الأمر، ويعتبر مبادرته بالمعلومة"سَبْق صحفي"!!!.

وداعا مومباسا

بعد سفر الإخوة مباشرة إلى نيروبي، وفي اليوم التالي ودّعت جميع الجيران الطيبين فقد كانت تربطني بهم علاقة حميمة وقدموا لي خدمات لا أنساها، مع عدم علمهم التام بطبيعة عملي، لقد كانوا أناسا طيبين خدموا هذا الدين، ودعموا هذا الجهاد، وساهموا في إتمام العمل -بعد فضل الله- دون أي علم لهم بطبيعة عملنا.

هؤلاء هم عوام المسلمين الذين تعاملت معهم في افريقيا، إذا أحسنت معاملتهم، وتواضعت لهم، بذلوا لك كل ما يستطيعون .... لقد كانت الدموع تذرف من أعينهم وأنا أودعهم، وكنت أجد نفس الشعور نحوهم وزيادة.

قمتُ بتوزيع كل أغراض البيت عليهم وأعطيت "كنجه" " kingh "[36] أكثر ملابسي بعد غسلها وكيها، وهو في حالة دهشة وذهول من هذه المعاملة الحسنة [37].... ومع أنه كان نصرانيا، إلا أنه بكى عند وداعي.

وحسن المعاملة والإحسان إلى غير المسلمين غير مُتعلق بمسألة الولاء والبراء، وليست من الموالاة المنهي عنها، قال تعالى: "لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة 8.

ثم إن البر، والصلة، والإحسان، لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" المجادلة 22 .

---

[36] – كان يعمل خادما في أحد البيوت المجاورة لسكني، وكانت تربطني به علاقة جوار طيبة، فقد كنت أحسن معاملته، وأعطف عليه، وكان يبادلني نفس الشعور، ولن أبالغ إذا قلت بأن خدماته الكبيرة لي تجعله أحد أعضاء الفريق، وإن كان لا يعلم أي شيء عن طبيعة عملنا.

[37] – إفريقيا بحاجة إلى دعاة مخلصين لدعوة الناس إلى الإسلام، وتقديمه لهم بصورته الصحيحة، قولا، وعملا.

وقد أجاز الإسلام الإهداء إلى الكافر، كما في حديث أسماء بنت أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهما قالت: "قدمَتْ عليّ أمّي وهي مُشركةٌ في عهدِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلّم، فاستَفْتيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلّم قلتُ: إنّ أمّي قَدِمَت وهيَ راغِبةٌ، أفأَصِلُ أمي؟ قال: نعم، صِلي أُمّكِ" [38] البخاري.

عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما قال: " رَأى عمرُ حُلّةً على رجل تُباعُ، فقال للنّبيِّ صلى الله عليه وسلّم: ابْتَعْ هذه الحلّةَ تلبَسُها يومَ الجمعةِ وإذا جاءكَ الوَفدُ، فقال: إنّما يَلبَسُ هذهِ مَن لا خلاقَ لهُ في الآخرة، فأُتيَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلّم منها بحُلَلٍ، فأرسلَ إلى عمرَ منها بحُلّةٍ، فقال عمرُ: كيف ألبَسُها وقد قلتَ فيها ما قُلتَ ؟ قال: إني لم أكسُكَها لتَلْبَسَها، تبيعُها أو تَكسوها. فأرسلَ بها عمرُ إلى أخٍ لهُ من أهلِ مكةَ قبلَ أن يُسْلم" البخاري

وأجاز الشارع قبول هدية الكافر، وقد قبل النبي هدية المقوقس التي أرسلها له، وكان من بينها مارية القبطية التي تسرى بها النبي صلى الله عليه وسلّم ،وأنجب منها ولده إبراهيم.

أهدَى مَلِكُ أيلَةَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلّم بَغلَةً بَيضاءَ، وكَساهُ بُرْداً، وكَتَبَ إليه ببحرِهم"البخاري.

عن أنَسِ بنِ مالِكٍ رضيَ اللهُ عنه: "أنّ يَهوديّةً أتَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلّم بشاةٍ مَسمومَةٍ فأكَلَ منها، فقيل: ألا نقتُلُها؟ قال: لا، فما زِلتُ أعرِفُها في لَهَواتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم". البخاري

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهما قال: "كُنّا معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلّم ثلاثينَ ومائةً، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: هل معَ أحدٍ منكُم طعامٌ ؟ فإذا مع رجُلٍ صاعٌ من طعامٍ أو نَحوُه، فعُجِنَ، ثمّ جاءَ رجُلٌ مُشرِكٌ مُشْعانٌ طَويلٌ بغنمٍ يسوقُها، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلّم: بَيعاً أم عَطيّةً؟ أو قال: أم هِبَةً؟ [39]

وقول النبي للأعرابي بيعا أم عطية فيه دلالة على قبول هدية المشرك.

قال ابن حجر: وفي هذا الحديث قبول هدية المشرك لأنه سأله هل يبيع أو يهدي؟

[38] – بوب البخاري رحمه الله " باب الهدية للمشركين ".

[39] – بوب البخاري " باب قبول الهدية من المشركين" .

وعند مسلم عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه أَنّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ ثَوْبَ حَرِيرٍ، فَأَعْطَاهُ عَلِيًّا، فَقَالَ "شَقِّقْهُ خُمُراً بَيْنَ الْفَوَاطِمِ".[40]

ذهبتُ إلى صاحب شقتنا، وكان يسكن في نفس الحيّ، ودفعت له فاتورة الكهرباء، والماء، التي لم تأت بعد، وأنهيت معه كل إجراءات إخلاء البيت، وتصافحنا على أمل اللقاء مرة ثانية .... فقد كنّا من أفضل من سكن في بيته على حد قوله .... فكنت أذهب إليه قبل انتهاء الشهر لأسلمه الإيجار، ولم يكن بحاجة لأن يأتي إليّ لطلبه .... كنت أعامل الجميع معاملة طيبة وحسنة، وهذا ما يجب على المسلم فعله، ثم لأترك للمجاهدين سمعة طيبة في شرق افريقيا بعد أن يعرف الناس من نكون .... إن الإعلام الغربي والعربي يحرص على أن يُصور المجاهدين على أنهم أناس غلاظ شداد، قد نزع الله من قلوبهم الرحمة، إمعاناً في تشويه صورتهم، وتنفير الناس منهم، مع أن المجاهدين قد خرجوا من تلك المجتمعات، ويتصفون بأخلاق حميدة، وهم من أشد الناس رحمة ورأفة بأمة الإسلام، ومن أحرص الناس على قضايا الأمة، ويبذلون من أجل نصرة دينهم وقضاياهم النفس والنفيس، لا يبتغون إلا رضى الله سبحانه، سائلين ربهم في كل دعاء بأن يختم لهم بشهادة في سبيله، وقد نرى أخلاقاً غير محمودة عند البعض، وهذا أمر طبيعي، فالمجاهدون من جنس البشر، يصيبون ويخطؤون، يغضبون ويحلمون، يضحكون ويحزنون، والسعيد من يسارع في التوبة إلى الله عز وجل.

أشتهي سمكاً

قال لي الأخ عزام أشتهي سمكا، وذلك بعد أن قمنا بتوزيع أغراض البيت، ولم يبق شيء للطهي .... قلت له نأكل في أحسن مطعم إن شاء الله.

كان kingh "كِنْجَه"معنا وسألني باللغة السواحلية، ماذا يريد؟ قلت له سمك .... قال أنا أذهب وأشتري سمك وأطبخه سريعاً.

أعطيته قيمة السمك، وذهب واشترى السمك، وطبخه عند الجيران الطيبين، وأتى به مقليا .... وكانت آخر وجبة سمك في مومباسا.

---

40 – رواه مسلم . وقد أردت بيان هذه المسألة باختصار حتى لاتلتبس الصورة على القراء.

تركنا البيت وودعنا الجميع، وانتقلنا إلى أحد الفنادق انتظاراً لرحلة السفر إلى نيروبي في الليل.

كان الترتيب أن أذهب أنا وعزام والمهاجر، على أن يلحق بنا الأخ فهد وأحمد ومروان، واتفقنا أن نترل في فندق "هيلتوب" لإنهاء إجراءات الفيزا.

وفي اليوم التالي وصلنا نيروبي وأخذنا غرفة في نفس الفندق، وذهب عزام إلى بيت هارون، وطلبت من هارون أن يأتي في اليوم التالي لإنهاء إجراءات السفر للجميع.

ولحق بنا الإخوة على حسب الاتفاق، ونزلوا في نفس الفندق.

غرفة الوثائق

كنا قد أخذنا تذاكر السفر من أحد مكاتب مومباسا إلى باكستان مرورا بالخليج، وفي الفندق تم تجهيز جميع جوازات الإخوة، بوضع التأشيرات، والأختام اللازمة للفيزا، يقوم الأخ هارون بكتابة البيانات اللازمة لحسن خطه باللغة الإنجليزية، وأقوم أنا بوضع الأختام، مع إمضاء السفير، على كل التأشيرات.

ثم نقوم بتسليم الجواز إلى صاحبه دون أن يرى طريقة العمل، وهذا هو الأفضل، **لا تجعل صاحب الجواز ينظر إلى جوازه أثناء العمل، يكفي فقط أن يستلمه جاهزا، ولو جلس أثناء العمل لشك في كل حرف، وفي كل ختم، وفي كل إمضاء، وسيسلم نفسه لأول ضابط في المطار!**

ملحوظة:

بالنسبة لضابط الجوازات في المطار ليس لديه أيّ فرق بين امضاء السفير وامضائك، وبين أختام السفارة وأختامك، المهم أن تكون رابط الجأش، تتصرف بشكل طبيعي، بعد حسن التوكل على الله، ولا تلتفت لمن يقول بأن هذه فيزا حقيقية، وتلك مزورة، فمن الذي جعل كتابتهم وفيزهم حقيقية، وكتابتنا، وأختامنا، وفيزنا مزورة، هذه أوهام أوهموا بها الناس، وجعلوا من مُسمى التزوير جريمة وكبيرة من الكبائر التي يعاقب عليها القانون، الذي فصلوه على مقاسهم!.

اللمسات الأخيرة

ذهبت أنا والأخ المهاجر إلى بيت هارون حيث الأخوين عزام، والعوهلي، والشاحنة المحملة بالمتفجرات، لوضع آخر اللمسات للعملية.

كان كل شيء يدعو إلى التفاؤل، فالأمور تسير بسهولة ويسر، والعبوة في غاية الإتقان، والشاحنة جاهزة ويتم تشغيلها بشكل يومي، بالإضافة إلى معنويات الإخوة العالية، مع شيء من الروحانيات والإيمانيات المثالية، فما ظنك بأخوين مقبلين على الله، نحسب فيهما الإخلاص والإقدام .... لا يكادان يسمعان آية من كتاب الله إلا والدموع تنهمر منهما، خوفاً من الله، ورجاء عفوه ومغفرته.

نمنا هذه الليلة في بيت الأخ هارون مع الأخوين عزام، والعوهلي، وفي صلاة الفجر لم يتمالك الأخوان نفسيهما من البكاء، وارتفعت أصواتهما وخشيت من ارتفاع الصوت وسط هذا السكون الرهيب، فخففت في الصلاة، وبعد الصلاة جلسنا جلسة تذكير بفضل ما هما مقبلان عليه .... وذكرنا قصة الساحر والغلام .... وتطرق الحديث فيما بعد عن العملية وطريقة التنفيذ، وقد أخبرتهما بأنني سأتابع العملية من مكان آمن .... وكان رجاؤهما أن أسافر قبل العملية خشية أن يحدث لي مكروه!!

قلت لهم اطمئنوا .... لا تقلقوا فالأمور تسير بمقادير.

كان هذا يوم الخميس قبل موعد التنفيذ بيوم واحد، وكان سفرنا في عصر ذلك اليوم، ولكن لم يعلم الأخوان بموعد سفرنا، حتى تبقى المعنويات عالية.

نصيحة:

على القيادة أن تكون قريبة من عناصرها وأفرادها بشكل محسوس، فإن تعذر فبشكل معنوى، وهذا له أثر بالغ في نفوس الأفراد، وأثر إيجابي في نجاح العمل بعد توفيق الله سبحانه.

الأخ هارون سيرافق البطلين

كان من وصية الشيخ أسامة –رحمه الله– أن يبقى أحد الإخوة مع المنفذ خشية حدوث أيّ عارض، وحينها لن يستطع المنفذ التصرف بالشكل الصحيح، بسبب الحالة التي يكون عليها، فهو جاهز لضغط الزر فقط، وليس لأيّ عارض آخر، وقد تتوقف العملية في آخر لحظة بسبب عارض بسيط .... مع خطورة هذا الأمر من الناحية الأمنية.

فالقاعدة الأمنية تقول: بأن المنفذ هو آخر عنصر متبقي في أرض العملية.

وأنا أقول هذه القواعد من الناحية النظرية أفضل وأأمن، ولكن ليست هي الأحكم دائماً.

خرجنا من بيت الأخ هارون وتوجهنا للفندق لعمل استعدادت السفر، وكانت رحلتنا تضم الأخ المهاجر، وأحمد التنزاني، وذلك في عصر الخميس على متن الخطوط الكينية.

والرحلة الثانية كانت على الخطوط الباكستانية PIAبعد المغرب، وسيسافر عليها الأخوان فهد ومروان.

تركنا في كينيا الإخوة هارون، وعزام، والعوهلي، وبقي في دار السلام الأخ أحمد عبدالله، والأخ خلفان، على أن يغادر الأخ خلفان تنزانيا بعد العملية، متوجها إلى جنوب إفريقيا [41]، ومن ثم ترتيب أموره للمجيء لأفغانستان عبر باكستان.

قبل موعد الطائرة بساعتين غادرنا الفندق متجهين إلى مطار نيروبي الدولي، وهناك حدثت بعض المضايقات من أفراد الأمن، بغرض الحصول على المال لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

جاءني اثنان من رجال الأمن "طول بعرض" وطلبوا جواز سفري.

ناولتهم الجواز، وأخذوا حقائبي على جنب للتفتيش الخاص، وهذه إجراءات أعرفها منذ سنوات، فلي خبرة كبيرة بمطار نيروبي وموظفيه، فهناك الكلمة الأولى والأخيرة للدولار!

قالوا ماذا في حقيبتك؟ فرددتُ عليهم باللغة السواحلية .... هذه بعض الهدايا لزوجتي وبناتي.

عندما تحدثت معهم بالسواحلية ابتسما، وذهب العبس المصطنع من وجههما، و لم يفتحا الحقيبة.

قالوا: ونحن نريد هدية ال week end وكانت الدولارات عندي جاهزة، فأعطيتهم عشرون دولارا فأخذوا جواز السفر، ووضعوا عليه ختم المغادرة، وودعاني بلطف وابتسامة.

التقيت بالأخوين أحمد والمهاجر في صالة الانتظار، والحمد لله لم يتعرضا لهذا الموقف، وبعد قليل فُتح الباب وتوجه الجميع للطائرة.

---

[41] – كانت هذه رغبة الأخ خلفان فقد طلب الذهاب لجنوب افريقيا لعمل أوراق جديدة ومن ثم يلتحق بنا في أفغانستان.

تأتي الرياح بما لايشتهي السفن [42]

كانت الأمور تسير بشكل طبيعي، فقد أقلعت الطائرة في موعدها المحدد، ولكن بعد عشرة دقائق شعرنا باهتزاز كبير في الطائرة وكأننا على الخطوط الأفغانية "آريانا" أو الخطوط الداخلية الإيرانية، أو الباكستانية! وأعلن كابتن الطائرة بوجود عُطل فنيّ في جهاز الضغط، وأننا سنضطر للعودة لمطار نيروبي الدولي لإصلاحه.

بالنسبة للركاب لم يتغير شيء، ولكن بالنسبة لنا تغير كل شيء!

رجعنا للمطار، وأعلنوا أن إصلاح العُطل سيتطلب ثلاث ساعات، وبعدها إمّا أن تواصل الطائرة رحلتها، أو تتأخر لليوم التالي.

نصيحة:

على القيادة أن تتصرف بهدوء في مثل هذه المواقف دون أيّ انفعالات أو اضطرابات، وهذا يساعد كثيراً على اتخاذ القرار الصحيح، فالحرب بحاجة إلى هدوء ورزانة على خلاف من يعتقد غير ذلك، ولا تلتفت إلى انفعالات القادة الأمريكان فهؤلاء حمقى، أصحاب حانات.

أرسلت الأخ أحمد على الفور إلى مكتب الخطوط الباكستانية ليسأل عن إمكانية الحجز عليها، وكان الجواب نعم .... توجد أماكن خالية على الطائرة.

كان الخبر سعيداً بالنسبة لنا، فقد كنّا نحمل أموالا احتياطية لأي عارض في السفر، وكان كل أخ يسافر أُعطيه مبلغ 600 دولار احتياطي، لتفادي أي مشكلة عارضة في السفر.

اتصلتُ من المطار بالأخ هارون، ردت عليّ الأخت الكريمة أم لقمان، وقالت أبو لقمان خرج.

---

42 _

أصل هذا الشطر من شعر للمتنبي:

ما كُلُّ ما يَتَمَنّى المَرءُ يُدرِكُهُ   تَجري الرِياحُ بِما لا تَشتَهي السُفُنُ

قلت لها الطائرة حدث بها عُطل فنيّ، واحتمال نتأخر في السفر، ولكن أخبري هارون بأن طعام السمك لابد أن يرسله في موعده.

قالت: سوف أخبره بمجرد عودته، وهي في الحقيقة لا تعرف شيئاً عن طبيعة عملنا، إلا بما أخبرها به زوجها بأننا نعمل في صيد السمك... وتنظيم القاعدة لا يوجد بين صفوفه تنظيم نسائي، كما يحلو لبعض المحللين أن يتكلموا به على شاشات التلفاز!!.

قالت: اتصل بنا قبل قليل الأخ أبو طلال وطلب عنوان البيت.

وماذا قلت له؟

قالت: قلت له أنا أتيت منذ أيام ولا أعرف العنوان.

قلت: من أين أخذ رقم الهاتف؟

قالت: أظن من اسكندر!

قلت لها: إذا اتصل مرة ثانية لا تخبريه بالعنوان، وأخبري هارون بألا يقابله، ولا يفتح معه أي علاقة.

قالت: هارون نبهني من قبل.

قلت لها: خلي هارون يتصل بدار السلام.

قالت: سوف أفعل.

أقفلتُ الخط، ورجعت إلى الأخوين فقالوا: ما العمل؟

قلت لهم أكدّتُ على أن تسير الأمور على حسب ما رتبنا لها، وفي موعدها المحدد دون أيّ تأخير.

قالوا: وإذا لم نسافر؟!

قلت سنتوجه جميعا الليلة إلى مومباسا، وفي الصباح سنسافر إلى الصومال، وكل شيء مُرتب بإذن الله.

لم تمض إلا ساعتان حتى أعلنوا بأن العُطل قد تم إصلاحه، وأن الطائرة ستُقلع بعد نصف ساعة من الآن....حمدنا الله -سبحانه وتعالى- وتوجهنا إلى الطائرة التي حلّقت بنا من جديد حتى نزلت في

مطار دبي، و لم نترل من الطائرة فقد كان الترانزيت داخـــل الطـــائرة، ومـــا هـــي إلا ســـاعة حـــتى كانـــت الطائرة قد امتلأت بالوجوه الباكستانية الطيبـــة .... فالشـــعب الباكســـتاني شـــعب طيـــب متـــدين، يحـــب العرب ويُكنّ لهم احتراماً خاصا، فهم في نظره أحفاد أصحاب رســـول الله صـــلى الله عليـــه وآلـــه وســـلم، ونحن تربطنا بالشعب الباكستاني علاقة حميمة، فقد وقفوا مـــع المجاهـــدين مواقـــف مُشـــرفة أبـــان الجهـــاد ضد السوفييت، وأيام الإمارة الإسلامية، وهو شعب متدين يحـــب المجاهـــدين، علـــى النقـــيض تمامـــا مـــن حكوماته المتتابعة، والتي لا تألوا جهداً في محاربة الإسلام والمسلمين!

أقلعتْ الطائرة ووصلنا إلى كراتشي في ساعة متأخرة من الليـــل، وأنهينـــا إجـــراءات المطـــار بســـرعة بـــنفس طريقة كينيا، فمطار باكستان به من الفساد الإداري والمرتشين ما لا يقـــل ســـوءاً عـــن مطـــار نـــيروبي .... لم نجد أحد في استقبالنا، فقد رجع الإخوة بعد أن تأخرت الطائرة ظنا منهم أن الرحلة قد تأجلت.

موقف طريف لا يُنسى

ركبنا تاكسي من أمام المطار وطلبنا منه أن يوصلنا إلى أحد الفنادق، وانطلـــق التاكســـي يشـــق طريقـــه نحـــو وسط المدينة، كنت أجلس في الكرسي الخلفي، وكان هناك صوت مـــزعج يصـــدر مـــن خلفـــي مباشـــرة، وتنبعث منه رائحة كريهة، فمددت يدي نحو الصوت، فوجدت مقـــبض، فأدرتـــه، فتوقـــف الصـــوت، ومـــا هي إلا لحظات حتى توقف التاكسي فجأة .... نزل سائق التاكسي من الســـيارة وفـــتح الكبـــوت وحـــاول جاهداً معرفة العُطل ولكن دون جدوى، وكنا هذه المرة أكثر اطمئنانـــا فالعطـــل لـــيس في الطـــائرة، وكنـــا نتبادل الحديث والرجل يدور حول التاكسي، لا يدري من أين العطل؟ ومـــا هـــذا العطـــل المفـــاجئ الـــذي أوقف التاكسي كأنه جثة هامدة لا تتحرك، وبعد قليل جاء ونظـــر في العـــداد فـــإذا مؤشـــر الغـــاز الـــذي تعمل به السيارة متوقف! وحينها تبين له العطل، فجـــاء مـــن خلفـــي وأدار المقـــبض مـــرة أخـــرى، وبـــدء الصوت الذي كنت أسمعه يعود مرة أخرى، وانبعثت الرائحـــة الكريهـــة مـــن جديـــد، وانطلـــق التاكســـي مسرعاً، وسط ضحكات الجميع من هذا الموقف الطريـــف .... واكتشـــف الجميـــع بـــأنني الســـبب هـــذه المرة، مع أنني لم يكن لي أي يد في عُطل الطائرة.

قلت لهم: معلش أول مرة أركب تاكسي بأنبوبة !!

الوصول للفندق

كان الوقت مُتأخراً ويبدو على الجميع الإرهاق، فنمنا نوما عميقاً، وبعد صلاة الفجر نمنا مرة أخرى لمدة ساعتين تقريبا، وبعدها نزلت إلى الشارع واتصلت بالأخ بدر الباكستاني -رحمه الله- فلم أرغب بالاتصال من الفندق لاعتبارات أمنية .... ولم تمر ساعة من الوقت حتى كنّا خارج الفندق متوجهين إلى بيت الأخ الكريم بدر.

نزلنا في ضيافة كريمة كما هي عادة الشعب الباكستاني الكريم.

قلت للأخ بدر هل عندكم دِش "ستلايت".

قال: نعم.

قلت له أريد مشاهدة الأخبار.

قال حالاً إن شاء الله.

انتقلنا إلى غرفة مجاورة وكان بها جهاز تليفزيون كبير، وجلسنا نستمع للأخبار، وكنت في حالة قلق شديد خشية أن يحدث أيّ شيء وتتأجل العملية، أو تفشل لا قدر الله.

طلبت من الأخ بدر النزول لعمل اتصال مهم، وذهبنا إلى أحد التليفونات واتصلت بالأخ هارون، ولكن لم يرد، فقد كان فصل هاتفه حتى لا يتصل به أبو طلال.

اتصلتُ ببيت اسكندر فردت عليّ إحدى الأخوات، سألتها باللغة السواحلية عن هارون؟ قالت رأيناه في الصباح، وكان مشغولاً في تسفير أهله وعمه.

قلت لها: من فضلك أخبري هارون بأن صالح اتصل ويريد أن يطمئن عليه.

أغلقتُ الخط، وقد زاد قلقي بشكل كبير، مع أنني كنت على ثقة بالله بأن العملية ستنجح .... ولكنها الطبيعة البشرية.

كانت أصوات المساجد تصلنا من كل جهة، فالوقت كان صلاة الجمعة، والناس في المساجد، والآن ساعة إجابة، وأخذنا في الدعاء، وألححنا على الله، وما أن انقضت صلاة الجمعة حتى جاء الخبر الأول في CNN بأن هناك تفجير على السفارة الأمريكية في نيروبي.

وكم كانت سعادتنا وفرحتنا بهذا الخبر، مع حزن على الأخوين عزام، والعوهلي، وسرعان ما زال هذا الحزن ببعض الكلمات الطيبة التي ذكرتنا بأنهم شهداء عند ربهم -نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً-.

سجدنا شكراً لله على توفيقه، ودعونا الله بالتوفيق لأخينا أحمد عبدالله .... وما هي إلا دقائق حتى جاء الخبر الثاني، بتفجير السفارة الأمريكية في تنزانيا، فسجدنا شكراً لله سبحانه وتعالى.

كان الأخ بدر قد نزل لشراء بعض الأمور، وعندما رجع قلت له: الآن سنذهب لمحطة الحافلات للسفر فوراً، وكان لا يعرف أيّ شيء عن الموضوع.

قال: الغداء جاهز.

تناولنا الغداء ونزلنا فوراً باتجاه المحطة.

قلت للأخ بدر بلّغ جميع الإخوة مغادرة باكستان فوراً والتوجه إلى أفغانستان.

قال: ما الأمر؟

قلت: ستعرف هناك إن شاء الله.

قال: سأستأذن الأمير هنا.

قلت له: أنا الأمير.

قال: سأخبر الجميع بالأمر.

وفي المحطة التقينا بالأخ فهد، وكنا قد سمعنا بأن الأخ مروان قد شَكّوا في جواز سفره وقرروا عودته إلى كينيا، وكان هناك أحد الإخوة يتابع موضوعه، وقلنا له ادفع أيّ مبلغ المهم ألا يرجع إلى كينيا.

ركبنا الحافلة المتوجهة إلى كويتا، وجلس بجواري أحد الإخوة المصـــريين وكـــان قـــد وصـــل مـــن تـــوه إلى كراتشي قادما من أفغانستان، وكانت لي به معرفة قديمة، وجـــاءه الأمـــر بـــالعودة إلى أفغانســـتان، وســـألني هل تدري لماذا هذا القرار بالرجوع؟

قلت له: لعله حدث أمر، والإخوة أَدْرى بقرارهم.

كان يستمع إلى الأخبار أثناء الطريق، ورأيته يستمع باهتمام بالغ.

قال لي حدث تفجير في سفارتي أمريكا في كينيا، وتنزانيا.

قلت له: متى؟

قال: اليوم.

قلت: هذا عمل جيد، ويصب في صالح المجاهدين إن شاء الله.

قال: بالطبع ولكن يمكن أن يؤخر سفري.

قلت: أين كنت ذاهب؟

قال إلى تركيا.

قلت: من تبنى العملية؟

قال: إلى الآن لم يتبن أحد.

وأخذنا نتبادل أطراف الحديث حتى أخذتني عيني وذهبت في نوم عميق.

مضافة طالبان

وصلنا إلى كويتا ونزلنا في إحدى مضـــافات طالبـــان، وهنـــاك يتجمـــع الطلبـــة بأعـــداد كبـــيرة، ومـــن ثم يأخذون الحافلات التي تُقلهم إلى قندهار.... وكنّا ضمن واحدة من هذه الحافلات الـــتي ســـارت بنـــا حـــتى وصلنا مقابل مطار قندهار، وكانت بيوتنا هناك، فنزلنا أمام المطـــار وطلبنـــا مـــن الإخـــوة طالبـــان-حراســـة المطارـــ توصيلنا إلى البيوت التي تبعد عدة كيلومترات عن بوابـــة المطـــار، وعنـــد بوابـــة المجمـــع الســـكني

التقيت بالأخ أبي جندل اليمني، وبعض الإخوة الذين كانوا يقيمون في مجمع المطار للحراسة، وأبلغوني بأنه تم تفريغ المجمع منذ أكثر من أسبوع، وأن جميع الأسر في المدينة.

بعد قليل جاء الشيخ سعيد -رحمه الله- وأخذنا إلى مدينة قندهار، وتوجهنا إلى حيّ الريحان، حيث تسكن بعض الأسر هناك، وفي بيت الشيخ أبي الخير التقيت بالشيخ أسامة -رحمه الله- والشيخ أبي حفص الكومندان، والدكتور أيمن الظواهري .... جلسنا جلسة قصيرة كلها سلامات وتحيات وتهنئة بسلامة الوصول على أن نجلس فيما بعد جلسات عمل خاصة.

توجهت إلى بيتي للقاء أهلي وبناتي، ووجدت الجميع في خير حال، وسعداء بخبر قدومي بعد غيبة استمرت 11 شهر، ورأيت ولأول مرة ابنتي ميمونة -التي وُلدت وأنا في كينيا- وهي الابنة الرابعة لي بعد مريم وفاطمة وحفصة.

مروان والعوهلي

في اليوم التالي جاءنا الخبر من باكستان بأن الأخ مروان قد تم ترحيله إلى نيروبي بعد أن فشلت محاولات إدخاله إلى باكستان، ثم تبين لنا فيما بعد بأن إدارة المطار احتجزته ثلاثة أيام للتحقيق، ومن ثم تم تسليمه للحكومة الكينية التي سلمته على الفور للأمريكان، وأن الأخ العوهلي لم يُستشهد وأنه حيّ طليق، وقد جُرح جُرحا طفيفاً وذهب إلى الفندق الذي نزل به أول مرة، ولم يستطع الاتصال بهارون، فاتصل بباكستان وأخبرهم بمكان إقامته، ولكن كان رجال الأمن أسرع وصولا إليه من هارون .... فقد قامت حملة اعتقالات عشوائية لكل الأجانب، خاصة من الفنادق، حتى أن أبا طلال تم اعتقاله من أحد الفنادق ذات الخمس نجوم، ولكن أُفرج عنه بعد أن تدخلت الشركة الإيطالية المتعاقد معها.

قال لي الشيخ أسامة: ماذا تتوقع للذي حصل للعوهلي؟.

قلت: كل شيء ممكن إلا أن ينجو!!!!!

فقد كانت العُبوة عدّة أطنان من المتفجرات، وهي كافية لتبخير أي شخص قريب منها، ولم نضع في الحسبان أن ينجو أحداً من الأخوين على الإطلاق، لذلك لم نضع خُطة لذلك.

نصيحة للمجاهدين العاملين في المدن:

يجب وضع خطة انسحاب لكل فريق العمل قبل تنفيذ العملية، ولا يبقى في ساحة العمليات إلا من له ضرورة حسب الخطة المتفق عليه، وحتى عناصر التنفيذ الاستشهاديين يجب عمل خطة لهم على الرغم من صعوبة نجاتهم، وما حدث من نجاة الأخ العوهلي، وعدم وجود خطة مسبقة لخروجه، يُعَدُ من الأخطاء التي أعترف بها، وأتحمل مسؤوليتها كاملة.

ولكن أتوقع الآتي:

فقد كانت مهمة الأخ العوهلي فتح البوابة الخلفية الأولى للسفارة، ومن ثم التوجه عدة خطوات إلى الساحة الكبيرة لإبعاد كل الموجودين عن طريق تفجير قنبلة يدوية هجومية، وإطلاق بعض طلقات الرصاص من مسدسه في الهواء، وهذا في تقديرنا كان كافي لهروب كل الموجودين، وفي وقت قصير جداً، ومن ذهب إلى نيروبي يعرف مدى سرعة الناس في الهرب عندما تحدث عملية سطو في وسط النهار، وقد رأيت ذلك بنفسي عدّة مرات في وسط نيروبي.

ولكن يبدو أن الأخ العوهلي -فك الله أسره- قد ابتعد أكثر، فصار في زاوية ميتة فلم يتأثر بالانفجار، وجُرح كما جُرح بعض الناس، وغادر المكان كبقية المصابين وتوجه للفندق.

خلفان يغادر دار السلام

كان كل شيء جاهزا ، الجواز، وتذكرة السفر، فقط عليه التوجه إلى المطار لمغادرة البلاد، وبالفعل خرج متوجها إلى جنوب إفريقيا، حيث يوجد هناك بعض أبناء عمومته، ومن هناك سيتوجه إلى الباكستان .... مكث في جنوب إفريقيا عدّة أشهر لاستخراج جواز سفر باسم جديد، وقد نجح في ذلك بمساعدة بعض أقاربه، وقام بالحصول على فيزا لباكستان، وفي يوم سفره توجه للمطار، وهناك كانت عملية الغدر والخيانة من أحد أقاربه، فقد قام بالإبلاغ عنه طمعا في الجائزة التي وضعها الأمريكان، وتم القبض عليه، و لم يستلم ابن عمه الخائن أيّ شيء، فقد انتهى دوره بالنسبة للأمريكان، وتم خلعه من أرجلهم.

هارون يغادر نيروبي

وفي نيروبي كان الأخ هارون يتصرف بهدوء وثقة، فبعد التفجير رجـــع إلى البيـــت وتنـــاول الغـــداء، ثم قـــام بتنظيف المترل والذي استغرق منه يوما كاملا، وفي اليوم التـــالي أتـــى بأحـــد الحـــراس المجـــاورين وقـــاموا بغسل المترل بشكل كامل مرة أخرى حتى جدران البيت، وأعطى للحارس بعـــض مـــا تبقـــى مـــن أغـــراض البيت بعد سفر زوجته وعمه، وفي المساء ذهب إلى صـــاحبة البيـــت وأخبرهـــا برغبتـــه في الســـفر، وكـــان يبدو عليها بعض الحزن، فقد كان أحد أقارها ممن يحمل الجنسية الأمريكيـــة ويعمـــل بالســـفارة قـــد قُتـــل في التفجير.

وبعد حديث طويل عن عملية التفجير، قام الأخ هـــارون بتســـليمها مفتـــاح البيـــت، علـــى أن تـــرد مبلـــغ ال2000 دولار التأمين لاسكندر فيما بعد لأن البنوك كانت مُغلقة حينها.

وبعد يوم واحد من تسليم البيت تقريبا، كان هارون في جزر القمر، بـــين أهلـــه وأقاربـــه، ولم يكـــن يعلـــم بعد بأن الأخ مروان قد تم القبض عليه.

مادلين أولبرايت "ودموع التماسيح"

بعد العمليتين المباركتين في نيروبي ودار السلام خرجـــت علينـــا في الإعـــلام مـــادلين أولبرايـــت [43] تنعـــي قتلى السفارتين وهي تبكي وتذرف الدمع الكاذب.

ابكي فكم أبكيت من أطفال المسلمين؟

ابكي فكم أبكيت من أرامل غزة والقطاع ؟

ابكي فكم أبكيت من أرامل العراق ؟

ابكي فكم بكى أطفال البوسنة؟

---

43 – كانت مندوبة الولايات المتحدة الأمريكية الدائمـــة في الأمـــم المتحـــدة مـــن 1993 ــ 1997 ، وشـــغلت منصـــب وزيـــرة الخارجيـــة الأمريكية من 1997 ــ 2001 ، يهودية الأصل من أبوين يهوديين ، ثم تحولت عائلتهـــا للديانـــة النصـــرانية الكاثولكيـــة ، تُعـــد مـــن مجرمـــي الحرب في أمريكا، فعندما سئلت عن وفاة أكثر من نصف مليون طفل جراء الحصار الاقتصادي علـــى العـــراق أجابـــت: كـــان الـــثمن يســـتحق ذلك!!!.

ابكي فكم بكت نساء البوسنة؟

ابكي فهل كُتب علينا البكاء وحسب؟!

اصرخي فكم صرخ المظلومين.

قال تعالى: " قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "الآية 15/14 التوبة

تصريحات السفيرة الأمريكية في نيروبي

- لو كنت في مكتبي حين وقع الانفجار لأصبحت جزء من ركام مكتبي.[44]
- فقدتُ 150 من عائلتي، تقصد من قُتل في السفارة من الأمريكان.[45]
- صوت الانفجار كان يشبه الزلزال القوي.[46]

لقد كانت عملية مباركة بذل فيها الجميع من وقته وجهده وأعصابه، ورحل عنّا بعدها اثنان من أكارم المجاهدين، عزام المكي -رحمه الله-، وأحمد عبدالله المصري -رحمه الله- نسأل الله سبحانه أن يتقبلهم في الشهداء، وأن يرفع درجاتهم في عليين، وأن يلحقنا بهم شهداء، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مُضلة، في صبر واحتساب.

وأمّا الأخوان الكريمان العوهلي، ومروان الفلسطيني، اللذان وقعا في الأسر فنقول لهم أننا سنسعى لإخراجكم وإخراج كل أسير، فهذا واجب شرعي تُبذل في سبيل تحقيقه المهج والأموال ففي الحديث: "فكوا العاني وأطعموا الجائع وعودوا المريض" وسوف نستمر -بإذن الله- وإن طال الوقت حتى يتحقق هذا الأمر، ونقول لجميع إخواننا الأسرى اصبروا وصابروا وتيقنوا بفرج الله سبحانه، واعلموا أن ما أنتم فيه من ابتلاء، هو رفعة لكم كما أخبر بذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم: "مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ مِنْ خَطَايَاهُ " أحمد. وطريق الجهاد هو طريق مليء بالأشواك والابتلاءات، ولكن عاقبته خير قال تعالى: "

---

[44] – صحيفة nation الكينية، في اليوم التالي للعملية .

[45] – نفس المصدر.

[46] – نفس المصدر.

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" التوبة

هل قتال الكفار لكفرهم أم لحرابتهم [47]:

وهذه مسألة هامة وحساسة لما يترتب عليها من مسائل وتفريعات، فإذا كان قتال الكفار لكفرهم، فإنه يحل قتل كل كافر، إلا إذا كان هناك بينه وبين المسلمين عهد، وإذا كان قتالهم لحرابتهم، فلا يجوز قتالهم إلا تحت هذا الوصف.

ونقول: إن جمهور أهل العلم من الأحناف، والمالكية، والحنابلة، وغيرهم ذهبوا إلى أن قتال الكفار إنما هو لحرابتهم، وكونهم من أهل الحرب والقتال، واستدلوا على ذلك بنصوص صحيحة تمنع من قتل غير المحاربين منهم، فقد نهى الشارع عن قتل النساء، والصبيان، والشيوخ، والرهبان، أصحاب الصوامع والبيع، وكذلك المستضعفين منهم كالعسيف، والعبيد، وغيرهم من أهل الاستضعاف إلا إذا ظهر منهم إعانة قولية أو عملية، ففي الحديث أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم قال: "اغْزُوا باسْمِ الله، وفي سَبيلِ الله، وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله، اغْزُوا، وَلا تَغْدُرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلاَ تَقتُلُوا وَلِيداً. مسلم / أبوداود.

وإليك تفصيلهم كما ذكر الإمام القرطبي رحمه الله:

الأولى: النساء إن قاتلن قُتِلْن، لعموم قوله: " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ " البقرة/190 ،وللمرأة آثار عظيمة في القتال، منها الإمداد بالأموال، ومنها التحريض على القتال، ومنها المشاركة الفعلية في القتال، كما هو حاصل في جيوش الكفار اليوم، ومنها المشاركة بالرأي، والخبرة، فهذه تدخل في عموم النص.

الثانية: الصبيان فلا يُقتلون للنّهي الثابت عن قتل الذرّية، فإن قاتل (الصبيٌّ) قُتل.

47 - هذا البحث استفدته من بعض الأبحاث العلمية، مع زيادات مهمة أضفتها. ذكرت ذلك للأمانة العلمية.

الثالثة: الرُّهبان لا يُقتلون ولا يُسترقّون، بل يُترك لهم ما يعيشون به من أموالهم لقول أبي بكر رضى الله عنه "وستَجِد أقواماً زعموا أنهم حَبَسوا أنفسهم لله، فذرْهم وما زعموا أنهم حَبَسُوا أنفسهم له".

الرابعة: الزَّمْنَى لا يُقتلون ويُنظر في أحوالهم فإن كانت فيهم إذاية قُتلوا وإلا تُركوا.

الخامسة: الشيوخ قال مالك لا يُقتلون والذي عليه جمهور الفقهاء: إن كان شيخاً كبيراً هرِماً لا يُطيق القتال، ولا يُنتفع به في رأيٍ ولا مدافعة، فإنه لا يُقتل.

السادسة: العُسَفاء وهم الأُجراء والفلاّحون، فقال مالك لا يُقتلون لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "الحقْ بخالد بن الوليد فلا يقتلنّ ذرّية ولا عَسيفاً".

وقال عمر بن الخطاب: اتقوا الله في الذرّية والفلاّحين الذين لا يَنْصُبون لكم الحرب.

وكان عمر بن عبد العزيز لا يَقتل حرّاثاً.

أما المرتدّون فليس إلا القتل، أو التّوبة.

ومما استدل به الجمهور على أن قتال الكفار لحرابتهم، أن أهل الذمة، وأصحاب العهود، والأمان، لا يقاتلون لأنهم داخلون تحت وصف آخر، مع أن صفة الكفر ملازمة لهم قبل العهد وبعده.

وقد ذهب شيخ الاسلام إلى ترجيح رأي جمهور العلماء، فيقول رحمه الله:

وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان، والراهب والشيخ الكبير، والأعمى، والزمن، ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله، وإن كان بعضهم يرى إباحة قتل الجميع لمجرد الكفر إلا النساء والصبيان لكونهم مالاً للمسلمين، والأول هو الصواب لأن القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهار دين الله كما قال الله تعالى: "وقاتلوا فِي سَبِيلِ اللّهِ الّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" البقرة: 190

وفي السنن عنه صلى الله عليه وآله وسلّم: أنه مر على امرأة مقتولة في بعض مغازيه قد وقف عليها الناس فقال: "مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتِلَ" قَالَ الراوي: وَعَلَى الْمُقَدِّمَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ رَجُلًا فَقَالَ: "قُلْ لِخَالِدٍ لَا يَقْتُلَنَّ امْرَأَةً وَلَا عَسِيفًا"أحمد/أبو داود.

ويستدل على رأيه بعموم قوله تعالى: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"البقرة/256. فلو كان القتال لوصف الكفر لكان في ذلك إكراه على الإسلام.

ويرد على من يقول بأن هذه الآية منسوخة ويقول: جمهور السلف على أنها ليست مخصوصة ولا منسوخة.

وقد أسر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمامة بن أثال وهو مُشرك، ثم منّ عليه، ولم يكرهه على الإسلام، حتى أسلم من تلقاء نفسه، وكذلك فعل مع أسارى بدر.

وقد ذهب الشافعي وابن حزم -رحمهما الله- إلى أن نفس الكفر هو المبيح للدم، إلا النساء، والصبيان لكونهم مالاً للمسلمين.

ومن خلال توصيف واقع المسلمين اليوم نرى بأن جهاد الكفار اليوم هو جهاد دفع، فهم معتدون علينا بالقتل، والقتال، واحتلال بلاد المسلمين، ومقدساتهم، ونهب ثروات أمتنا المسلمة، فاجتمع في ذلك العدو وصفان: الكفر والعدوان، وبذلك يكون جهادهم جهاداً عينياً، ودفعهم واجب باتفاق أهل العلم، فلا يُشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان.

وواقع بلاد المسلمين اليوم بأنها محتلة من قِبل الصليبيين والصهاينة بشكل مباشر، أو من قِبل حكام بدلوا الشرع، وجعلوا كلمة الكفر هي العليا، فخرجوا من الإسلام من باب واسع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو كافر"[48].انتهى.ويقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله:" ومن لم يحكم بما أنزل الله، معارضة للرسل وإبطالاً لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة"[49].انتهى.

فهل وجب الجهاد؟ أم أن الصورة ما زالت غامضة يا علماء الأمة!!!.

---

[48] – الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

[49] – أضواء البيان. عند تفسير قول الله سبحانه"إنا أنزلنا التوراة فيها ....الآية.

مسألة: هل الجهاد في الإسلام مقصور على دفع العدوان؟

مما سبق من نقول شيخ الإسلام -رحمه الله- قد يتوهم البعض بأن الجهاد في الإسلام إنما شُرع للدفاع عن النفس في حالة الاعتداء علينا، وهو ما يُسمى "بجهاد الدفع" وأنه ليس في الإسلام ما يُسمى" بجهاد الطلب" وهذا الكلام يحتاج إلى بيان، فنقول وبالله التوفيق:

- إن كلام العلماء السابق من الفريقين ليس مقصوده هذا الباب، وإنما مقصوده بيان من يجوز قتالهم وقتلهم في حال الحرب، ومن لا يجوز قتالهم وقتلهم ، فذهب الشافعية والظاهرية إلى جواز قتل الكافر لكفره، سواء كان من الرهبان، أو الشيوخ، أو الضعفاء، ولا يستثنون من هذا التعميم إلا النساء، والصبيان، لاعتبارهم من الأموال في حال الاستحواذ عليهم، وقالوا بأن الله سبحانه قد علق حكم القتل على كونهم مُشركين، قال تعالى: "فاقتلوا المشركين" وعليه فيجوز قتل كل مُشرك، كما تحرم ذبيحته، ومناكحته، لمجرد الشرك، وكما يجب قتل كل من بدل دينه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "من بدل دينه فاقتلوه" فَعِلّةُ القتل الكفر بعد الإيمان.
- أن العلماء رحمهم الله مُتفقون على وجوب قتال الكفار دفعاً وطلباً، وفي الحديث "اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله" والغزو يشمل جهاد الدفع، وجهاد الطلب، ومعلوم أن أصل الجهاد ومقصوده إنما شُرع لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله ففي الحديث " مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كلمةُ اللّهِ هي العُلْيا فهوَ في سَبيلِ اللّهِ عزّ وجلّ". البخاري ومسلم

وهذا ما فهمه جمهور العلماء، ووافقهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فيقول في مجموع الفتاوى: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة، كالنساء والصبيان، والراهب والشيخ الكبير، والأعمى، والزمن، ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء، إلا أن يقاتل بقوله أو فعله".

ويقول:" **لأن القتال هو لمن يقاتلنا، إذا أردنا إظهار دين الله**".

ومن مُقتضيات إظهار دين الله في الأرض، طلب العدو في عُقر داره، وهذا يدخل فيه "جهاد الطلب" أصالة، ولما فهم الصحابة الكرام ذلك انساحوا في الأرض لتحقيق ذلك المقتضى، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإذا كان هناك قتال وممانعة، كان القتال لمن يحول بينهم وبين إظهار دين الله، ففتح الله على أيديهم البلاد والأمصار، وفتح لهم قلوب العباد فدخل الناس في دين الله أفواجا.

ويقول شيخ الإسلام في حكم المقدور عليهم من الكفار: "ولهذا أوجبت الشريعة قتال الكفار، و لم توجب قتل المقدور عليهم منهم، بل إذا أسر الرجل منهم في القتال، أو غير القتال، مثل أن تلقيه السفينة إلينا، أو يضل الطريق، أو يؤخذ بحيلة، فإنه يفعل فيه الإمام الأصلح من قتله، أو استعباده، أو المن عليه، أو مفاداته، بمال أو نفس عند أكثر الفقهاء، كما دل عليه الكتاب والسنة". مجموع الفتاوى.

- أن الاستثناء المذكور في الأدلة الشرعية، وأقوال العلماء، من عدم قتل الصبيان، والنساء، والرهبان، والضعفاء ونحوهم، هو من أقوى الأدلة على مشروعية جهاد الطلب، فهل الصبي، والضعيف والعسيف، والشيخ الكبير، والزمن، والأعمى، والراهب، إلا في بلادهم وموطنهم، فلو خرج هؤلاء للقتال لجاز قتلهم باتفاق المسلمين، فلمّا لم يخرجوا وقصدهم المسلمون في ديارهم - جهاد الطلب - كان هذا التوجيه النبويّ بعدم قتلهم، وهذا ما صار عليه الصحابة الكرام، كما في وصية أبي بكر رضى الله عنه لأمير جيش الشام يزيد ابن أبي سفيان: " **وستجدون أقواماً قد حبسوا أنفسهم في الصوامع، فذروهم وما حبسوا أنفسهم له** ".مجموع الفتاوى.
- أن مقصود الجهاد وغايته أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وهذا لا يتحقق إلا إذا قصدنا الكفار في ديارهم، وهذا ما فهمه الأوائل -رحمهم الله- ففتحوا البلاد والأمصار، وفي فترة وجيزة من عمر التاريخ لم تتجاوز التسعين عاما، امتدت رقعة الإسلام شرقا إلى الباكستان، والهند، حتى حدود الصين، وغربا حتى جنوب فرنسا.
- اتفاق العلماء على وجوب تطلب الكفار في عُقر دارهم وتخييرهم بين ثلاث خصال.... الإسلام .. الجزية .. القتال .. مع خلاف معروف في جواز قبول الجزية من غير أهل الكتاب والمجوس، فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إذا

بعث أميراً على سرية، أو جيش، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، وقال اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، فإذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكفّ عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، ثم ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين، وأعلمهم إنْ هم فعلوا ذلك أن لهم ما للمهاجرين، وأن عليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنّهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا، فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوا فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله ثم قاتلهم". أحمد

ويقول شيخ الإسلام في كتابه الصارم المسلوم:

لما نزلت سورة براءة أُمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبتدئ جميع الكفار بالقتال وَتَنِيِّهِم وكتابيهم سواء كفوا، أم لم يكفوا "، وهذا دليل ظاهر في جهاد الطلب.

ويقول في الجواب الصحيح:

ومعلوم أن ظهور الإسلام بالعلم والبيان، قبل ظهوره باليد والقتال، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث بمكة ثلاث عشرة سنة يظهر الإسلام بالعلم، والبيان، والآيات، والبراهين، فآمنت به المهاجرون والأنصار طوعا واختيارا بغير سيف لما بان لهم من الآيات البينات والبراهين والمعجزات، ثم أظهره بالسيف، فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداء ودفعا لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى.

فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك، ومنفعته قبل منفعته، ومعلوم أنه يحتاج كل وقت إلى السيف فكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف. انتهى

- قلتُ: لو أن الصحابة الكرام، والتابعين، وحملة راية الجهاد من بعدهم، فهمــوا هــذا الفهــم الســقيم لما تجاوزت دولة الإسلام الحرتين.

يقول الإمام الصنعاني رحمه الله:

لو كان غزوه صلى الله عليه وآله وسلم لدفع شر الكفــار، لا لأجــل الكفــر لم يخــرج مــن المدينــة في غزاة، ولا بعث سرية، بل يبقى في المدينة فمن قصده دافعه فيها.

شبهة: قصد الكفار في عُقر دارهم يتنافى مع قول الله سبحانه: "لا إكراه في الدين".

فنحن مأمورون بأن نجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، فــإذا كــان بعــض الــدين لله وغيره لغير الله وجب القتال، فإذا صار حُكــم الله هــو الغالــب، وعلــت الشــريعة وكانــت هــي الحاكمة في العباد، وأصبح الحكم لأهل الإسلام، فحينها لانُجبر أحــداً مــن الكفــار علــى الــدخول في الإسلام طالما أهم يؤدون الجزية، كما كان الحال لأهل خيبر بعد فتحها وإقــرارهم علــى ديــنهم طالمــا أهم يؤدون ما عليهم، و لم يقاتلهم النبي صــلى الله عليــه وآلــه وســلم لكفــرهم، لأن هــذا يقتضــي إكراههم على الدخول في الإسلام، وهذا من الاعتداء المنهيّ عنه.

نداء إلى شباب الأمة

إن العمل على الأهداف الأمريكية واليهودية أمر يسير-علــى مــن يســره الله عليــه- ولا يتطلــب مــنكم الجهد الكبير، فمصالحهم ممتدة ومُنتشرة في كل بلاد العالم، ويسهل جمــع المعلومــات عنهــا وعــن العــاملين فيها، ومن ثم تحديد نوع العملية وما يلزمهــا مــن تحضــيرات، ولــيكن مــن أولويــات العمــل المصــالح الاقتصادية، والسفارات، والأندية الدبلوماســية، واســتهداف الأفــراد العــاملين مــن الأمريكــان واليهــود بالخطف، والقتل، والترهيب، واستهداف الممرات البحريــة، والخطــوط الجويــة، ومــن أســهل العمليــات تنفيذاً استهداف الأمريكان في الداخل الأمريكي، والأهداف في الــداخل لا حصــر لهــا، وتحتــاج إلى قليــل من الجهد والتدبير، ويمكن بعود ثقاب واحد، إشعال النار في مســاحات واســعة مــن الغابــات الأمريكيــة، وتكليف العدو خسائر بمليارات الدولارات.

يجب التركيز على ضرب رأس الكفر أمريكا، فهي الداعمة لكل الحكومات الظالمة في العالم، وهي الداعم الأكبر لليهود في فلسطين، ونحن نعتقد بأن تركيز الضربات على الأمريكان واليهود فيه إضعاف كبير لتلك الحكومات المحلية العميلة، التي تستند في بقائها على الدعم الأمريكي اليهودي لها، فإذا انقطع الرأس بقي الجسد بلا حراك، وحينها تستطيع الشعوب المقهورة أن تتحرك لإزالة الحكام الخونة الذين باعوا البلاد والعباد، ونحن في تنظيم القاعدة نتبنى ذلك الفكر، وما زلنا ندعو إليه ونرى أنه أقصر الطرق للتخلص من الظلم والقهر الواقع على الشعوب، ولعل البعض يرى بأن الحكام المحليين المرتدين أولى بالقتال من غيرهم فهم الأقرب، وهم الأغلظ كفراً، ونحن نتفق بأن الحكام المرتدين هم أغلظ كُفراً، ولكن الأمريكان واليهود هم أظهر كُفراً، وأشد إيذاءً ونكاية في المسلمين، لذلك نرى البدء بهم، وتركيز العمل عليهم، وتوحيد الجهود ضدهم، والنيل منهم، واستهداف مصالحهم في كل مكان، والمصالح الأمريكية واليهودية مُنتشرة في كل أنحاء العالم، وهي جسم كبير يصعب حمايته وتأمينه، وكل ما في الأمر هو تركيز العمل عليهم.

قال الشافعيُّ رَحِمَهُ الله: في قوله تَعالَى "قَاتِلُوا الّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفّارِ".

فإن اختلف حال العدو فكان بعضهم أنكى من بعض، أو أخوف من بعض فليبدأ الإمام بالعدو الأخوف أو الأنكى، ولا بأس أن يفعل وإن كانت داره أبعد إن شاء الله تعالى حتى ما يخاف ممن بدأ به مما لا يخاف من غيره مثله وتكون هذه بمنزلة ضرورة، لأنه يجوز في الضرورة ما لا يجوز في غيرها، وقد بلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الحارث بن أبي ضرار أنه يجمع له فأغار النبي – صلى الله عليه وسلم – وقربه عدو أقرب منه، وبلغه أن خالد بن أبي سفيان يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربه عدو أقرب. انتهى.الأم/للشافعي–وانظر سنن البيهقي/كتاب السير.

إن بلاد المسلمين المسلوبة يجب علينا استردادها، ولن نستردها إلا بالقضاء على النفوذ الأمريكي، واليهودي، والغربي الصليبي، بضرب مصالحهم، وحينها سيسقط الحكام العملاء بقليل من الجهد والتضحية.

يقول الشيخ أبو مصعب السوري –فك الله أسره– وأمّا اليوم ونحن نخوض الحرب ضد أمريكا فيكفي للمتابع أن يلمس بوادر التصدع والانهيار جراء عملية واحدة وهي الحادي عشر من سبتمبر، وقد أثبتت المواجهات مع الأمريكان في أفغانستان والعراق والصومال أن الأمريكان عاجزون عن الحضور

والمواجهة على الأرض إلا باستخدام عملائهم المرتـدين مـن أبنـاء جلـدتنا.............ثم يختـتم كلامـه بقوله: فكيف لو واجهت أمريكا مقاومة إسلامية عالمية شـاملة في كافـة بـلاد المسـلمين، بـل وفي كافـة بلاد الدنيا، وفي عُقر دارها، ماذا لديها من حيلة إلا الانسحاب والفرار[50].انتهى.

نصيحة للقادة

وأنصح شباب الأمة بعدم الإفراط في العمليات الاستشـهادية، فالحفـاظ علـى كـل مُجاهـد واجـب شرعي، فلا تكون العمليات الاستشـهادية إلا في الأهـداف الكبـيرة الـتي تُحـدث نكايـة بالغـة في العدو، فدم المسلم الواحد عندنا أغلى من دماء الشعب الأمريكـي واليهـودي مُجتمعـين، ولأن تـزول أمريكا بكاملها–دون المسلمين منهم– أهون علينا من قطرة دم مسلم.

فاستعينوا بالله يا شباب الأمة، وأجمعوا أمركم، واجعلوا همكم الأول هـو اسـتهداف الأمريكـان واليهـود، أبيدوا خضراءهم، وازرعوا الخوف في نفوسهم، والله ناصركم ومعينكم.

وهذه بعض النصوص في فضل الجهاد:

عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: "جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلّم فقـال: دُلّـني علـى عمـلٍ يَعدلُ الجِهادَ. قال: لا أجدهُ. قال: هل تَستطيعُ إذا خرَجَ المجاهـدُ أن تـدخُلَ مَسـجدَك فتقـومَ ولا تَفتُـرَ، وتَصومَ ولا تُفطِرَ؟ قال: ومن يَستطيعُ ذلك؟ قال أبو هريرةَ: إنّ فـرَسُ المجاهـدِ ليَسْـتَنٌّ في طِوَلِـهِ، فيُكتَـبُ لهُ حسَناتٍ". البخاري/مسلم.

عن سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ رضيَ الله عنه أن رسول الله صـلى الله عليـه وسـلّم قـال: "رِبـاطُ يـومٍ في سبيل الله خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها. ومَوضعُ سَوطِ أحدِكم من الجنةِ خيرٌ منَ الـدُّنيا ومـا عليهـا، والرّوحـةُ يَروحُها العبدُ في سبيلِ الله أوِ الغَدْوَةُ خيرٌ منَ الدُّنيا وما عليها". البخاري.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «يَا أَبَـا سَـعِيدٍ مَـنْ رَضِـيَ بِاللّـهِ رَبّـاً، وَبِالإِسْـلاَمِ دِينـاً، وَبِمُحَمّدٍ نَبِيّاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنّةُ» فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ. فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَـيّ. يَـا رَسُـولَ اللّـهِ فَفَعَـلَ. ثُـمّ

[50] – دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.ص194.

قَالَ: «وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ. مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» قَالَ: وَمَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». مسلم.

عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: "مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ الله فَهُمَا حَرَامٌ عَلَى النَّارِ". البخاري/أحمد.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "رَجُلٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ، يَعْبُدُ اللَّهَ رَبَّهُ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ".البخاري/مسلم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة، فإنه مشتمل من محبة الله تعالى، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله، وسائر أنواع الأعمال: على ما لا يشتمل عليه عمل آخر، والقائم به من الشخص والأمة بين إحدى الحسنيين دائماً، إما النصر والظفر، وإما الشهادة والجنة.

إشارات لقادة وعظماء وردت أسماؤهم في الكتاب

- **أسامة بن لادن** أحد أشهر قادة العمل الجهادي في التاريخ المعاصر، وأمير أكبر التنظيمات الجهادية في العالم، والمطلوب الأول عالمياً، ويسبب ذكر اسمه في دوائر الاستخبارات الأمريكية رعباً وهلعاً حتى بعد استشهاده، وهو من أكثر المنفقين والداعمين للحركة الجهادية المعاصرة، ولم تر عيناي مثله في الإنفاق، أو من يدانيه إلى يومنا هذا–ولعله لم ير بعينه مثل نفسه– ورغم ثرائه الكبير، إلا أنه كان من أكثر الناس زهداً في الدنيا، ومن أكثرهم تواضعاً وخضوعاً لإخوانه، وكان حريصاً على تلقي العلم، والجلوس بين يدي الشيخ عبد اللطيف لتلقي علوم القرآن، رغم ازدحام برنامجه اليومي –نحسبه والله حسيبه–.

- **صبحي أبو ستة** "أبو حفص الكومندان" أو"محمد عاطف"، المسؤول العسكري في التنظيم، ويعد من أبرز الشخصيات العربية في الساحة الجهادية الأفغانية أيام الغزو السوفيتي، شارك في الكثير من المعارك

ضد السوفييت، وأصيب إصابة كبيرة في إحدى المعارك تركت أثـراً مزمنـا، حيـث أصـيب بجـرح نافـذ طويل في خاصرته اليسرى، وكسر مضاعف في ساعده الأيسر، وقد أجـرى لـه الشـيخ المجاهـد المصـابر الدكتور أيمن الظواهري-حفظه الله- عملية جرح الخاصرة، وأجرى لـه أحـد الجـراحين الفضـلاء عمليـة لعلاج كسر ساعده الأيسر، وكانت الإصابتان بشظية واحدة، كمـا كانـت لديـه آلام مزمنـه في عمـوده الفقري بسبب انزلاق غضروفي، دون أن تمنعه من الاسـتمرار في العمـل والقيـادة، حيـث كـان يشـغل منصب نائب الأمير لتنظيم القاعدة، مع تواضع كبير أكسبه محبة جميع أفراد التنظـيم، ولـه حـظ وافـر مـن العبادة، وقيام الليل، مع ورد من القرآن لا ينقطع، مع دراسات في الأصول، واللغة العربية.

- **فهد الكيني** "أو أبو أسامة الكيني" أو أزمراي، وهو كيني من مواليد مدينـة مومباسـا السـاحلية، وتعـود أصوله إلى اليمن، حيث هاجر أبوه وتزوج من يمنية مهاجرة إلى كينيـا مـع أبويهـا، تـأثر كثـيراً بالـدعوة السلفية الناشئة في مومباسا، وأصبح أحد الداعين لها، مع محبـة للجهـاد والمجاهـدين، دفعتـه للهجـرة إلى أفغانستان، والحصول على دورات تدريبية عالية، وهاله ما هال الكثير من أبنـاء كينيـا الغيـورين مـا يفعلـه الأمريكان ببلدانهم، من سلب لكل ثرواتها، مع كِبر واسـتعلاء وإهانـة لأبنـاء الشـعب جـراء الممارسـات غير الأخلاقية التي يمارسونها في حق أبناء الشعب، مما دفعه للقيام بمـا يتوجبـه عليـه دينـه مـن دفـع لهـذا العدو الصائل، فكان من أبرز العناصر التي ساهمت في إنجاح عمليتي نـيروبي ودار السـلام -بعـد فضـل الله وتوفيقه- كما كان من أبرز القادة العسـكريين الـذين أشـرفوا علـى العمـل العسـكري في أفغانسـتان وباكستان- مع تواضع كبير-بعد الغـزو الأمريكـي لأفغانسـتان 2001م، وكـان معروفـاً حينهـا بـ أزمراي، كان يجيد ثلاث لغات، العربية والانجليزية، والسواحلية.

- **شيخ سويدان** أو أبو يحيى الكيني أو أبو عزام،كيني من أصول عربيـة، سـكن السـاحل الكيـني في مدينـة مومباسا، وتأثر بالدعوة السلفية الناشئة هناك، وكان تواقاً للجهـاد، فهـاجر إلى الصـومال وتلقـى عـدداً من الدورات التدريبية، وشارك إخوانه هناك في عملياتهم ورباطهم، إلا أنـه ظـل يُمـني نفسـه بـالهجرة إلى أفغانستان، عرض عليه الأخ الفهد المشـاركة في عمليـة نـيروبي فبـادر إليهـا وبـذل مجهـوداً جبـاراً لا يستطيعه إلا الأفذاذ أمثاله، ذو عقلية فذة ولو أُتيحت له فـرص الاختـراع لأبـدع في هـذا المجـال، فقـد استطاع تطوير عدد من الآليات الزراعية التي تم استيرادها من الهند والبرازيـل، وكانـت لـه لمسـات فنيـة رائعة في العمل في قسم الوثائق، بعد أن حصل على دورة تدريبية في هذا المجال.

- **أبوعبد الرحمن المهاجر** المصري، تخرج من كلية العلوم، والتحق بالجهاد الأفغاني في بداية التسعينات من القرن الماضي، وحصل على دورات تدريبية أهلته ليكون من أبرز المدربين لدورات المتفجرات، وتجهيز العبوات الكبيرة، كما أنه برز في الإلكترونيات مما جعله متميزا في عمله الذي أتقنه بشكل كبير، كان حاد الذكاء، سريع البديهة، يتكلم العربية، والانجليزية، عمل ضمن الفريق الذي ذهب إلى الصومال إبان التدخل الأمريكي، وأنهى الكثير من الدورات التدريبية لمادة المتفجرات هناك، وتخرج على يديه كوادر من الشباب الصومالي حملت راية التدريب فيما بعد، هو الذي أشرف على تركيب العبوتين في نيروبي ودار السلام، بمساعدة الأستاذ أحمد عبدالله منفذ عملية دار السلام.

- **هارون القمري** أو أبو الفضل القمري، أو أبو لقمان، أو فضول عبدالله، أو أبو آسيا، من جزر القمر تلك الجزر القابعة في المحيط الهندي، والبعيدة عن المحيط العربي والإسلامي، إلا أنها تذخر بالأبطال الذين يسعون لنصرة دينهم وأمتهم، وكان منهم هارون القمري الذي سافر إلى باكستان لتكملة دراسته بإحدى المعاهد العلمية في باكستان، وأثناء العطلة كان يسافر إلى بيشاور لمشاركة المجاهدين في قتالهم ضد السوفييت، واستقر به الحال للانضمام لتنظيم القاعدة، كان شديد الذكاء، محبباً لإخوانه، له قدرة عجيبة في تعلم اللغات، فقد كان يتكلم العربية، والفرنسية، والسواحلية، والانجليزية، وكان على معرفة باللغة الصومالية، وتلك اللغات اكتسبها بمجرد الاختلاط بأهلها وبشكل سريع، كان من العناصر الرئيسية في عمليتي نيروبي ودار السلام، كما أنه من أوائل من شاركوا في العمل في الصومال أيام التدخل الأمريكي، وكان ضمن فريق عملية اطلاق الصواريخ على طائرة العال الإسرائيلية في مومباسا، ومن الطريف أنه اُعتقل في كينيا أثناء اعتقال عشوائي حدث أمام مبنى البريد في مومباسا"بوست أوفس" و لم يتعرفوا عليه مع أنه كان من المطلوبين الرئيسيين في كينيا، وتم الافراج عنه بعد يوم ليغادر إلى الصومال، ولتعلن الحكومة الكينية فيما بعد أنها أفلت منها صيد ثمين، فشلت في التعرف عليه.

- **عبد الوكيل** أو أبو جهاد النوبي، أو مصطفى، أو أبو بلال، درس في كلية التجارة، والتحق بالجهاد الأفغاني، وانضم لتنظيم القاعدة في أوائل تسعينيات القرن الماضي، كان شاباً ذكياً وصاحب رأي ورؤية، مما جعله في مصاف القيادة رغم صِغر سنه، عمل في التدريب ضمن معسكرات القاعدة، وشارك في الكثير من الجبهات، وهو من أوائل المشاركين في فريق العمل في الصومال أيام الغزو

الأمريكي، وأشرف على العمل في عدة مناطق في الصومال، كما أنه شارك في عملية دار السلام، كان يتكلم العربية والانجليزية، والسواحلية، وله معرفة باللغة الصومالية.

- **عزام المكي** واسمه جهاد شاب في مقتبل العقد الثاني من العمر، عمل مع القائد الفذ الكبير "خطاب" –رحمه الله- في طاجيكستان، وكان ضمن مجموعة الأخ القائد حمزة الغامدي أحد أصدقاء الأخ خطاب، وعندما عاد التنظيم إلى أفغانستان سارع إلى جلال آباد ليسجل اسمه ضمن قائمة الاستشهاديين، وكان له ذلك في نيروبي في تفجير السفارة الأمريكية، كان صاحب عبادة، وخلق، وقلب رقيق، ودمعة سريعة، وكان محبباً لجميع إخوانه، ورغم صغر سنه إلا أنه كان صاحب رأي ورؤية، وهو الذي دلنا على صناعة قنابل يدوية محلية في نيروبي، ودار السلام بعد أن تعذر في البداية الحصول على قنابل جاهزة.

- "**العوهلي**" ينتمي لأسرة ثرية في المملكة العربية السعودية، وصاحب مواهب وثقافة عالية، حمل شعاراً لازمه طوال جهاده" وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى "عندما التحق بصفوف القاعدة سجل اسمه في قوائم الاستشهاديين، وظل يلح في طلبه حتى تم اختياره للمشاركة في عملية نيروبي، فبادر دون أدنى تردد، كان صاحب عبادة، وقيام، وصيام، مع شجاعة وإقدام في جميع المعارك التي شارك فيها، لم تُكتب له الشهادة في عملية نيروبي وتم القبض عليه وترحيله إلى أمريكا ليكون ضمن الأبطال خلف القضبان هناك صابراً محتسباً داعياً إلى الله في سجنه ومحبسه.

- **أبو طلحة السوداني**، درس في كلية الهندسة في الخرطوم، والتحق بصفوف المجاهدين في أفغانستان، وكان ذا ذكاء حاد، مما أهله ليكون من أبرز المدربين في تنظيم القاعدة، في مادة الطبوغرافيا، والمساحة العسكرية، والمدفعية، وغيرها من العلوم العسكرية التي برع فيها، صاحب صوت خافت لا تكاد تسمعه، مع حسن رأي وخلق، عمل مسؤولاً عن حراسة الشيخ أسامة بن لادن في السودان، وكان من أكثر الإخوة المحببين للشيخ أسامة لإخلاصه وتواضعه، قام بدور مكوكي وكبير في عمليتي نيروبي ودار السلام، كما كان المسؤول عن عملية استهداف طائرة العال اليهودية، مع الأخ صالح النبهاني، والأخ هارون القمري والأخ أبو صهيب-رحمهم الله جميعاً- رحل إلى الصومال واستطاع تكوين عدد كبير من الكوادر التي أدارت ومازال تدير العمل في الصومال.

- **أحمد التنزاني**، من أشجع من التقيت من الشباب، انضم لفريق العمل في نـــيروبي بعـــد ثمانيـــة أشـــهر مـــن البدء في التجهيز، يتكلم السواحلية، والانجليزية، وبعض العربية، نسأل الله أن يفك أسره.

- **أحمد عبدالله المصري**، أو أحمد الألماني، أحـــد عناصـــر الجماعـــة الإســـلامية المصـــرية، وأحـــد كـــوادر التدريب بها، صاحب ذكاء حاد، ومهارة عالية في تجهيـــز العبـــوات الكبـــيرة، وأحـــد أبـــرز مـــدربي مـــادة المتفجرات، هاجر إلى أفغانستان في أوائل تسعينيات القرن الماضـــي، حصـــل علـــى العديـــد مـــن الـــدورات العسكرية وبرع في الكثير منها، وكان حافظاً متقناً للقرآن، صـــاحب قيـــام وصـــيام، حفـــظ القـــرآن منـــذ صغره في الكُتّاب وكان له ورده اليومي خمسة أجزاء، ورأيته يراجـــع مـــن حفظـــه وذاكرتـــه دون النظـــر في المصحف لشدة اتقانه، أصر أن يكون ضمن قائمة الاستشـــهاديين رغـــم اعتراضـــات الكثـــير لكونـــه أحـــد الكوادر المهمة، ولكن تحت إلحاحه وإصراره تم اختياره لتنفيذ عملية دار السلام الـــتي أشـــرف علـــى تجهيـــز عبوتها-عدة أطنان-بنفسه مع الأخ المهاجر، وانطلـــق بالشـــاحنة ليـــدك صـــرح الصـــليبيين دون تـــردد ولا وجل.

- **خلفان التنزاني**، شارك في عملية دار السلام بعد مـــرور تســـعة أشـــهر علـــى بدايـــة التجهيـــز، وســـاعد بشكل كبير في الأعمال الإدارية أثناء عملية التجهيز، وطُلب منه البقاء مـــع الأخ أحمـــد عبـــد الله حـــتى يـــوم التنفيذ ومن ثم المغادرة إلى جنوب افريقيا حسب طلبه، نسأل الله أن يفك أسره.

المحتويات

